

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الرابع ــ المجلد السابع والستون

١٤٤٢هـ ــ ٢٠٢١م

شروطُ النَّشرِ وضوابطُهُ وَقواعدُهُ

١ - ترحِّبُ مجلةُ (المَجْمَع العلميّ) بنشرِ البحوثِ والدّراساتِ العلميَّة في العلوم (النظرية والتطبيقية) الَّتي تتَّسم بالأصالة والجِدَّة، واستيفاء شروط البحث العلمي، باللغة العربيَّة كما تنشر تحقيق المَخْطُوطات والترجمات.

٢ - البحوث المنشورة تعبِّرُ عن آراء كاتِبيهَا، ولا تعبِّرُ عن رأي هيئة تحرير المجلَّة.

٣ - تعتذرُ هيئَةُ التّحريرِ عن نشرِ البحوث الدينيَّة التي تمسُّ العقائدَ أو البحوث ذات التّوجّهات السياسيَّة.

٤ - يصبحُ البحثُ بعدَ نَشرِهِ في المجلَّةِ حَقًّا لهَا، ولا يجوزُ النَّقلُ عنهُ إلّا بالإشَارَةِ إلَى مجلَّةِ المَجْمَعِ العلميّ.

٥ - يُشتَرَطُ في البحثِ أنْ لا يكونَ قد نُشِرَ أو قُدِّمَ للنّشرِ في مَجّلَّةٍ أُخرَى وليسَ مستلًّا من كتابٍ مخطوط أو مطبوع، ويُلزم الباحث بالإمضاء على التعهُّدِ الخاصِ قبلَ تسليمِ بَحثِهِ.

٦ - تعتذرُ المَجَلَّةُ عن نَشرِ أَيِّ بَحثٍ يخلُّ بِشَرطٍ من شروطِهَا.

٧ - لا تُرَدُّ أصولُ الأعمال المقدَّمة للمجلة سواءٌ قُبلت للنشر أم لم تقبل.

٨ - يحقُّ لهيئة تحرير المجلة إجراء بعض التعديلات الشكليَّة على المادة المقدَّمة متى لزم الأمر من غير المساس بالموضوع.

٩ - يقدم البحث على شكل نسختين ورقيتين، فضلًا عن نسخة إلكترونية على قرصٍ ليزريّ (CD) أو عبر البريد الإلكتروني، على أن يكون حجم الخط (١٤) للمتن و(١٢) للهامش وعلى وجه من الورقة، ويكون نوع الخطّ المستخدم في الطّبَاعة (Simplified Arabic)، على أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن عشرين صفحة(A4).

١٠ - يلتزم الباحث بتقديم سيرة ذاتيَّة مختصرة تتضمَّن: الاسم كاملًا، والدرجة العلمية، ومكان العمل، والعنوان، والبريد الإلكتروني، ورقم الهاتف من أجل سهولة الاتصال وسرعته.

١١ - تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأوليَّة للبحوث العلميَّة المقدَّمة للنشر بالمجلة للتأكُّد من ملاءَمتها لأهداف المجلة وتوجُّهاتها، فضلًا عن توافر مقوّمات البحث العلميّ، وتُرسَل بعد ذلك إلى المحكّمين، من ذوي التخصص والخبرة، مع مراعاة ما يأتي:

أ - تتولى هيئة التحرير متابعة إجراءات التعديلات والتحقق من التزام الباحث بإجراءِ التعديلات المطلوبة قبل نشر العمل العلمي، ويكون ذلك ملزمًا للباحث.

ب - يتم إبلاغ الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه، ويزود بكتاب قبول نشر في حالة صلاحية بحثه، وفي حالة الاعتذار يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها الباحث لإعادة النظر ببحثه.

ت -ينشر العمل العلمي بعدَ استيفَائِهِ شروط النّشرِ وقواعدهِ في المَجَلَّةِ.

١٢ تعطى الأولوية في النشر بحسب الأسبقية الزمنية لتسليم البحوثِ إلى هيئة تحرير المجلة، وذلك بعد إجازتها من لَدُنِ المحكمين، وعلى وفقِ الاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.

١٣- يخضع ترتيب الأبحاث عند النشر في داخل العدد علَى وفق اعتبارات فنية وتُراعى الدرجة العلمية لصاحب العمل، أو بحسب ما تراه هيئة التّحرير.

١٤- يراعى في كتابةِ البحثِ التّرتيب الآتي:

أ -صفحة العنوان، المُلَخَّص باللغة العربية واللغة الانكليزيَّة، مقدمة البحث، الكلمات الدالة، متن البحث، النتائج والمقترحات التي توصل لها البحث، الأشكال والجداول والملاحق، ثم الهوامش.

ب -يسجل على صفحة العنوان: عنوان البحث في منتصف الصفحة، واسم الباحث/ الباحثين متبوعًا باسم المؤسسة التي يعمل/ يعملون بها، والبريد الإلكتروني الخاص به/ بهم.

ت -يراعى أن يكون الملخَّص في حدود ١٥٠ كلمة، وخاليًا من الاختصارات والهوامش، ويشير بوضوح إلى أهداف البحث ومنهجيته وأهم نتائجه.

ث -يقصد بالكلمات الدالة: المصطلحات الرئيسة التي وردت في متن البحث، على أنْ يكتب ما يقابلها باللغة الانكليزيَّة -إنْ وجد-، معَ مُرَاعَاةِ استخدام المصطلحات المُقرَّة عربيًّا.

ج -يُراعى في المقدمة اتباع الخطوات المنهجية العلمية.

ح -يراعى عدم وضع الجداول الكبيرة والأشكال التوضيحية والخرائط الكبيرة في متن البحث بل توضع في نهايته حتى يتمكن المراجعون من التحكم في حجمها علَى وفق حجم صفحة المجلة، أما الجداول والأشكال التي توضع في متن البحث فيجب أن يكون كل منها في صفحة مستقلة على أن يوضع رقم الجدول وعنوانه أعلاه، ورقم الشكل وعنوانه أدناه، ومصدره إنْ وجد. أما الهوامش لا تكون في نهاية البحث بل في داخل الصفحة مع رقم الهامش (يتم استخراج الهوامش من برنامج Microsoft Word – مراجع – نافذة حواشي سفلية – علامة مخصصة ، يدرج الرقم بين قوسين) (يتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل من (١) الى (١٠٠) .... الخ).

خ -تسجل المصادر والمراجع على النحو الآتي:

<u>في حالة الكتب :</u>

اسم المؤلف، سنة الوفاة للمصادر التراثية عنوان الكتاب، المحقق أو المترجم ان وجد رقم الطبعة عدا الأولى (مدينة النشر: اسم الناشر، أو المطبعة، سنة الطبع) ثم الجزء أو المجلد -إن وجد-، ورقم الصفحة، علَى أنْ لا تُكتَبَ تفاصيل بطاقةُ الكتابِ في هوامشِ البحثِ، بل تُكتَبُ في ثَبْتِ المصَادرِ والمراجعِ.

في حالة البحوث:

اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم (الدورية أو المجلة) رقم المجلد (رقم العدد)، الصفحات التي يشغلها المقال بين قوسين (مدينة النشر: جهة النشر، سنة النشر) رقم الصفحة.

في حالة الإفَادَة من مصدرٍ ألكترونيّ (منشور علَى الشّابكة العَالميَّة):

اسم المؤلف، العنوان، المصدر الإلكتروني، ثم يوضع الرابط، وتاريخ الاطلاع.

١٥- يُمنح كل باحث تأييد بقبول بحثه للنشر بعد إتمام كافة الإجراءات.

١٦- يُمنح كل باحث ثلاث نسخ من المجلة في العدد الذي نشر به بحثه مع خمس مستلات من البحث المنشور.

١٧- إذا كانَ البَاحِثُ في خارج العراق ، وتعذَّر عليهِ تسليم البحث يدويًّا فيمكن أنْ يرسلَه عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة، بعد الإمضاء على التعهُّد:

Journalacademy@yahoo.com

أو البريد الإلكتروني لمدير التحرير:

profalmosawi@yahoo.com

هيئة التحرير

المحتويـــات

الجزء الرابع/ المجلد السابع والسـتون

من مشكلات المخطوط العربي
التنازع في العنوان والنسبة

الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد
النجف الأشرف

الملخص:

من الاشكالات التي خرج بها المخطوط العربي الذي عاش تأريخه بين الخوف منه والخوف عليه وصل إلينا بعد مواجهة أحداث العصور والحرق، أسماء كتب مفقودة، وكتب بقي منها أجزاء أو بعض أجزاء، وأخرى سقطت أو أسقطت منها ورقة العنوان وأضيف إليها اسم مؤلِّف وهمي لأسباب متعمدة أو خوفا عليها، والحديث يطول بالأمثلة الكثيرة لذلك.

فمن الإشكالات التي عاناها المحقق التنازع في العنوان والنسبة لقسم من المخطوطات، لما تعرض له التراث العربي المخطوط من مشكلات لوقوعه بين الخوف منه والخوف عليه كما ذكرت.

ولا يعني أن الاجتياح الذي تعرض له التراث عبر العصور هو السبب الوحيد في اتلاف الكثير من المخطوطات، بل كان الإرهاب الفكري والاختلافات المذهبية ونزاعاتها بين الطوائف أيضا، كما كان الخوف من الأسباب التي كانت تدعو إلى فقدان الكتب واخفائها زمنا ثم لم تلبث أن تعود إلى الظهور بعد زوال الأسباب التي دعت إلى غيابها.

فهناك كتب كان التنازع في أسماء مصنفيها وأخرى كان التنازع في اسم الكتاب ونسبته.

وحديثي هنا من خلال تجربتي وتجربة المحقق هلال ناجي رحمه الله في بعض أعمالنا المشتركة أتناول إشكال التنازع في العنوان والنسبة في تجربة الاعتماد على نسخة فريدة أو نسخ متعددة ورأينا أن القراءة الخاطئة توقع المحقق في هذا الإشكال والوهم.

المقدمة :

من الاشكالات التي خرج بها المخطوط العربي الذي عاش تأريخه بين الخوف منه والخوف عليه وصل إلينا بعد مواجهة أحداث العصور والحرق، أسماء كتب مفقودة، وكتب بقي منها أجزاء أو بعض أجزاء، وأخرى سقطت أو أسقطت منها ورقة العنوان وأضيف إليها اسم مؤلِّف وهمي لأسباب متعمدة أو خوفا عليها، والحديث يطول بالأمثلة الكثيرة لذلك.

يروي العماد الاصبهاني المتوفى (٥٩٧هـ) في موسوعته ((خريدة القصر وجريدة العصر)) كثيرا مما رأى وسمع من حوادث وأخبار، وينقل عن كتب لم نكن نسمع بأسمائها لولاه، أو عن كتب عرفناها ولم تصل إلينا مثل ((زينة الدهر)) للحظيري المتوفى (٥٦٨هـ)[1] الذي جعله ذيلا لـ ((دمية القصر وعصرة أهل العصر)) للباخزري الذي قتل سنة (٤٦٧هـ) ولم يبقَ منه

---

(١) هو أبو المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب. توفي في صفر (٥٦٨هـ) وله كتاب (زينة الدهر وعصرة اهل العصر) ذيل به على (دمية القصر) للباخرزي كما له كتاب (لمح اللمح) ينظر وفيات الأعيان، ٣٦٦/٢ – ٣٦٨.

إلاّ الاستشهادات عند العماد الأصبهاني وابن خلكان وغيرهما، وذيل تاريخ بغداد للسمعاني (ت٥٦٢هـ) ذكره بروكلمان أنّه يقع في خمسة عشر جزءا لم يبق منه سوى بعض أجزائه ومختصر له، وكذلك تراجم من كتاب ((الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة)) لابن القطاع الصقلي (ت٥١٤هـ) المفقود... وكانت هذه الخريدة مصدرا لعدد من المؤلفين ولاسيما ابن خلكان، وليس لأحد أن يدعي معرفة العصر أو الكتابة عنه دون أن يقف على هذا الكتاب الضخم[٢].

فمن الإشكالات التي عاناها المحقق التنازع في العنوان والنسبة لقسم من المخطوطات، لما تعرض له التراث العربي المخطوط من مشكلات لوقوعه بين الخوف منه والخوف عليه كما ذكرت.

ولا يعني أن الاجتياح الذي تعرض له التراث عبر العصور هو السبب الوحيد في اتلاف الكثير من المخطوطات، بل كان الإرهاب الفكري والاختلافات المذهبية ونزاعاتها بين الطوائف أيضا، كما كان الخوف من الأسباب التي كانت تدعو إلى فقدان الكتب واخفائها زمنا ثم لم تلبث أن تعود إلى الظهور بعد زوال الأسباب التي دعت إلى غيابها.

فهناك كتب كان التنازع في أسماء مصنفيها وأخرى كان التنازع في اسم الكتاب ونسبته.

وسأتحدث من خلال تجربتي وتجربة المحقق هلال ناجي (رحمه الله) في بعض أعمالنا المشتركة أتناول إشكال التنازع في العنوان والنسبة في تجربة

---

[٢] ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، علي جواد الطاهر، ٢٦/١... تأريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ٦٨/٣.

الاعتماد على نسخة فريدة أو نسخ متعددة ورأينا أن القراءة الخاطئة توقع المحقق في هذا الإشكال والوهم.

وللقراءة صورتان إحداهما تكمل الأخرى:

إحداهما القراءة الخارجية لتحقيق اسم المخطوط وتسمية مؤلفه بتتبع المحقق فهارس المخطوطات وكتب التراجم والطبقات، وإذا كانت المخطوطة فريدة لا أخت لها وقد سقطت أو أسقطت ورقة العنوان ووضع مفهرس المكتبة ورقة وعنوانا ونسبه لمؤلف مفترض تضاعف جهد المحقق بها ووجب على المحقق أن يشك فيستعير ذلك القالب الفلسفي المنسوب لديكارت، فيقول أنا أشك إذن أنا محقق(٣).

الصورة الثانية للقراءة القراءة الداخلية للمخطوط، وهي اعتماد مادة الكتاب والتأكد من مناسبتها للعنوان وما يذكر فيها من أسماء شيوخ وأشخاص لهم صلة بالمصنف أو لهم صلة بزمنه، فربما يكون بعضهم من شيوخه أو ممن نقل عنه.

وقد يجد إحالات المؤلف على كتب له أو نصوص نقلها، والتأكد من تطابق نصوص الاحالات، وربما على أحد من روى عنه المصنف، أو نقل مصنفين نصوصا أو معلومات من الكتاب المخطوط نفسه فيها إشارة دلالة على مصنف النص، فالمحقق ينبغي أن يكون ذا اطلاع وثقافة واسعة ليتتبع

---

(٣) العبارة للأستاذ الدكتور فيصل الحفيان في افتتاحية عدد مجلة معهد المخطوطات العربية، م٦٢، ع١، ص٩.

المخطوطات التي لموضوعها صلة بمادة مخطوطته ونوعها. كل ذلك قد يوصل المحقق إلى بغيته من معرفة الكتاب واسم مصنفه.

أذكر أربع تجارب لمخطوطات كان فيها تنازع في العنوان والنسبة وكانت القراءة وحذق المحقق في حلِّ إشكالها أو بالعكس كانت القراءة الخاطئة سببا لوقوع الالتباس والتنازع.

١) الأولى في علم العروض والقافية:

مخطوطة في علم العروض، وهي فريدة من ممتلكات العلاّمة حسن حسني عبد الوهاب علاّمة تونس، وهي من مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس.

خطّها مغربي سقطت ورقة العنوان مع اسم المؤلف، ونسبت إلى أبي القاسم الزجاجي ت٣٣٧هـ وسُمّيت وهما: ((المخترع في العروض والقافية)).

شاركت الأستاذ المحقق هلال ناجي في تحقيقها.

لازمنا الشك بوجود صفحة مقحمة عليها عنوان (المخترع في العروض والقافية) فالعنوان له صلة بما تضمنته المخطوطة من موضوعات العروض والقافية، وكذلك أكد مضمونها في قراءتنا أنها لأحد تلامذة أبي إسحاق الزجاج المتوفى(٣١١هـ) لملازمته مجالسه ورواياته ما يدور فيها من جدل وحديث في أوزان الشعر وقضايا لغوية أخرى، لكنها لتلميذ للزجاج بارع في العروض ملم بخفاياه لما يبدو من الآراء، وليس الزجاجي النحوي الذي لم يعرف ولم يشهر بالعروض، ثم لم يذكر مترجمو الزجاجي له كتابا في العروض وكلمة (المخترع) على الورقة المقحمة استوحاها المفهرس مما رواه

السيوطي في (بغية الوعاة) انّ للزجاجي كتابا عنوانه (المخترع في القوافي)[٤].

وهذا الكتاب موضوعه العروض والقافية، جاء في خطبة الكتاب بعد البسملة: ((هذا كتاب ألفناه في علم العروض وشرح أبوابه وتقطيع أبياته وتلخيص ألقابه وتبيين أوتاده وأسبابه..)).

فالقراءة الداخلية للنص جعلتنا ننصرف عن نسبته للزجاجي، وبقينا سنة كاملة نبحث عن المصنف الحقيقي، وتحقيق نسبته، ومرت بنا عبارة توهم قراءتها الخاطئة أن الكتاب لأبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) كما أوهمت المحقق التونسي الدكتور جعفر ماجد، وكان يعمل لتحقيق الكتاب نفسه دون علمنا، والعبارة هي قول المؤلف في (باب أول الكلمة وآخرها) حديثه عن الفات القطع والوصل: ((وقد بينا هذا في كتاب ألفات الوصل والقطع بيانا محكما))[٥] وهو يقصد بكلمة كتاب معنى المصدر يشير إلى ما ذكره في مقدمات كتابه من حديث.

ولما كان من مؤلفات أبي سعيد السيرافي كتاب (الفات الوصل والقطع) توهم المحقق التونسي أن المخطوطة لصاحب هذا الكتاب، فنشر المخطوط منسوبا للسيرافي بعنوان (كتاب صنعة الشعر)[٦] ولم يتنبه المحقق إلى أن المخطوط يتكرر فيه أن صاحبه تلميذ للزجاج بل ملازم له، والسيرافي لم

---

[٤] بغية الوعاة، ٢/٧٧.

[٥] العبارة في الورقة ٢٨م، ص٨٣ من كتابنا المطبوع (الجامع في العروض والقوافي).

[٦] نشرته دار الغرب الإسلامي ١٩٩٥ فهو من مؤلفات السيرافي تذكره كتب التراجم.

يتتلمذ للزجاج وإنما أخذ عن ابن دريد ٣٢١هـ وعن ابن السراج (ت٣١٦هـ) فربما دخل بغداد بعد وفاة الزجاج أو في شيخوخته.

وقد كلّفت هذه القراءة الخاطئة المحقق التونسي الخطأ في العنوان والنسبة فحين اطلع على كتابنا في معرض تونس الدولي سنة ١٩٩٦ أسرع بجمع كتابه (صنعة الشعر) ليغير عنوانه ويضع اسم المؤلف الذي اكتشفناه ويكتب مقدمة جديدة مع اعتذار في آخر الكتاب زعم فيه أنه اكتشف اسم المؤلف قبل الاطلاع على كتابنا مع شكر للمحققين العراقيين، وهذا خطأ آخر بعدم الأمانة العلمية التي يجب أن يتصف بها المحقق، لكن كتابه لم يعرض في المعرض المذكور لانتهاء وقته، وانتقده الدكتور المنجي الكعبي بهذا العمل بنشره كتيبا في تونس بعنوان (صنعة الشعر للسيرافي... غلطا)[٧].

أدلة الوصول إلى نسبة المخطوط:

لقد أوصلتنا القراءة الداخلية إلى الأدلة الآتية:

١- الكتاب لأحد تلامذة الزجاج صُنِّف بعد وفاته بمجيء عبارة (رحمه الله) عند ذكره. كان يروى عنه ويلازمه في مجالسه. وما جاء في مقدمة الكتاب من وصف أشرنا إليه سابقا يوافق ما ذكره ياقوت الحموي في (معجم الأدباء) قال: ((وجدت على كتابه في العروض

---

[٧] وللدكتور المنجي الكعبي قصة وحوارات واعتراضات على عنوان الكتاب لا نسبته استوعبتها مجلة ((الحياة الثقافية)) بتونس العدد ١٣٩ نوفمبر ٢٠٠٢ والعدد ١٤١، ٢٠٠٢، والعدد ١٣٨، ٢٠٠٢.

بخطه أي (العروضي)، وقد قرئ عليه في ست وثلاثين وثلاثمائة، وكان إماما في علم العروض... وأخذ عنه وروى أبو عبيد الله محمد ابن عمران المرزباني، وكان أبو الحسن أحمد العروضي عمل كتابا كبيرا وحاشاه بما قد ذكر أكثره ونقل كلام أبي إسحاق الزجاج وزاد فيه شيئا قليلا وضمَّ إليه بابا في علم القوافي..))[^٨].

٢- رواية محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ) نصين طويلين في كتابه (الموشح) عن أبي الحسن العروضي مباشرة وثبتهما وكان يروي عنه كما ذكر صاحب معجم الأدباء.

أحدهما: ((باب ما يحتمل الشعر)) وهو الباب التاسع من مخطوطتنا، نقله المرزباني نصا حرفيا مطابقا لما في المخطوط بألفاظه وشواهده[^٩].

الآخر في عيوب القافية والشعر، جاء في الموشح. قال المرزباني: ((حدثني أحمد بن محمد العروضي قال: الإقواء رفع قافية وخفض أخرى..))[^١٠].

٣- دليل آخر قول أبي العلاء المعري في مقدمة لزومياته: ((وقد روى أبو الحسن العروضي الذي كان في صحبة الراضي: أن أبا إسحاق الزجاج سئل عن الروي في قول الشاعر:

---

[^٨] ٢٣٣/٤ معجم الأدباء، ٢٣٣/٤، ٢٣٤.

[^٩] الموشح، ١٤٤ - ١٥٥.

[^١٠] السابق، ٢٢ - ٢٤.

ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها

فزعم أنه الياء[11].

٤- ورد خبر رسالة شعرية أو هو صورة من صور البند في الأدب أرسلها أبو عبد الله اليزيدي[12] لأبي الحسن العروضي، تضمنتها مخطوطة لأبي القاسم الاشبيلي(٥٦٤هـ) (ريحانة الألباب وريعانة الشباب في مراتب الآداب) ورقة(٦٢م) ونص الرسالتين في مخطوطتنا ورقة(٣٩٤).

هذه أربعة أدلة تثبت نسبة الكتاب المخطوط إلى أبي الحسن أحمد بن محمد العروضي.

أما عنوان الكتاب فقد اجتهدنا في تسميته (الجامع في العروض والقوافي) بما أوحاه النص المخطوط وما كان مألوفا من العنوانات في القرن الرابع.

قال المؤلف في الورقة الأولى ((هذا كتاب في علم العروض وشرح أبوابه وتقطيع أبياته وتلخيص ألقابه وتبيين أوتاده وأسبابه)).

---

[11] لزوميات المعري، ٣٦/١.

[12] نحوي وراوية، توفي سنة ٣١٠هـ [إنباه الرواة، ١٩٨/٣، وفيات الأعيان، ٣٣٧/٤].

وقال في الورقة الثانية: ((وما رأيت في هذه الكتب كتابا هو أنفع ولا أجمع من كتاب أستاذنا أبي إسحاق الزجاج – رحمه الله – وهذا الكتاب لا يقصر عنه إن شاء الله.

وقال في الورقة ٧١: ((وقد ذكرنا ذلك أجمع في هذا الباب مستقصى.. وليكون جامعا بعد لما يحتاج إليه)) ولابن درستوية (٣٤٧هـ) كتاب في العروض اسمه (جوامع العروض) وذلك كله جعلنا نستوحي عنوانه. وقد سمّاه المحقق الآخر جعفر ماجد بعد نسبته الخاطئة التي مرّ ذكرها سمّاه بطبعته بعد الرجوع عن خطئه (كتاب في علم العروض) ونسبه لأبي الحسن العروضي الذي أخذه من طبعتنا التي اطلع عليها في معرض تونس ١٩٩٦ وادعى أنه اكتشفها قبل الاطلاع على طبعتنا، وهو ما انتقد به بعدم الأمانة العلمية.

٢) مخطوطة أخرى كانت القراءة الخاطئة سببا للتنازع بعنوانها واسم مصنفها.

وهي من مخطوطات دار الكتب المصرية، حققها الأستاذ إبراهيم الابياري وهي فريدة أيضا ذكر المحقق أن الورقة التي عليها عنوان الكتاب واسم مصنفه خطها يباين خط الكتاب وصدر مقدمته قد سقط أيضا[١٣] إذن سقطت ورقة العنوان مع المصنف وأضيفت ورقة كتب عليها (إعراب القرآن) ونسبة زائفة إلى الزجاج.

---

[١٣] ينظر: ص١٠٩٥، ١٠٩٩ من الكتاب المطبوع، تحقيق الابياري.

((ولو لم يكن فيها إلاّ هذا لكانت مدعاة إلى تقديم الشك في اسم الكتاب ونسبته)) كما قال الأستاذ أحمد راتب النفّاخ[١٤]، فكيف يثق المحقق بورقة مقحمة على عنوان الكتاب واسم مؤلفه.

الكتاب تسعون بابا قسّمه المحقق إلى ثلاثة أقسام عند طبعه.

١- إن قارئ المخطوطة يشك بكل خطوة يقوم بها المحقق أولها العنوان المقحم على الورقة المضافة.

٢- منهج تأليف الكتاب. إن كتب ((إعراب القرآن)) كلها مفصلها وموجزها تبدأ بإعراب السور متتالية من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وما في المخطوطة ليس كذلك. وهذا الكتاب ألفه صاحبه من تسعين بابا منها ما يخص القراءات وفي ظواهر نحوية ولغوية مع الاستشهاد لكل موضوع بما يناسبه، فقوام الكتاب ليس له علاقة في عنوانه.

٣- قال المؤلف فيما تبقى من مقدمته التي سقطت مع ورقة العنوان بعد عرضه أبواب الكتاب: فهذه تسعون بابا أخرجتها من التنزيل بعد فكر وتأمل.. ليتحقق فيه قول القائل:

أحبب النحو من العلم فقد ... يدرك المرء به أعلى الشرف
إنما النحوي في مجلسه ... كشهاب ثاقب بين السَّدَف
يخرج القرآن من فيه كما ... تخرج الدرة من بين الصّدف

---

[١٤] ينظر: الحلقة الأولى من البحث الذي نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م٤٣، ج٤، ص٨٤٠.

ثم يسوق بعدها أبياتا في هذا المعنى)).

ويستمر المحقق على قراءته الخاطئة قائلا: ((الإعراب هو ثمرة النحو تطبيقا، فلم يكن غير أن يسمّى الكتاب (إعراب القرآن) مع ما يضم من أبواب في غير الإعراب))[١٥].

وقد سوّغ كلامه بعد عرضه أبواب الكتاب في نهاية الكتاب قائلا: ((إن كتب إعراب القرآن تعرض الإعراب في ظل السور غير كتابنا هذا عرض السور في ظل الإعراب غير أنه لم يمض في هذا إلى آخر المطاف، بل ضمّ إلى هذه الأبواب الاعرابية أبوابا أخرى في أغراض مختلفة..))[١٦].

لقد شكّ المحقق بنسبة الكتاب في خلال تحقيقه، لكنّ عدم صبره على التحقيق جعله يدور في قراءته فلم يحسن قراءته، فلما ذكر الأبيات السابقة قال: ((ولكننا نلمس من هذا الاستشهاد الشعري الذي ساقه أن المؤلف كان يعني أن يكون الكتاب كتابا في النحو القرآني، بمعنى هذه الكلمات الواسع، وأنه كان في تأليفه متأثرا بالكتاب لسيبويه، ولما مرت به أعلام تأخرت وفاتهم عن الزجاج عدل عن الزجاج، وظل يدور في قراءته لينسب الكتاب ففهم من بعض العبارات في الكتاب أن المؤلف يتحامل على المشارقة، كقوله وهو يذكر أبا علي الفارسي فارسهم[١٧]، وعندما ينقل عن الجرجاني: إنما

---

[١٥] ١٠٩٥/٣ من المطبوع.

[١٦] السابق.

[١٧] ص٧٩١ من المطبوع.

العجب من جرجانيكم[١٨] فذهب ظنه إلى أن صاحب الكتاب مغربي لا مشرقي، فاستعرض من ألفوا في إعراب القرآن ونحوه فوقع اختياره على مكي بن أبي طالب المتوفى (٤٣٧هـ)[١٩] ولم يكن موفقا بهذا الاختيار؛ لأن مكيا لم يعرف له مصنّف في إعراب القرآن سوى (مشكل إعراب القرآن) وهو لا صلة له بهذا المخطوط والمحقق لو قام بتحقيق الأبيات المذكورة (أحبب النحو من العلم..) لفتحت له بابا لمعرفة نسبته واسمه.

قال ياقوت هي من منظومه. له من التصانيف كتاب شرح اللمع وكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القراءات، قرأت في خاتمة المشكلات للجامع هذا ما صورته، وقد أمللته بعد تصنيف كتاب الجواهر وكتاب المجمل وكتاب الاستدراك على أبي علي...[٢٠]. وأثبت الأبيات له أيضا القفطي[٢١] والسيوطي: بغية الوعاة، ١٦٠/٢، والفيروزآبادي: البلغة ١٥٥، والصفدي في نكت الهميان، ٢١١.

وذكر الصفدي الكتب التي ذكرها ياقوت وكلها مذكورة في الكتاب، وهي دليل قوي لاسم الكتاب واسم مصنفه، كما فصل الحديث والشواهد والاحالات جمعا الأستاذ أحمد راتب النفاخ في بحثه المنشور بقسميه في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٤٨ ج٤ ص٨٢...

---

[١٨] ٨٩٧ من المطبوع.

[١٩] ينظر ص١٠٩٨ و ١٠٩٩ من المطبوع.

[٢٠] معجم الأدباء، ١٦٦/١٣، ١٦٧.

[٢١] انباه الرواة، ٢٤٧/٢.

وكان ((كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات)) موضوع رسالة دكتوراه لمحمد أحمد الدالي بإشراف الأستاذ النفاخ وهو أيضا دفع الدالي لتحقيق كتاب: الجواهر، وطبع في الكويت ٢٠١٤م بعنوان ((جواهر القرآن ونتائج الصنعة)) بأربعة أجزاء وهو عنوانه الصحيح ولمصنفه الباقولي، وهنا تنازع الكتاب ثلاثة أسماء اثنان زائفان والثالث الصواب هو أبو الحسن علي ابن الحسين الباقولي المعروف بالجامع.

٣) مخطوطة أخرى نشرت باسم ((نقد النثر)):

نسبت لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ نشرها عبد الحميد العباوي، فبالرغم من شك زميله الدكتور طه حسين في نسبة الكتاب لقدامة في كتابه ((من حديث الشعر والنثر)) وكرر الشك في بحثه في مؤتمر المستشرقين سنة ١٩٣١ بالفرنسية ظل العبادي مصرا على الالتزام بالعنوان على نسخة مخطوطة مكتبة الاسكوريال، فكان على المحقق أن يشك ويتأمل للتأكد من عدم وجود نسخة أخرى لنسخته الفريدة في فهارس المكتبات الأخرى ربما تكون أقدم وأتم ليستعين بها، لكنه ترجم بيان زميله الدكتور طه حسين وجعله تمهيدا للكتاب عند طبعه، وقد عبر آخرون عن شكهم بمقالات في نسبة الكتاب، فالدكتور شوقي ضيف أعلن نسبته كما ذكرها الأستاذ علي حسين عبد القادر[٢٢] بأن المؤلف الحقيقي إسحاق بن إبراهيم بن وهب واسم الكتاب

---

[٢٢] مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م٢٣ – ١٩٤٨، م٤، ج١٩٤٩.

((البرهان في وجوه البيان))[٢٣] من خلال قراءته النسخة التامة المحفوظة في تشستربيتي في دبلن التي ذكرت المصنف وقد سقط من نسخة الاسكوريال.

ثم قام بتحقيقه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ونشراه بعنوانه الحقيقي ونسبته إلى مؤلفه[٢٤].

سبب التنازع هنا تسرع المحقق وعدم صبره لاستكمال خطوة التحقيق الأولى في جمع النسخ قبل القراءة.

٤) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى: ((التبيان في شرح الديوان)). المنسوب لأبي البقاء العكبري المتوفي ٦١٦هـ.

لقد استطاع الدكتور مصطفى جواد بقراءته بصورتيها الداخلية والخارجية أن يخرج بأدلة على أن هذا الشرح ليس للعكبري وإنما هو لأبي الحسن علي ابن عدلان المتوفى ٦٦٦هـ[٢٥] وأحد الأدلة هو استشهاده بكتابه (نزهة العين في اختلاف المذهبين) في إحالته مسألة نحوية، ولم نجد أحدا نسب هذا الكتاب للعكبري من الذين ترجموا له... لكن للعكبري كتاب باسم (التبيان في إعراب القرآن) مطبوع بجزأين.

---

[٢٣] كتاب البلاغة، د. شوقي ضيف، ٩٣.

[٢٤] ينظر: التفصيل في مجلة معهد المخطوطات العربية، م٢٦، ع١، ص٢٢٦ – ٢٣١.

[٢٥] تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي.

المصادر:

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي علي بن يوسف، مطبعة دار الكتب المصرية.
- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب أبو الحسن إسحاق، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب وخديجة الحديثي م. العاني، بغداد ١٩٦٧م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تر: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- البلاغة تطور وتأريخ، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- البلغة في تأريخ أئمة اللغة، الفيروزآبادي، تح: محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.
- التراث في اتون الحروب، الدكتور بغداد عبد المنعم، تقديم: الدكتور فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية.
- الجامع في العروض والقوافي – أبو الحسن العروضي أحمد بن محمد، تر: الدكتور زهير غازي زاهد والاستاذ هلال ناجي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٦م.
- الرد على النحاة – ابن قضاء القرطبي، تحقيق: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.
- ريحانة الألباب وريعانة الشباب في مراتب الآداب، الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خبر، مخطوط بالخزانة الحسينية رقمها ٢٦٤٧.

- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، الدكتور علي جواد الطاهر، م. المعارف، بغداد ١٩٥٨م.
- صنعة الشعر للسيرافي، غلطا، الدكتور منجي الكعبي، تونس.
- الفصول والغايات، أبو العلاء المعري، فسر غريبه محمود حسن زناتي، المكتبة التجارية للطباعة، بيروت.
- الكامل في التأريخ، ابن الأثير عز الدين، تر: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠١٠.
- كتاب إعراب القرآن المنسوب للزجاج، بحث الأستاذ أحمد راتب النفاخ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٤٨، ج٤.
- المخطوط العربي وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بين، كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٤م.
- لمحات من تأريخ الكتب والمكتبات، عبد الستار الحلوجي، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٢، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر، ١٩٨٠م.
- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي جمال الدين، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.
- الموشح مآخذ العلماء على الشعراء – المرزوقي أبو عبيد الله محمد ابن عمران، تح: علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر ١٩٦٥م.
- نقد النثر – قدامة بن جعفر، نشر: عبد الحميد العبادي، دار المكتبة العلمية، بيروت ١٩٩٥م.

- نكت الهميان في نكت العميان، الصفدي صلاح الدين منشورات الشريف الرضي، طبعة مصورة عن طبعة أحمد زكي بك بمصر ١٩١١م.
- الوافي بالوفيات، الصفدي صلاح الدين، ج١٩ طبعة جمعية المستشرقين الألمان.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان شمس الدين، تحـ: إحسان عباس، ط٤، دار صادر، بيروت ٢٠٠٧م.

رهانات الهوية المتشظية

قراءة في التقرير السريّ للملك فيصل الأول[١] عام ١٩٣٢ حول الوضع العراقي في ضوء نظرية البنيوية التوليدية

الأستاذ الدكتور

إسماعيل نوري الربيعي

عميد كلية الآداب والعلوم

الجامعة الأهلية – البحرين

الملخص:

القراءة تتوجه نحو دراسة مذكرة الملك فيصل الأول التي وضعها حول الأوضاع التي تمرّ بها المملكة العراقية في ظل تعاقب الأزمات والوضع الحرج الذي كانت تعاني منه. ومن هذا فإن الملك توجه في مذكرة محدودة التداول، الفئة المقصودة تتمثل في النخبة السياسية ورجال الحكم من المقربين لدائرة الحكم الضيقة. ومن هذا فإن فيصل الأول، وضع فيها جملة من الآراء الصريحة التي تصل في مباشرتها إلى حد الصدمة. فهو آثر أن يستخدم أسلوب المكاشفة والمجاهرة، وراح يمارس فعالية التداعي الحرّ، من خلال تقديم آرائه وتصوراته حول أسلوب الحكم والإدارة المطلوبة. الملك في التقرير يخص فيه الوزراء ورجال الثقة. والغاية تتركز حول أهمية مواجهة العائق الأكبر الذي يتمثل في (تشظي

---

[١] محفوظات مستودعات وزارة الداخلية، بغداد، دائرة المفتش الإداري، العدد ٢٣٥، ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٢.

الهوية الوطنية) حيث الاختلاف الطائفي والعرقي، الذي راح يتضخم ويشكل العقبة الكبيرة في وجه أي تقدم يمكن أن تحرزه البلاد.

ومن أجل الوقف على تحليل علمي لهذا التقرير، توجهت الدراسة نحو تطبيق منهجية Genetic structuralism بحسب التنظير الذي وضعه Lucien Goldmann، لما فيه من مرونه علمية تساهم في الكشف عن الكثير من خفايا النص. فكان التطلع نحو استثمار مفهوم الفهم Comprehension، من أجل الوقوف على الدلالات الاجتماعية التي يزخر بها النص، سعيا لبلوغ مستوى التفسير والشرح Explication حيث المسعى نحو تمييز العلاقات القائمة بين البنى الاجتماعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية، والتأثير المتبادل بينها على صعيد الواقع. ومحاولة الكشف عن ملابسات الوعي الجمعي Collective awareness، من خلال ترصد البنية الدلالية Semantic structure، والمتمثلة في تشظي الهوية. حيث أحوال الصراع القائم بين المكونات الاجتماعية الطائفية والعرقية. بنية لا تعرف سوى توليد المزيد من البنى الفرعية، والتي تشكل عائقا في وجه بنية الدولة، وطريقة النظر نحو المستقبل.

المقدمة:

نحن بإزاء قراءة نص يعود إلى الملك فيصل الأول، الرجل الذي عركته التجارب الطوال والمواقف. السياسي الذي عرف عنه الهدوء والحنكة والتوجه السياسي الحكيم، حيث رؤيته التي تعتمد مبدأ (**خذ وطالب**) تلك التي تمكن من خلالها عقد أحوال التوازن والتوافق بين متطلبات الحكم الوطني وقيام أول

مملكـة عراقيـة فـي التـاريخ المعاصـر، بعـد أن رشـحه البريطـانيون لهـذا المنصـب. وأحـوال وموجهـات الشـعب العراقـي الـذي اسـتطاع أن يقـارع الإمبراطوريـة العظمـى، ويجعـل منهـا مجبـرة علـى تغييـر بوصـلتها السياسـية وطريقـة تعاطيهـا مـع البـلاد فـي أعقـاب قيـام ثـورة العشـرين، التـي نهـض بهـا الشعب بمختلف فئاته وأطيافه. لم يكن فيصل المرشح الوحيد لشغل عرش العراق، لكن الخيـار البريطـاني وقـع عليـه. فيمـا واجهتـه التحديات منذ اليوم الأول لتسـنمه المنصـب، ولا سـيما تلـك اللازمـة المرتبطـة بالهويـة المحليـة (العراقية) وهو الرجل الحجازي، على الرغم من النسب الشريف الذي يحمل. لكن استحكامات بنـاء نموذج الدولـة الوطنيـة فـي بواكيرهـا، أجبـر البريطـانيين على هذا الخيار، حيث التوازنات المتعلقة بالخصوصية التي يتمتع بها العراق وأحـوال التعـدد العرقـي والتنـوع المـذهبي والاخـتلاف الطـائفي. فضـلا عـن تـأثيرات المواقـع والمواقـف والوعـود التـي درج عليهـا البريطـانيون، خـلال خوضـهم للحـرب العالميـة الأولـى، والظـروف السياسـية الدوليـة والمعاهـدات وطريقة توزيع القوى والنفوذ والمصالح .

النص قيد القراءة الذي خطه يراع الملك فيصل الأول، يتمايز بالغضب ويمـور بالتحدي، ويجاهر بالحقائق الصـادمة، ويعمـل علـى الكشـف المباشـر دون مواربـة أو مجاملـة . نـص يتكشـف علـى الواقـع العراقـي إلـى الحد الـذي يكون الفضح فيه ملفتا لغزارة الأسى والألم والقنوط الذي أثقل علـى الملك، حتى راح يصرخ من خلال هذا النص الراعد المدمدم. لكن لا بد من التنبه إلـى حقيقة مهمة تتعلق بأن هذا النص لم يكن للنشر العلنـي، بقدر ما كـان موجها للتداول المحدود الذي يستهدف رجال الحكومة العراقية . فهو لا يعدو

عن كونه مذكرة داخلية غايتها مخاطبة كبار رجال الدولة، سعيا إلى التذاكر والتباحث على وفق أسلوب الكشف، وتجاوز أحوال القفز على الحقائق والاندراج في الدبلوماسيات والمجاملات البروتوكولية. الملك هنا يؤشر مكامن الخطر الذي يحيق بالبلاد، وينتظر من رجال الدولة العمل بجدية والمساهمة في وضع المساهمات الجادة، لمواجهة الواقع المزري الذي راحت تخوض فيه البلاد. ولاسيما في ما يتعلق بقضية الهوية الوطنية، واحوال الانقسام والتوزع الطائفي والعرقي والمذهبي. تشخيص لا يني عن وضع النقاط على الحروف دون تزييف، ساعيا من خلال أسلوب الصدمة إلى أهمية التنبه إلى ما يدور في البلاد من تحديات وأحوال عدم الرضا الصادرة عن الشعب. مذكرة لا تتوان عن دق ناقوس الخطر، حيث التحذير على أشده، والتنبيه إلى أهمية إعادة النظر بالتفاصيل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يرزح تحت ظلها العراق في ظل الأوضاع العالمية الحرجة، حيث سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية والانهيارات المالية التي راحت تعيشها أسواق المال والكساد التجاري وما ينجم عنها من توترات سياسية.

منهجية القراءة

تحاول القراءة اعتماد منهجية البنيوية التوليدية Genetic structuralism من خلال التنظيرات التي أسس لها لوسيان غولدمان Lucien Goldmann ١٩١٣ – ١٩٧٠ حول طبيعة التعاطي مع النص بوصفه بنية منفتحة على الخارج، من خلال التفاعل مع الواقع وترصد المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية. الأمر هنا لا يسقط في المباشرة أو الانعكاس الواقعي، بقدر ما يكون التركيز على

أهمية تمييز عناصر السلوك الإنساني ومدى اختزانه بالدلالات بوصفه ملكية جماعية[٢]. تبادل تتم صياغته من خلال تلاقح الذاتي بالموضوعي، سعيا إلى توسيع أفق دراسة الواقع، بعيدا عن التقاطع والولوج في التعارضات والتقاطعات[٣]. نعم لا شك أن العناية تتوجه نحو دراسة البنى، ولكن البنى في لحظة تفاعلها وتشكلها[٤]، البنيات المقصودة هنا لا تتعلق بالسكون، بقدر ما يكون التطلع نحو قراءة البنى التي يتم العمل على فحصها حيث البنية العلوية تلك التي تتمثل في (النص) والبنية السفلية المتمثلة في (المجتمع)، انطلاقا من أوضاع التماثل Homology القائم بينهما،, وما يمكن أن يؤثر في أوضاع وأحوال مجال تشكل الوعي التاريخي[٥]، من خلال التوقف

(2) François Dosse, 1997, History of Structuralism: The rising sign, 1945-1966, Translated by Debora Glassman, University of Minnesota Press, p 175

(3) Richard A. Macksey, Eugenio Donato, Editors, 2007, The Structuralist Controversy: The Languages of Criticism and the Sciences of Man, The Johns Hopkins University Press, Baltimore, p 103.

(4) structures *as* processes of formation . *See, Anthony Wilden,* Editor,2007, System and Structure: Essays in communication and exchange, Routledge, London, p 311.

(5) historical (not biological) formation and development of structures (forms of consciousness). See, Colin MacCabe, Holly Yanacek, Editors, 2018, Keywords for Today: A 21st Century Vocabulary . Oxford University Press, p169.

والتمعن في التوظيف الذي تمنحه السوسيوسيولوجيا الوظيفية. باعتبار أن الهدف والغاية إنما يقوم على محاولة دراسة الظاهرة الثقافية والاجتماعية والتاريخية، بناء على الفهم Comprehension والتفسير Explication. هذا العنصران اللذان يشكلان العمد الرئيس لموجهات القراءة المتعلقة بفرضيات لوسيان غولدمان(٦). سعيا إلى الوقوف على ترصد موجهات رؤى العالم world–view (Weltanschauung)، باعتبار العلاقة القائمة بين النص والمجتمع، هذا الأخير الذي تولد فيه النص، مع أهمية الوقوف على الأوضاع التي كان لها الأثر المباشر في التحكم في إنتاج بنية النص الداخلية(٧). من هنا تحديدا تتبدى الطريقة التي يمكن من خلالها الوقوف على المقاصد والأهداف التي يرومها كاتب النص، حيث رؤى العالم التي يتبناها، والتي يمكن تمييزها من خلال العمل على فصل النتائج التي يرومها كاتب النص ومنشؤه، والخلاصات الدالة والعميقة التي يريد إبلاغها (للقاريء– المستلم)، مع أهمية الأخذ بالحسبان أهمية تفحص السياق الذي صدر فيه النص. المسألة إذا هنا لا تنطوي على تقويم نص، بقدر

---

(6) James M Brown, 1982, Dickens: Novelist in the Market–Place, Macmillan, London, p 23.

(7) Michael Löwy, Robert Sayre, 2001, Romanticism Against the Tide of Modernity, Translated by Catherine Porter Duke University Press, p 14.

ما يستند إلى القيم التي يحملها النص، والحاجات التي يلبيها والأهداف المطلوب تحقيقها والغايات المأمولة والمقاصد التي يروم بلوغها[٨].

في المسعى نحو الوقوف على الفهم Comprehension لنص الملك فيصل الأول، لا بد من البحث في المجمل المتعلق بالبنية النصية الداخلية (للمذكرة – التقرير)، سعيا نحو فرز الدلالات الاجتماعية التي يتوافر عليها. بعيدا عن الاقحامات والتدخلات الخارجية والإضافات. وهذا بالطبع يبقى رهنا بطريقة تفحص النص من خلال التتبع الدقيق للمجمل من الفقرات التي يحتويها، وصولا إلى تمييز البنية الدلالية Semantic structure[٩] للنص والتي تشكل الفكرة الموضوعية التي يقوم عليها. والتي تكون متقاربة مع البنيات الذهنية الخاصة mental structures لمجتمع الدراسة[١٠]. فيما تتوافر عملية الشرح (التفسير) Explication على القراءة الخارجية، باعتبار السعي نحو الربط الجدلي ما بين النص والمؤثرات الخارجية، تلك المتعلقة بالمستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية

(8) William M. Sullivan. 1986, Reconstructing Public Philosophy University of California Press, Berkeley, p 121.

(9) George Ritzer, Jeffrey Stepnisky, 2018, Sociological Theory, sage, Los Angeles, P 505.

(10) Christopher John Murray, Editors, 2004, Encyclopedia of Modern French Thought, Routledge, London, p 268.

والتاريخية[١١]. بعيدا عن التعرض للعامل النفسي، على اعتبار أن منهج البنيوية التوليدية إنما يقوم على دراسة الوعي الجمعي[١٢].

البنية الدلالية التي تقوم عليها مذكرة فيصل الأول تستند إلى **(رهانات الهوية المتشظية)** حيث جدل السياسي بالاحتماعي بالثقافي بالتاريخي بالاقتصادي. الملك فيصل يحدد في (مذكرته، نصه) وبصرامة لافتة أن المقصود هم (الوزراء ورجال الثقة) المقربين منه والضالعين بإدارة الدولة. الغاية منها تقوم على فكرة {**الدولة وشؤون الحكم والعمل على إقامة مملكة تقوم على أسس ثابتة**} والسبب الموجب لذلك ينطوي على {عوامل التخريب والهدم التي فيها، كالجهل، واختلاف العناصر، والأديان، والمذاهب، والميول، والبيئات} ستة عناصر يشخِّصها حول الهوية المتشظية التي راحت تهدد وجود الكيان السياسي العراقي. قوام التشخيص الصادر عن الملك يقوم على تحديد النقص الفاضح في {**الوحدة الفكرية والملية والدينية**} إنها أحوال التشظي والانقسام وتبديد الجهود، الأمر الذي يستدعي المزيد من بذل الجهود للحصول على سياسيين يمتلكون (الحكمة والتدريب). الأمر هنا لايقوم على مطلب تقليدي يمكن انجازه من خلال ورشة عمل أو دورة تدريبية، بل يقوم على التعاطي مع مفهوم الواقع السياسي من خلال الشكل والمضمون. المطلوب والمرغوب الذي يتوقف عنده الملك يقوم على البحث عن سياسي

---

(11) Peter Uwe Hohendahl, 1991, Reappraisals: Shifting Alignments in Postwar Critical Theory, Cornell University Press, p 84.

(12) Lee Marshall, 2005, Bootlegging: Romanticism and Copyright in the Music Industry, SAGE Publications , London, p 96.

قادر على المساهمة والمشاركة الجادة في بناء المملكة العراقية بعيدا عن (الحساسيات والشخصية والطائفية والتطرف). الملك يريد سياسيين يمتلكون؛ **{العدل والموازنة والقوة واحترام تقاليد الأهالي}.**

خلطة مثالية يرجوها الملك في مجموعة من البشر تولوا المناصب السياسية . يريد منهم أن يكونوا بعيدين عن المؤثرات الرجعية والتطرف، وأن تكون ردود أفعالهم تستند إلى الحكمة. الملك ينطلق من رؤية ليبرالية حيث الإيمان بالتعددية والتنوع والاختلاف والتسامح والتعايش، الأمر الذي جعل منه يصرح دون تردد حول أوضاع الانقسام والتشظي الذي ينال من البلاد. يصرِّح دون خشية اتهامه بالتحريض أومحاباة طرف على آخر. وهكذا يقوم بتحديد تسعة عناصر وأنواع وأشكال، تلك التي تشكل (خلطة التشظي العراقية) والمستندة إلى ؛ {١. **الشبان المتجددون بما فيهم رجال الحكومة، ٢ المتعصبون، ٣ السنة، ٤. الشيعة، ٥. الأكراد، ٦. الأقليات غير المسلمة، ٧. العشائر، ٨. الشيوخ، ٩. السواد الأعظم الجاهل، المستعد لقبول كل فكرة سيئة بدون مناقشة أومحاكمة}** القراءة البنيوية التوليدية تجعل منا متطلعين نحو العناية ببنية النص الداخلية، تلك التي تجعل منا قادرين على تمييز مفاصل (**البنية الدلالية**) التي تتحكم في النص برمته، باعتبار المسعى نحو فهم النص، لكن هذا يبقى بحاجة إلى التفسير، مما يجعل الإحالة متطلعة نحو أهمية تحليل البنية الثقافية والأيديولوجية من أجل استكشاف ملامح الوعي، هذه البنية التي تجعل من القارِئ والفاحص للنص متوجها نحو الوقوف على البنية الاجتماعية حيث التطلع نحو تمييز مفاصل القوى الاجتماعية وطريقة توزيع المواقع. سعيا نحو الوقوف عند

البنية التاريخية باعتبار البحث عن أحوال التشكل والتفاعل بين القوى على صعيد اللحظة الزمنية التي تشكل لحظة تكوين الموقف، الذي تمت إعادة إنتاجه من خلال النص الذي كتبه الملك فيصل الأول.

المشكلة التي يواجهها الملك فيصل الأول تقوم على أحوال التقاطع في المواقف مع النخبة السياسية الحاكمة التي تحيط به، والذين لا يتورعون عن التصريح وبشكل مباشر إلى أن التعاطي مع هذا الاختلاف والتعدد، إنما يجب معالجته اعتمادا على القوة . وأن من يطالب بالحقوق ويعمد للمجاهرة بالرأي فإن السبيل الوحيد للمواجهة تقوم على توظيف القانون والنظام والقوة، لإسكات القوى المعارضة . تشخيص يصدر عن الملك يحلل فيه أنماط الوعي فالملك ينطلق من أحوال الوعي الممكن The possible conscience المستند إلى الانفتاح والإيمان بأهمية التغيير سعيا نحوبناء المستقبل(١٣). فيما يتحصن الغالبية من رجال السياسة المحيطين بالملك بأحوال الوعي الزائف False consciousness الذين يعمدون إلى التعاطي مع القوى الاجتماعية بتعالٍ وخيلاء ورؤى غير واقعية، باعتبار محاولة استغلال قوة السلطة في كبت القوى المتقاطعة في الرؤى والتصورات(١٤). الملك يتوجه برغبة عارمة نحوتشكيل الوعي الواقعي Real consciousness القادر على مواجهة التحديات والتحولات التي يزخر بها

---

(13)Tzachi Zamir, 2007, Double Vision: Moral Philosophy and Shakespearean Drama, Princeton University Press, p 49.

(14) Joseph Gabel 2017, Ideologies and the Corruption of Thought, Routledge, New York, p 22.

الواقع المعاش(١٥). وهكذا يخلص الملك في معرض تقويمه لموقف رجال النخبة السياسية التي تحيط به {**إن عدم المبالاة بالرأي بتاتا مهما كان حقيرا، خطيئة لاتغتفر**}. إدانة صادرة عن الملك بحق النخبة السياسية، وهوموقف يحسب للملك فيصل، ولا سيما وأن أحوال الصراعات التي كات تحيط بالملك تشير إلى صراع الولاءات المحتدم الذي كانت تفرزه العلاقات السياسية في العراق. حيث الهيمنة والسطوة البريطانية، والمواجهات والتداعيات التي كانت تعن على رجال النخبة السياسية، من صراعات ومواجهات، ومصالح وتزاحم على المواقع. ونحن في غمرة الاعجاب بموقف الملك حول أهمية احترام الراي الآخر. إلا أما يعقبها من إنشاء يكشف عن الممارسة البراغماتية التي ينهجها الملك. فهولا يتورع عن الحاق الجملة البالغة الدلالة والفصاحة، بـ جملة أخرى تقوم على الترقيع والتسويغ{**ولو أن بيد الحكومة القوة القاهرة، التي تمكنها من تسيير الشعب رغم ارادته، لكنت وايّاهم**}. الملك يجعل من المبادئ محلا للمساومة. بمعنى أنه لو امتلك القوة القاهرة لما تردد عن قهر الشعب؟! حيث يشير باعتراف غير قابل للبس {**وعليه فاننا لحين ما نحصل على هذه القوة**}، ولنا أن نطالع هذه الجملة اللاحقة التي تفسر كل شيء {**علينا ان نسير بطريقة تجعل الامة مرتاحة، نوعا ما، بعدم مخالفة تقاليدها، لكي تعطف على حكومتها في النوائب**}

---

(15) Mbukeni Herbert Mnguni, 1999, Education as a Social Institution and Ideological Process, Waxmann, New York, p 82.

الأمر هنا ينطوي على فرصة لجذب الأنفاس، في معادلة قوامها (اجعل الأمة مرتاحة، كي تعطف عليك في النوائب). وهكذا يبدأ الملك في تقديم الأمثلة الحيّة الصادرة عن الواقع، ولا سيما في ما يتعلق بالإضراب العام[١٦] والذي مثّل تحديا خطيرا للملكة العراقية، بعد أن توجهت قوى المعارضة نحو استخدام سلاحٍ غير تقليدي استند إلى قوة العمل في شل حركة الدولة. فيما تمثل التحدي الخطير في المواجهات المسلحة التي عمّت المناطق الشمالية حيث ثورة الشيخ محمود الحفيد[١٧]. الملك هنا يعيش أحوال

---

[١٦] بدأ الإضراب العام في مدينة بغداد وعم العديد من المدن العراقية في ٢٧ حزيران/ يونيو ١٩٣١ واستمر حتى ١٨ تموز/ يوليو ١٩٣١، احتجاج على قانون رسوم البلدايات رقم ٨٦ لسنة ١٩٣١. والقاضي باستقاء رسوم بلدية يتم دفعها من أصحاب المهن والحرف إلى أمانة العاصمة . والإضراب كان موقفا إزاء التجاهل الصادر عن وزير الداخلية بحق جمعية أصحاب الصنائع في بغداد . ونتيجة لقوة تأثيرة أطلق عليه العديد من التسميات منها ؛ الهيجان، ثورة الشعب الصامتة، إضراب رسوم البلدية. حيث عم الشلل والتوقف الشامل للمجمل من الفعاليات التجارية والاقتصادية في بغداد، الأمر الذي وضع الحكومة في مأزق حرج لا تحسد عليه، لا سيما وأن العالم كان يعيش أحوال الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ – والتي استمرت حتى ١٩٣٣. أنظر، ميثم غانم المحمودي، حق الإضراب بين الحظر والإباحة، دار الفكر والقانون، المنصورة – مصر ٢٠١٦، ص ١٠٤. أيضا، فيان حسين أحمد، حرية الصحافة في العراق ١٩٢١-١٩٣٣ دراسة تاريخية، دار المعتز للنشر، بغداد ٢٠١٦، ص ١٤٦.

[١٧] ثورة الشيخ محمود حفيد زادة البرزنجي ١٨٨١-١٩٥٦: زعيم دني وقبلي، تزعم أول مواجهة مسلحة ضد الاحتلال البرطاني عام ١٩١٩ وتم نفيه إلى الهند. أعاده البريطانيون من منفاته لمواجهة الأتراك في السليمانية، لكن العلاقة سرعان ما اضطربت ليعود إلى حمل السلاح من ١٩٢٤ حتى ١٩٢٧. لينسحب على إيران، ثم

التماس مع الواقع، عبر المقارنة المباشرة التي يعقدها بين الدولة وجهازها الحكومي والشعب. مقارنة يبدأها محسومة بشكل لافت، حيث يبدأ من النتائج لينتهي بالمقدمات، وهكذا يضع النتيجة {يضطرني للقول أن الحكومة أضعف من الشعب}. الملك يقصد هنا أحوال الضعف القائمة على القوة، وليس الخوض في الاستعارة أو الألعاب البلاغية. ما يتوقف عنده الملك ويشغله وبتركيز لافت مسألة القوة، وأهمية السيطرة عليها. وهو يطرح مثالا مفاده أن الشعب العراقي يمتلك مئة ألف بندقية، فيما الحكومة تملك خمسة عشر ألف بندقية . ومن هذا تتجلى دعوته لرجال حكومته {وأدعوا انظار رجال الدولة، ومديري دفة البلاد، للتعقل وعدم المغامرة}.

الملك فيصل يتقمص دور البطل الإشكالي Problematic heroes، حيث المسعى نحوتثبيث المعايير والقواعد في مجال يعيش أحوال الصراع على المواقع والمصالح[(١٨)]. إنها المواجهات والتحديات التي لا تعرف الانقطاع، بل إن المشكلة الواحدة التي تظهر على صعيد الواقع، لا تني أن تولّد أخرى أشد مرارة وقسوة. إنها أحوال الفشل والاضطراب، لأسباب تتعلق بالحجم الهائل الذي تقوم عليه إشكالية تشظيات الهوية العراقية. وهكذا يقع

يعود إلى السليمانية في آيار/ مايو ١٩٣٠ حاملا السلاح حتى تم القبض عليه ونفيه إلى مناطق الجنوب العراقي عام ١٩٣١. انظر، محمد جمال باروت، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية أسئلة وإشكاليات التحول من البدونة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ٢٠١٣. ص ٣٥.

(18) Rick Altma, 2008, A Theory of Narrative, Columbia University Press, p 149.

الملك فيصل ضحية العلاقة المرتبكة ما بين القيم التي يحملها والواقع المباشر؛ ليكون نموذجا حيّا على أحوال الاغتراب Alienation[١٩]. فهو على الصعيد الشخصي حجازي يعيش في العراق، وعلى صعيد منصب الملك الذي يشغله، إنما جاء بقرار وإرادة بريطانية، أما على صعيد إدارة الدولة التي يحكمها، فإن التقاطع في المواقف ما انفك حاضرا بينه وبين رجال النخبة السياسية، فهومن مدرسة خذ وطالب، فيما رجال الحكم الذين يحيطون به، يؤمنون بأهمية استثمار شرعية الدولة في بسط النفوذ على الجميع. الأكراد ينظرون إليه بوصفه عربيا، والشيعة يعتبرونه سنيا، والأقليات غير المسلمة يعتبرونه مسلما.

فيصل الأول يترصد ثلاث بنى اجتماعية رئيسة في العراق الأولى تلك التي يعبر عنها {العراق مملكة تحكمها حكومة عربية سنية مؤسسة على انقاض الحكم العثماني}، فيما يعمد إلى وصف البنيتين الشيعية والكردية بـ (الجهل)، الواقع أنه لا يتوانَ عن تحميل العهد العثماني وزر الأذى والتنكيل الذي نال من هذين المكونين. لكنه يتوقف مليا عند أحوال العلاقة القائمة ما بين السنة والشيعة مشيرا إلى؛ **{فتح خندقا عميقا بين الشعب العربي المنقسم الى هذين المذهبين، كل ذلك جعل مع الاسف هذه الاكثرية، أو الاشخاص الذين لهم مطامع خاصة الدينيبون منهم، وطلاب الوظائف بدون استحقاق، والذين لم يستفيدوا ماديا من الحكم الجديد}**. إنه يحاول تسويغ استخدام وصف (الجهل) الثقيل بحق أبناء شعبه، على اعتبار

---

(19) Barbara C. Foley, 1986, Telling the Truth: The Theory and Practice of Documentary Fiction, Cornell University Press, p 183.

أن الاقصاء العثماني لهم لم يمكنّهم من التدرب على شؤون الحكم، ومن هنا يمكن القول أن الجهل المقصود هنا يتعلق بالسياسة وشوؤن الحكم. لكن بوصلته تجعل منه متوجها نحو تمييز فئة بعينها، حيث الإشارة المباشرة إلى فئة (رجال الدين وطلاب الوظائف) بوصفهم من الفئات التي تعتاش على أسلوب التحريض ضد الدولة. ولاسيما التحريض الدائب حول مسألة الاضطهاد الذي يتعرض له الشيعة، والعمل على وصف نظام الحكم بالفاشل والسوء، وما لهذه الأوصاف من تأثير على {الرأي البسيط الجاهل} .

ها نحن نعود إلى الاستخدام المفرد لوصف (الجهل) لأبناء الشعب العراقي. الأمر الذي يدعونا إلى أهمية التوقف عندها. فهل يقصد الملك فيصل الجهل المتعلق بالتعليم الحديث والفقر والشح في المدارس؟ باعتبار انتشار الأمية وانخفاض معدلات المتعلمين في البلاد. أم الجهل المتعلق بـ **{هذه الكتل البشرية، المختلفة المطامع والمشارب المملوءة بالدسائس}.** الأقليات تحركها الجهات الدولية، من أجل تمرير أحوال الابتزاز السياسي، وأصحاب المصالح من آغوات وشيوخ قبائل لا ينفكون من محاولة التقرب من الحكومة، أما النخبة السيالسية فإن الاعتقاد الراسخ لديها يقوم على أنهم أصحاب المبادرة، والقادرون على إدارة اللعبة السياسية **{غير مبالين بنظرة السخرية التي يلقيها عليهم جيرانهم الذين على علم بمبلغ قواهم}.** فيصل الأول لا يفوته الإشارة المباشرة إلى أن الصراحة التي ينطلق ويحلق بها بعيدا، إنما تنطوي على أحوال، أن النص الذي يحرره إنما موّجه نحو فئة محدودة من النخبة ورجال الحكم المقربين. إنها الصراحة والكشف المباشر الذي يحاول من خلال الملك فيصل الإمساك بخيط الفاعل

الجماعيCollective actors على اعتبار أن التداعي الحر الذي يعمد إليه الملك فيصل، قد بلغ به الحدود القصوى[٢٠]، وأن المهمة التي ينوء بحملها إنما تحتاج إلى الجهود الصادرة عن الفاعل الجماعي، باعتبار القدرة على الإمساك بخيط الشعور الجمعي، والتطلع نحوالتعبير عن آمال المجموع، عبر صياغة الأهداف والأفكار المشتركة[٢١].

أحوال من الصراع الذي لا يعرف التوقف، ولا سيما أن المؤجه إنما يقوم على التحريض والدس، والعمل على إثارة الضغائن والأحقاد، تلك التي يتم تأجيج نيرانها على أيدي الطامعين بالحصول على الغنيمة من كيان الدولة. هكذا يشخص الملك الأحوال والأوضاع، عبر التركيز على الدور الذي يؤديه (المفسدون)، في مجال التحريض الطائفي والعرقي والديني فضلا عن الحرص الصادر من قبل القوى التقليدية تلك التي يطلق عليها الملك {**العقول البدوية والنفوذ العشائري للشيوخ**} إلى الحد الذي جعل الدولة تعاني من الوهن. إنه الترصد للمجمل من القوى التي تكافح وتصارع من أجل مصالحها، بالتقاطع مع الفكرة الوطنية التي تقوم عليها فكرة الدولة. هكذا يفصح الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي

---

(20)Jaan Valsiner, Editor, 2012, The Oxford Handbook of Culture and Psychology, Oxford University Press, p 334.

(21)Mitchell Cohen, 1994, The Wager of Lucien Goldmann: Tragedy, Dialectics, and a Hidden God, Princeton University Press, New Jersey, p246.

والتاريخي[٢٢]، عن حجم المأزق الذي يعيشه الملك فيصل الأول، إلى الحد الذي راح يجاهر صارخا {**اقول وقلبي ملآن اسى انه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد، بل توجد كتلات بشرية، خالية من اي فكرة وطنية، مشبعة بتقاليد وأباطيل دينية، لا تجمع بينهم جامعة، سمّاعون للسوء، ميّالون للفوضى، مستعدون دائما للانتقاض على اي حكومة كانت}**، هذا الأسى البالغ الشديد، وهذه المرارة الطافحة. تجعل من الملك يعيش أحوال البطل الإشكالي Problematic hero، فإذا كان حلم الملك قد توطن عند الشغف بحلم بناء الدولة الوطنية، والشعب الموحد . فإن صرخته هذه تكشف وبجلاء عن الاحباط الذي سيطر عليه، والفشل المؤلم ولا سيما أن القيم التي كان يأمل في غرسها والعمل على تطبيقها في الواقع[٢٣]، أثبتت عن عقمها وتراجعها، وهاهوذا يعود حاملا القيم التي بشّر بها حول الوحدة الوطنية ونبذ الطائفية والعنصرية، من خلال العمل على طرح المشروع الإصلاحي. إنه التعبير عن الأمل وأنه ثمة فسحة ممكنة يمكن أن يتم استثمارها.

---

(22) Christopher John Murray, Editor, 2004, Encyclopedia of Modern French Thought, Routledge, London, p 269.

(23) Rick Altman, 2008, A Theory of Narrative, Columbia University Press, p 149.

الخاتمة:

يكشف تقرير الملك فيصل الأول عن عمق الأزمة التي كان يعيشها، ولا سيما أنّه يصِّرح علنا بالفشل الذريع في تحقيق حلم الدولة الوطنية القائمة على أساس التوازن بين مكونات الشعب، وها هوذا يصِّرح وبطريقة شديدة المباشرة (يوجد شعب عراقي، ولكن توجد تكتلات بشرية) إنه الوصف الدقيق للحالة التي كان يفرزها الواقع السياس والاجتماعي العراقي، حيث النأي عن موجهات التوحيد، والانطواء على موجهات الهوية (العنصرية والطائفية والعرقية). الجميع متمسك بطريقة النظر إلى الدولة، بوصفها (الغنيمة) التي يفوز بها القوي. فيما تطيش المجمل من القيم المرتبطة بمفهوم الدولة من (علم ودستور ومجلس أمة). كل هذه الرموز والشعارات التي تم الإعلان والتبشير لها، إنما ذهبت أدراج الرياح على يد الساعين إلى تركيز معنى القوة. الأمر هنا لا يقف عند من تحصن عند موقع السلطة والمناصب السيادية الحكومية، بل تفاقم هذا الوعي لدى المكونات الشعبية، التي راحت تعبر عن المرارة والأسى والخسران والخذلان حول استبعادها عن السلطة.

إنها الأحوال التي تتطابق مع الوصف الذي يطلقه علي الشرقي على الشعب العراقي (قومي رؤوس كلهم أ رأيت مزرعة البصل ؟!). حيث السعي المحموم نحو الزعامة والرئاسة والسطوة والجاه. أحوال سطّرها الملك فيصل الأول في مذكرته ذات التداول المحدود في آذار/ مارس ١٩٣٢. لكن أطيافها ما انفكت تحضر وبغزارة لا فتة في الواقع العراقي الراهن. إنها بنية الوعي التي ما انفكت تؤلب وتحِّرض وتعمل على التحصن بمفاعيل الهوية، سعيا للحصول على المواقع التي ترجح كفتها في صراع السلطة المحموم.

بنيات ذهنية ما انفكت تحضر في حركة بندولية، منذ أول انقلاب عسكري استنّه الجنرال بكر صدقي عام ١٩٣٦، لتعود كرة الاحتدامات والصراعات، في تمثلات لا تخرج أبدا عن موجهات الهوية وتمثلاتها. حتى صيّرت الأيديولوجيا قبليا وعشائريا ومناطقيا على أيدي الراغبين في السطة حد الشره والطمع المفجع. لينتفض الآخر على سابقه، وهكذا صيّر الواقع العراقي ساحة صراع ما بين (الكتل البشرية) على حدٍّ وصف الملك فيصل الأول.

المراجع العربية:

١. أحمد، فيان حسين أحمد، حرية الصحافة في العراق ١٩٢١-١٩٣٣ دراسة تاريخية، دار المعتز للنشر، بغداد ٢٠١٦.

٢. باروت، محمد جمال باروت، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية أسئلة وإشكاليات التحول من البدونة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ٢٠١٣.

٣. محفوظات مستودعات وزارة الداخلية، بغداد، دائرة المفتش الإداري، العدد ٢٣٥، ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٢.

٤. المحمودي، ميثم غانم المحمودي، حق الإضراب بين الحظر والإباحة، دار الفكر والقانون، المنصورة – مصر ٢٠١٦.

References

1. Anthony Wilden, Editor,2007, System and Structure: Essays in communication and exchange, Routledge, London,

2. Barbara C. Foley, 1986, Telling the Truth: The Theory and Practice of Documentary Fiction, Cornell University Press, .

3. Christopher John Murray, Editor, 2004, Encyclopedia of Modern French Thought, Routledge, London, .

4. Christopher John Murray, Editors, 2004, Encyclopedia of Modern French Thought, Routledge, London,.

5. Colin MacCabe, Holly Yanacek, Editors, 2018, Keywords for Today: A 21st Century Vocabulary . Oxford University Press,

6. François Dosse, 1997, History of Structuralism: The rising sign, 1945-1966, Translated by Debora Glassman, University of Minnesota Press

7. George Ritzer, Jeffrey Stepnisky, 2018, Sociological Theory, sage, Los Angeles, .

8. Jaan Valsiner, Editor, 2012, The Oxford Handbook of Culture and Psychology, Oxford University Press, .

9. James M Brown, 1982, Dickens: Novelist in the Market-Place, Macmillan, London,.

10. Joseph Gabel 2017, Ideologies and the Corruption of Thought, Routledge, New York,.

11. Lee Marshall, 2005, Bootlegging: Romanticism and Copyright in the Music Industry, SAGE Publications , London,

12. Mbukeni Herbert Mnguni, 1999, Education as a Social Institution and Ideological Process, Waxmann, New York,

13. Michael Löwy, Robert Sayre, 2001, Romanticism Against the Tide of Modernity, Translated by Catherine Porter Duke University Press,.

14. Mitchell Cohen, 1994, The Wager of Lucien Goldmann: Tragedy, Dialectics, and a Hidden God, Princeton University Press, New Jersey,.

15. Peter Uwe Hohendahl, 1991, Reappraisals: Shifting Alignments in Postwar Critical Theory, Cornell University Press,.

16. Richard A. Macksey, Eugenio Donato, Editors, 2007, The Structuralist Controversy: The Languages of Criticism and the Sciences of Man, The Johns Hopkins University Press, Baltimore,
17. Rick Altma, 2008, A Theory of Narrative, Columbia University Press,
18. Rick Altman, 2008, A Theory of Narrative, Columbia University Press,.
19. Tzachi Zamir, 2007, Double Vision: Moral Philosophy and Shakespearean Drama, Princeton University Press,.
20. William M. Sullivan. 1986, Reconstructing Public Philosophy University of California Press, Berkeley,.

مصطلحات الصورفية والصونحية أو الصوترية
بدائل عربية في قاموس العربيةِ المعاصِرة
-دراسة وتطبيق-

الأستاذ الدكتور

صادق عبد الله أبوسليمان[١]

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المصطلحات الدالة على ظاهرة التغيرات الصوتية التي تصيب الكلمة دون أن تؤثر في معناها الدلالي أو الوظيفي، وقد نالت هذه الظاهرةُ عنايةَ علماء العربية عبر العصور في مجالات علوم الصوت والتصريف والتلاوة والتجويد والقراءات. ومن أهدافهِ أيضا الوقوفُ عند المصطلحِ اللغوي الأجنبي" Morphophonemics " الدالِّ على هذهِ الظاهرة ومرادفاته وترجماته العربية؛ ودعوةُ علمائها إلى استعمال مصطلح" الصَّوْرَفِيَّة" بديلا عربيا لهذا المصطلحِ الأجنبي ومرادفاته.

وخلُص البحثُ في هذا السياق إلى أن الفكرَ اللغويَّ العربيَّ القديمَ، وإنْ لم يختصّ مباحثَ الصَّورفيةِ بمصطلحٍ أو عنوانٍ أو علمٍ خاصٍّ يميّز منهجه في دراسة بنية الكلمة فإنه قد درس مضامينه في مجالِ علم

---

[١] أستاذ العلوم اللغوية في جامعة الأزهر- غزة/ فلسطين، وعضو مجمع اللغة العربية المراسل مصر، وعضو مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة، وفيه" عضو" المجلس العلمي"، و" الهيئة الاستشارية" لمجلته، ورئيس لجنة الألفاظ والأساليب، وعضو مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية سابقا.

التصريف أو الصرف، وأنه سبق غيرَهُ فيما ظُنَّ أنهُ إنجازٌ دخيلٌ معاصِر. وعلى وفق منهج الباحث في التدقيق والتفريق بين المتشابهات وعدم الخلط بين دوالِّها رأى أهميةً لابتكار مصطلحين لغويين جديدينِ، وإذاعةِ أحدِهما أو كليهما في مجالِ الدرس اللغوي العربي المعاصِر؛ وذلك للدلالةِ بأيٍّ منهما على مجالاتِ التغيّرِ الصوتيِّ الناتج عن وَصْلِ تتالي كلمتين في تركيبٍ أو أكثرَ بدون تأثيرٍ في المعنى؛ وهما مصطلحا" الصَّوْتَرِية" الدالّ على التغيرات" الصوتية التركيبية"؛ مراعاةً لمن اختار مصطلح" Syntax " وترجمه بـ" علم التركيب"، و" الصَّوْنَحِيَّة" الدال على" الصوتية النحوية" لمن رغب في مصطلح" Grammar " وترجمتِهِ" علم النحو".

المقدمة:

يقسّمُ جمهرةُ اللغويين المُحْدَثينَ دراساتِهم لِلّغة على مجالاتٍ أو مستوياتٍ أو علومٍ يختصُّ كلُّ واحدٍ منها بجانبٍ من جوانبِ اللغة، فهناك- في الأغلب- علم الصوت" **Phonetics** "، وعلم التصريف أو الصرف " **Morphology** "، وعلم النحو" **Grammar** " وعلم الدلالة " **Semantics** "، ونجدهم يُفرّعون من هذه العلوم فروعا علميةً يختصونها بمصطلحاتٍ ومضامينَ تُمَيِّزها، ومع هذا فإنهم يقولون بصلةِ هذهِ العلومِ بعضها ببعض بل تلاحمِها والجمعِ بينها أيضا في إطارِ علمٍ عامٍّ أو مصطلحٍ لغويٍّ واحدٍ هو" علم اللسانيات" أو" الألسنية" أو" علم اللغة" " **Linguistics** ".

وفي سياقات هذا التفريع وجدنا مَثلا بعضا من علماء اللغة المدققين قد لاحظ أنَّ هناكَ تداخلا في مجال دراسةِ بنيةِ الكلمةِ المفردة، التي يتولاها علماء التصريف أو المورفولوجيا، ورأى أنَّ هؤلاءِ العلماءَ **لم يفرِّقوا** في مجالات دراستهم للتغيير الصوتي الطارئ على صوتٍ ما نتيجةً لتفاعلِهِ مع مجاوريه من أصوات بنية الكلمة بين **التغيير المؤثر في المعنى، ونظيرِهِ الذي لا يتعدّى حدود التغيير في خصائص الصوت**. ورَتَّبَ على هذه الملاحظة الناقدة قوله بالتفريق بينهما، واختصاص التغيير المؤثر في بنية الكلمة ومعناها بعلم" التصريف" أو" الصرف" باللفظ العربي، و" علم المورفولوجيا" المُعَرّب من الإنجليزية إلى لغة الضاد.

أما التغيير الذي انحصَرَ تأثيره في مجال نُطق الصوت ليس غير فقد رأوه يجمع بين مجالي علمين لسانيين من مجالات علوم الدراسة اللسانية الحديثة، الأولُ" **علم الأصوات**" ولاسيما علم" **الفونولوجيا** " أو" **الفونولوجي**" " **Phonology** تعريبا، أو" **علم الأصوات التشكيلي**" أو" **الوظيفي**" ترجمة[٢]، والآخرُ" **علم الصرف" أو" علم التصريف**" عند علماء العربية القدماء وتابعيهم من المؤلِّفين أو المترجمين؛ أو" **علم البنية" أو" علم بناء الكلمة**" بحسب تسميةِ بعض لغويّي العربية المُحْدثين ترجمةً، أو" **المورفولوجيا**" أو" **المورفولوجي**" " **Morphology** " تعريبا.

---

[٢] تحلو لي تسمية هذا العلم بـ " علم الأصوات التفاعلي" أو إنْ شئتَ فقل:" علم نحو الأصوات" أو" علم هندسة الصوت"؛ بيانا لوظيفته التفاعلية بين الأصوات في بنية الكلمة.

وهنا وجدنا **علماء اللسانيات الغربيين** يلفتون إلى وجودِ **فرعٍ جديدٍ** من فروعِ الدراساتِ اللسانيةِ الحديثةِ يمزجون فيه بين علمي الفونولوجيا والمورفولوجيا، ويُعنى هذا الفرعُ بدراسةِ التعديلات" **Modifications** " التي تطرأ على بعض أصواتِ الجذور وما يزاد عليها في بناء الكلماتِ بدون تأثيرٍ أو تغييرٍ معنوي؛ وعليه فإن هذا الفرعَ من الدراسة اللسانية **لا يُعَدُّ علْما جديدا في مادةِ متنه**، ولكنهُ **جديدٌ في مجالِ التصنيفِ المنهجيّ أو العلميّ** المُدقّق عالمُه؛ وهو في هذا السياق نابعٌ من حِرْصِ **علماءِ اللسانيات** " **Linguist**s " في بلاد الغرب على التقنين، وتحديدِ مجالات علومهم أو اختصاصِ دراساتهم بدقة؛ وهو الأمر الذي جعلهم يَجودون له بهذا المصطلح الذي نعرض له في هذا السياق من الدراسة، وهو الدالُّ على **دراسة** تفاعلاتِ الصوت عند ائتلافه وغيره من الأصوات في بنية الكلمة؛ **وبيان** ما ينتج عنه من تبدلاتٍ في بعض أصواتها بدون تأثيرٍ وظيفيٍّ أو دلاليٍّ، وهو بذلك يفترق عن" **علم المورفولوجيا**"- **التصريف** أو **علم الصرف**- الذي اختصه جمهورهم بدراسة" **التغييرات الصرفية** " **Morphological changes** " التي ينتج عنها تغييرٌ في المعنى.

وعليه جاءت إشارة عالِمنا اللغوي- المرحوم بإذن الله- **الأستاذ الدكتور/ كمال محمد بشر**(١٩٢١- ٢٠١٥م) إلى أن هذا العلم" هو في المجال الوسط بين **الفنولوجيا أو علم الفونيمات وعلم الصرف،** وقد أطلقوا عليه- يقصد الباحثين الأمريكان- **علم الفونيمات الصرفي** " **Morpho phonemics** "، وَيُسَمّى عند غيرهم الآن" **الفنولوجيا**

الصـرفي" "**Morpho phonology**"، أو بصـورةٍ أخصـر " **Mor phonology** "[٣].

كما هو واضحٌ فإن مصطلح **الصَّوْرَفِيَّةِ** الذي نُعالجه في هذه الدراسة، وندعو إلى اعتماده مصطلحا عربيا لَيُشكِّلُ في أصلهِ ترجمةً لإنتاجٍ غرْبيٍّ صميم، وقد جاء في مصدره الأجنبي مترادفا بأكثرَ من تركيبٍ ذكرَ منها الدكتور كمال بِشْر- كما سبق- ثلاثة مصطلحات، و ذكر الدكتور أحمد مختار عمر مصطلحا رابعا هو مصطلح " **phono morphology** "[٤].

إنَّ هذا اللونَ من الدراسةِ- كما يُفهم من تعريف علمائه- يختص ببيان خصائص الصوت ووظيفته في بناء الكلمة، وهو مجال دراسة علم الفونولوجيا" **Phonology** " " **علم التشكيل الصوتي**" أو" **علم الأصوات التفاعليّ**"، وكذلك يبحثُ في بيان ما قد يصيبهُ من تبدّلاتٍ في **بنية الكلمة أو وتركيبها** بدون أيِّ تأثيرٍ في المعنيين الدلالي أو الوظيفي.

وهنا نرى أنفسنا أمام مستويين من مستويات علم اللغة: **الأول مستوى بنية الكلمة**، وهو مجالٌ من مجالات" علم المورفولوجيا" "**Morphology**" الذي يقابله مصطلح العربية التراثي" **علم التصريف**" أو" علم **الصرف**"، وهو العلم الذي لم يُغفِل أيضا الوقوف عند التغيرِ الصوتي غير المؤثر في

---

[٣] الدكتور كمال بشر: علم اللغة العام- الأصوات، دار المعارف بمصر- القاهرة (ج. ع. م)، ط١/ ١٩٦٩م، ص٥٥، وينظر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٠٣- ١٠٤.

[٤] الدكتور أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب- القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٧٠، ٤٢٨.

المعنى، والذي يقع في بنية الكلمةِ في حالاتٍ معينةٍ توالى دَرْسُها عند علماء العربية في مختلِف عصورهم بالتفصيل. **أما الآخَرُ** فهو **مستوى تركيب الكلمة**، ومجالُهُ علم التركيب" **Syntax** " أو علم النحو" **Grammar** "، ويدخل في مجاله التغييرُ الصوتيُّ الذي يترك أثرا صوتيا في الكلمة عند وقوعها في موقعٍ مُعيَّنٍ من التركيب أو الجملة بدون تأثيرٍ معنوي.

وفي هذا **السياق التركيبي** الذي أشرنا إلى وجوده عند العرب قرأنا **دافيد كريستل** في قاموسه اللغوي يذكر أن تركيب" بنية اللغة" **Linguistic structure** " يشكّل مستوًى لُغويا مستقلا يقع بين" **علم النحو**" " **Grammar** و"الفونولوجيا" علم الأصوات التفاعلي" " **Phonology** "، وأنه في الإصدارات الأولى لعلم النحو التحويلي" " **Generative grammar** " تمَّ تمييزُ القواعد الصورفية " **Morphophonemic rulse** " وتصنيفُها بوصفها **محتوًى مستقلا لاشتقاق الجمل**، حيث يتمُّ فيه تشكيل سلسلة من الوحدات الصرفية " **Morphemes** " في شكلها الصوتي الصحيح؛ الأمر الذي جعل من مصطلح" **الوحدة الصوتية النظامية**" " **Systematic phonemics** " معيارا قياسيا في أحدث نظرية تحويلية" **Generative theory**"[٥].

وعلى هذا فإن هناك تأثيرا موقعيا ينتج عنه التغيير الذي قد يصيب بعضَ أصوات **الكلمة مفردةً أو مُركَّبَة**، وهذا يعني وجودَ اعتباراتٍ صوتيةٍ

---

[5]Crystal, D. : A first dictionary of Linguistics and Phonetics, Andre Deutch Limited – Second impression, 1983, P. 233.

للتغيراتِ التي تصيبُ بعضَ الأصوات عندما تكون جزءا من بنية الكلمة أو التركيب، أو أن هناك علاقةً عضويةً بين ظواهر التغير البنيوي أو التركيبي **و**الأساس الصوتي الذي تُبنى منه مباني مفردات اللغة وتفاعلاتها في الاستعمال؛ وليس من شكٍّ في أن بيانَ هذهِ التغييراتِ وتوضيحَها بهِ حاجة إلى درايةٍ متخصصةٍ بخصائصِ أصواتِ اللغة- أي لغة- ومواقع تغيراتها في أبنية الكلمات وتراكيبها.

وإذا عدنا بالزمنِ خطواتٍ إلى علماء العربية القدماءِ فسنجد منهم مَنْ عَمَّمَ مفهوم النحو ليشمل دراسة الصوتِ والكلمةِ والتركيب، ووجدنا هؤلاء العلماءَ في مصنفاتهم اللغوية والبلاغية والدينية قد درسوا الصوتَ العربيَّ وتفاعلاتِهِ في مجالَي الكلمةِ المفردةِ والجملةِ أيضا، وذلك في علوم الصرفِ والنحوِ والتجويدِ والقراءاتِ وعلمي البيان والمعاني الذي أَطلَقَ عليه بعض علماء العربية القدماء مصطلح" **النحو العالي**"[٦].

وبحسب عِلْمي فإن هذا النظرَ اللسانيَّ الحديث بمفهومه النحوي الجامع للتغيير في مستويي الإفرادِ والتركيب هو العلمُ الأقربُ إلى ما جاء عن علماء العربية في متون" علم التجويد" وتطبيقات علم" القراءات" في القرآن الكريم، وبعض موضوعات علم التصريف أو الصرف الذي درس جمهورُ علمائهِ تفاعلاتِ الأصوات في بناء الكلمة في حال وجودِ تأثيرٍ معنويٍّ أو عدمه.

---

[٦] بشر، الدكتور كمال محمد: دراسات في علم اللغة- القسم الثاني، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م، ص١٦، ١٤٨.

كما هو واضحٌ من مفهومِ هذا النظرِ الناتجِ عن دقةِ التفريق والتمييز فإن المصطلحَ الدالَّ عليه ينبغي أن يعبِّرَ عنه بدقةٍ علميةٍ واضحة **تَفْرِقُ** بين **تغييرٍ صوتيٍّ** يصيب الكلمة مفردةً أم مركبةً، وينتجُ عنه أثرٌ دلالي، **وآخَرَ** يقف عند حدِّ التغيير الصوتي فقط؛ وهو الذي يعنينا في هذه الدراسة وبيان المصطلح الدال عليه، لأنه في سياقٍ يُشكّلُ في بعضِ تطبيقاته **جزءا** لا يتجزّأُ من **علمِ الصرفِ أو التصريفِ العربيِّ** المقابلِ لعلم **المورفولوجيا الغربي، وفي سياقٍ آخرَ يُشكّلُ جزءا** من موضوعاتِ" **علم التركيب" أو علم النحو**" بمفهومه الواسع الشامل لقواعد اللغة العربية التي تُمَكِّنُ مالِكَها من امتلاكِ فصاحةِ الكلامِ العربي بصفةٍ عامة، وهذا ما يبيّنُهُ مفهومُ ابنِ جني ومن احتذاه لمصطلح" **النحو**"؛ فهو عنده" **انتحاءُ سَمْتِ كلامِ العربِ...؛ لِيلحقَ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِ اللغةِ العربيةِ بأهلِها في الفصاحة**، فينطقَ بها، وإنْ لم يكنْ منهم، وإن شذَّ بعضُهم عنها رُدَّ به إليها"(٧).

المصطلحات الدالة على" التغيرات الصوتية" غير المؤثرة في المعنى:

وأيا ما يكن أمرُ قَدامةِ مضمونِ العلمِ الدال على هذه التغيرات الصوتية أو حداثتِهِ في الدرسِ اللغويِّ العربي وغيره فإنَّ ما يَعنينا في هذا السياق هو إيجادُ بديلٍ عربيٍّ معبِّرٍ عن مضامينه يمتازُ بالخفةِ والاختصار والمشاكَلة؛ وهي الخصائصُ أو المزايا التي نقولُ بضرورة توافرها في وضعِ المصطلحِ العلمي بصفةٍ عامة.

---

(٧) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح. الأستاذ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية- المكتبة العلمية، ط٢، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م ج١/ ص٣٤.

أما عن المصطلح العلمي الذي يختص بهذه الدراسة فقد وجدنا **لسانيّي الغرب**- بحسب علمنا- في دراساتهم اللسانية قد دلوا عليه بعلْمٍ واحدٍ له مصطلحاتٌ مترادفة، هي: مصطلح" **Morpho phonology** " " **مورفو فونولجي**"، ومختصره عندهم" **Morpho nology** " **مور فونولجي**"، وهما- كما جاء عن دافيد كريستال- المصطلحان المفضّلان في العُرْفِ الأوربيّ. أما مصطلح" **Morpho phonemics** " " **مورفو فونيمِكس**" ومختصرُهُ " **Mor phonemics** " " **مورفونيمكس**" فهما الاختيارُ الأمريكيُّ المفضّل(٨)، وهناك مصطلحٌ رابعٌ هو" **Phono-phonemics** " " **فونو فونيمكس**"(٩).

وعلى هذا فإن هذه مصطلحاتٌ لغويةٌ غربيةٌ مترادفةٌ وضعها علماء اللسانيات في الغرب للدلالة على العلم الذي نُعنى بدراسة مصطلحه في هذا المقام، وقد اطَّلَعَ عليها بعض لسانيّي العربيةِ المُحْدثين، وتدارسَها في مباحثهِ ومصنفاتِه، ومنهم من نقلَها بحروفِها الأجنبية، وقابلَ لفظَها بحروفٍ عربية، فقال:" **مورفو فو نولجي**" و" **مورفو نولوجي**" و" **مورفو فونيمكس**"؛ ومنهم

---

(8) A first dictionary of Linguistics and Phonetics P. 234.

(٩) يقرأ في مفهوم هذه المصطلحات الدالة على" التغيرات الصوتية الصرفية" في متونها الأجنبية:

Atchison, J: General Linguistics, the English university press ltd., Great Britain, 3.rd., 1974, p. 55.+ Lehman, W.P.: Descriptive Linguistics, An introduction, Random house-New York, 2. Nd. Edition, 1976, p. 130- 133. + Crystal, D.: A first dictionary of Linguistics and Phonetics, P. 233 - 234.

من ترجم المصطلحَ أو عرّبه بـ" **الفنولوجيا الصرفي**" و" **علم الفونيمات والصرف**" و" **علم الفونيمات الصرفي**" كما هو الحال عند الدكتور كمال بشر وغيره[١٠].

وكذلك فعل الدكتور أحمد مختار عمر(١٩٣٣- ٢٠٠٣م) في المصطلحات الدالة على هذا المجال من الدرس اللساني الحديث، فرسم ما استعمله منها بالحرفين الإنجليزي والعربيّ، كما في مصطلح " **مورفو فو نولوجي**" " **Morpho phonology** " الذي ترجمه بـ" **الفنولوجيا الصرفية**"، ومصطلح" **Morpho pho phonemics** " الذي اكتفى برسمه بالحرف العربي" **مورفو فو نيمكس** "، ومختصره " **Mor phonemics** " " **مور فونيمكس**"، وأشار إلى أن هناك" من سماهُ " **phono morphology** "[١١]، وهو مصطلحٌ لم يسبق ذكره في هذه الدراسة، وجاءت مقابلته له في العربية بـ" **علم الأصوات الصرفي**"[١٢].

وإذا كان الدكتور بشرٌ أو الدكتور أحمد مختار عمر أو غيرُهما **قد جمع في نقلهِ لهذا المصطلح بين العربية والتعريب** فقد ذاعت ترجمته عند كثيرٍ ممن تناول هذا المجال اللغوي بأحد التراكيب العربية الآتية:" **علم الأصوات الصرفي**" أو" **الصوتي الصرفي**" **أو**" **علم الصرف الصوتي**" أو" **صوتية صرفية**" أو" **الصوتية الصرفية**" أو" **الصرفية الصوتية**"؛ ومن هؤلاء العلماء الذين عرض كلٌّ منهم لأحدها أو بعضٍ منها الدكتور **عبد القادر عبد الجليل**

---

[١٠] علم اللغة العام- الأصوات: ص ٥٥+ علم الأصوات: ص ١٠٣- ١٠٤.

[١١] دراسة الصوت اللغوي: ص ٧٠، ٤٢٣، ٤٢٨.

[١٢] المرجع السابق نفسه: ص ٤٢٣.

الذي ترجمه بـ" **علم الصرف الصوتي**"، وذلك في كتابه" علم الصرف الصوتي **MORPHO - PHONOLOGY** "[١٣]، و**الدكتور محمد جواد النوري** الذي ترجمه بـ" **صوتية صرفية**" كما يتضح من عنوان كتابه" دراسات صوتية **وصوتية صرفية** في اللغة العربية"[١٤]، و" **صرفية صوتية** " في عنوان كتابه" جذور الأفعال الثلاثية في اللغة العربية- دراسة **صرفية صوتية** باستخدام الحاسوب"، وترجمته لمصطلح" **Phono-phonemics** " أيضا بـ" **علم الأصوات الصرفي**"[١٥].

وإذا كان الدكتور **محمود فهمي حجازي** قد ترجم مصطلح " **Morpho pho phonemic changes** " بـ" **التغيرات الصرفية الصوتية**"[١٦]، فإنَّ الدكتورة أَسيل عبد الحسين حميدي قدمت" **الصوتية**"

---

[١٣] الدكتور عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي MORPHO - PHONOLOGY ، يُلاحظ غلاف الكتاب+ ص ٣٠، ٤٠.

[١٤] ينظر كتابيه،" دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية": دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ٢٠١٨م، وينظر في متنه مثلا، ص ١٤١، ٢٠٨+ جذور الأفعال الثلاثية في اللغة العربية- دراسة صرفية صوتية باستخدام الحاسوب: دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ٢٠١٩م، ص ١٣، ٥٢.

[١٥] دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية: ص ١٦.

[١٦] حجازي، الدكتور محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ط٢/ ١٩٨١م، ص ٦٣.

علـــى" **الصـــــرفية**" فـــي بحثهـــا" **التغيـــرات الصـــــوتية الصـــــرفية**" "The Morphological Phonetic Variations "[١٧].

ووجـدنا الــدكتور **حســـن عبـــد الغنـــي الأســـدي** يتــرجم مصــطلح "Morphonemic" بالتركيب العربي" **التغيير الصَّرفي- الصَّوتي**"[١٨] مع ملاحظة أنه لم يقرن المصطلح الأجنبي بما يدل على معنى كلمة التغيير.

كمـا هـو واضـح فـإن **الاكتفـاء بالرسـمين الأجنبـي والعربـي لمصـطلح الدراسة ومرادفاته لَهو الغالب**، أما **المقابل العربي** فقد لاحظنا أنه بدأ بالمزج بتعريب جزءٍ من المصطلح وإبقاء الجزء الآخر على عُجْمَتِه، وذلك كما هو الحـال الـذي جـاء **عنــد الــدكتور بشــر** فـي" الفنولوجيـا الصـرفي" و" علـم الفونيمات والصرف" و" علم الفونيمات الصرفي"، **وعند الدكتور أحمد مختار عمر** الذي زاد تاء التأنيث حين عرّبه بـ" الفنولوجيا الصرفية" وهلمَّ جرّا.

أما **ترجمة جزأي هذا المصطلح بلغتنا العربية** فقد جاءت عند **الدكتور أحمد مختـار عمـر** بـ" علم الأصوات الصرفي"، **والـدكتور عبـد القـادر عبـد الجليل**" علـم الصـرف الصـوتي"، **والـدكتور محمـد جـواد النـوري** فـي" دراسـات صوتية صرفية" و" علم الأصوات الصرفي". وفي مجال **تغيرات بنيـة الكلمـة**

---

(١٧) ينظر البحث في" مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل آب- ٢٠١٥م، العدد/ ٢٢، ص ٥٤٠- ٥٤٨.

(١٨) الأسدي، الدكتور حسن عبد الغني محمد جواد: الدرس الصوتي عند رضيّ الدين الأستراباذيّ ٦٨٨هـ، جزء من متطلبات درجة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور هادي نهـر، كليـة الآداب-الجامعـة المستنصـرية- بغـداد/ العـراق، ١٤١٦هــ- ١٩٩٥م، ص١٤٥.

التي يدرسها هذا العلم جاءت ترجمة **الدكتور محمود فهمي حجازي** عربية خالصة، وكذلك كان حال الدكتورة أسيل مع ملاحظة تقديم" الصرفية" عند الدكتور حجازي على الصوتية، وذلك بعكس الدكتورة **أسيل**.

وترجمه **محمد حسن باكلا وآخرون** في معجمهم بـ" **الصوتي الصرفي**" و" **علم الأصوات الصرفي**"[١٩]. وترجمه **بسام بركة** بـ" **علم أصوات البنى**"[٢٠].

أخلص مما سبق إلى أن **غَلَبةَ العجمةِ** في استعمال هذا المصطلح في الدرس اللساني العربي منذ بداية التعرف عليه خاصة، **وثقَلَ البديلِ العربي** الذائع على اللسان لبنيته التركيبية -**كانا قد شكّلا أهمَّ دوافعي**- وأنا أخطّ في دراستي للماجستير- إلى اقتراحِ بديلٍ عربيٍّ يكونُ صالحا للاستعمال العربي، وموافقا لِلُغةِ الضاد في تنمية متنها، ويعبّرُ عن قدرتِها وأهلها على التعبير بأصواتِها عن الغريب الوافد إليهم. وهكذا كان مصطلح " **الصورفية**" الذي اقترحتُهُ منذُ زمنٍ ليس بقريب[٢١]؛ **ليكونَ بديلا** للمصطلح اللساني

---

[١٩] معجم مصطلحات علم اللغة الحديث(عربي إنكليزي وإنكليزي عربي)، مكتبة لبنان- بيروت، ط١/ ١٩٨٣م، ص ٥٦.

[٢٠] معجم اللسانية(فرنسي عربي)، منشورات جرّوس- برس، طرابلس- لبنان، ط١/ ١٩٨٥م، ص ١٣٤.

[٢١] ينظر، أبو سليمان، صادق عبد الله: الدراسات اللغوية الحديثة في مصر في الفترة من ١٩٣٢- ١٩٦٢م، إشراف المرحومين- بإذن Θ- الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين والأستاذ الدكتور حلمي خليل، جامعة الإسكندرية(ج. م. ع)، ١٩٨٧م، حاشية ص ٢٦٥+ كشاف المصطلحات: ص٥٥٧، وأشرنا إليه فقط في بحثنا" بدائل لغوية-

" Morpho phonology " ومرادفاتهِ الغربية؛ وليكون بديلا لتعريب بعض لسانيينا له بـ" **المورفونيمية**" أو" **المورفونولوجية**" أو" **الفنولوجيا الصرفية**" وغيرها؛ وللترجمة العربية الذائعة" **الصوتي الصرفي**" أو" **الصرفي الصوتي**" أو" **الصوتية الصرفية**" أو" **الصرفية الصوتية**".

وألفت في هذا السياق إلى **وضعين عربيين** آخرَيْنِ لمصطلح الدراسة ومرادفاته؛ **الأول** جاء عن **الدكتورة تغريد السيد عنبر**، وهو لفظ" **الصَّرفصوتيات**". كما هو واضح فإن الدكتورة تغريد لم تفعل شيئا، سوى أنها وصلت بين كل مُكَوِّنات الحروف الدالة على كلمتي" الصرف" و" الصوتيات" فقط بدون أيِّ حذف، وهو وصلٌ ثقيلٌ أطال بنية لفظ المصطلح فأثقل نطقها. أما **الوضع الآخَر** فواضعه **الأستاذ الدكتور عادل نذير بيري** الذي اقترح مصطلح" صو صرفي" في محاضراته لطلبة الدكتوراة في قسم اللغة العربية في جامعة كربلاء في العام الجامعي(٢٠١٤- ٢٠١٥م)[٢٢]، وهو مقترحٌ قريبٌ من مصطلحِ صاحبِ الدراسة؛ فلا يفترق عنه سوى بإثباته لكل حروف بنية كلمة" صرف" مما قد يجعله أثقلَ منه نطقا.

نحو إثراء العربية": مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة، العدد ١٠٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص١٧، وكتابنا" التثقيف في اللغة العربية- النظرية والتطبيق"، تقديم المرحوم- بإذن الله- الأستاذ الدكتور كمال محمد بشر، دار المقداد للطباعة- غزة/ فلسطين، ط ٥، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٣م، ص ٨٤.

[٢٢] الحسناوي، كاظم سالم علي: أثر الصفات الصوتية في تفسير الظواهر اللغوية- دراسة صوتية صرفية، جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة كربلاء،١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م، ص ٢، وقد أشار الدكتور الحسناوي إلى مصطلح" الصورفية" في حاشية هذه الصفحة.

ولعلَّ القارئ الكريم يلاحِظ أن مصطلح" **الصَّورفية**" الذي اقترحتُهُ لَأخفُّ على اللسانِ من تعريبِ المصطلحِ الأجنبيِّ ومرادفاتِهِ بحروفها وصياغاتها الدخيلة، أو المقابلات العربية المركَّبة؛ ولعلَّ ما يزيد النحت الذي لجأتُ إليه قبولا هو أنّ مقترَحي لهذا المصطلحِ العربيِّ قد **حاكيتُ** به **نحتَ المصطلح الأصلِ** عند أهله؛ لِأدلَّ به على علمٍ من علوم الدراسة اللسانية الحديثة **يمزجُ** بين النواحي المتصلةِ بالفونولوجيا والمورفولوجيا، وذلك من خلالِ عنايتهِ بدراسةِ التغيراتِ الصوتية التي تصيبُ الجذورَ واللواصقَ في بناء الكلمات أنفسها.

وعلى هذا فإنّ مصطلح الدراسة الذي اقترحناه واستعملناه في دراساتنا وندعو مجامع اللغة العربية ودارسيها إلى إقرار إعمامه واستعماله في الدراساتِ اللغويةِ العربيةِ المعاصرة يندرج في إطار ظاهرة النحت المعروفةِ في العربية؛ فالفعل" صَوْرَفَ" الذي بنينا عليه مقترَحنا مصطلح الصَّوْرَفِيَّةِ فعلٌ رباعي نُحِتَ من الفعلينِ بل الجذرين الثلاثيَّين(ص. و. ت) و(ص. ر. ف) اللذين أُشتُقَّ منهما اسمَي" صَوْت" و" صرْف"، وهو في صياغته بل نحتهِ منهما يتمشّى ومذهبَ أحمد بن فارس(ت. ٣٩٥هـ) الذي فَصّله في معجمه" مقاييس اللغة"، وخلاصتهُ" إنّ الأشياءَ الزائدةَ عَلى ثلاثةِ أحرفٍ فأكثرها منحوت"[٢٣].

---

[٢٣] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي، تح. السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي، ط١/ ١٩٧٧م، ص٤٦١، ونقل السيوطي نص ابن فارس في كتابه" المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، وآخَرين، مكتبة دار التراث، القاهرة ، ط٣، د. ت ،ج١/ ص٤٨٢.

وأرى فإنّ ظاهرة النحت" **Blinding** " في ذاتِها تُشكّلُ مظهرا من مظاهر التغيير الصوتي غير المؤثر في المعنى؛ الأمر الذي يجعلها **مجالا من مجالات الدراسة الصورفية**؛ فمن نتائج هذه الظاهرةِ **الدلالةُ على معنى كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة منحوتة**، كما في" بسمل" من" باسم الله"، و" حوقل" من" لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله"...إلخ. وعلى هذا فإنّ استثمارَ النحتِ في بناءِ كلمةٍ من كلمتين متتاليتين أو جملةٍ أو تركيبٍ في كتلةٍ صوتيةٍ واحدةٍ بل كلمةٍ واحدةٍ بدونِ تغييرٍ معنوي- بعد إجراء عملية نحتية لهما- **أراه يقع في بناء الكلمة** من كلمتين أو أكثر، وألفت هنا أنه قد أشير إلى أثر النحت في بعض مباحث علم الصرف العربي التقليدي، وهو- بحسب دراستي- يدخل في مجالات علم الصورفية.

وكذلك أراه يقع في حالة الوصل **بين جملتين أو أكثر** مجالِ علم النحو " **Grammar** " أو علم التراكيب " **Syntax** " عند من يرادف بينهما من اللغويين بدون تأثيرٍ في المعنى، وهذا يجعلني **اقترح مصطلحا لغويا جديدا**- لم أقرأ أحدا سبقني إليه- **أنحته** من كلمتي" **صوت وتركيب**" أو" كلمتي" **صوت ونحو**"، فبدلا من القول: ظاهرة" **صوتية تركيبية**" أو" **صوتية نحوية**" أقترح – على وَفق منهجنا في نحت مصطلح" الصورفية"- اختيار أحد هذين المصطلحين" **الصَّوْتَرِية**" بدلا من" **الصوتية التركيبية**" **أو**" **الصَّوْنَحِيَّة**" بدلا من" **الصوتية النحوية**"؛ **وعلى هذا فنحن نرى أن الوصل بين الجملة أو التركيب** بإدغامٍ أو إبدالٍ أو إقلابٍ ليس" **ظاهرةً صَوْرفيةً**" صِرفةً- كما جاء عند ديفيد كريستال وكمال بشر ومن لف لِفَّهُما.

وبموجبه جاء اقتراحُنا <u>الاعترافَ</u> بمستوىً أو علمٍ لُغويٍّ مستقلٍّ يجمع بين"**علم الفونولوجيا**"- وإنْ شئت مصطلحنا" علم الأصوات التفاعلي"- و" **علم التراكيب**" " **Syntax** " **أو**" **علم النحو**" " **Grammar** "، **<u>وإذاعةَ مصطلحِنا</u>** الجديد في لغتنا العربية المعاصرة، وهو" **الصَّوتَرية**" **أو**" **الصَّوْنَحِيَّة**"؛ فمَن يستعمل من علمائنا المعاصرين مصطلح" **النحو**" فسيوافقه مصطلح" **الصونحية**"، ومن يستعمل مصطلح" **علم التركيب**" فإليه نقدم مصطلح" **الصَّوتَرِية**".

من شواهد علم الصَّورفِيَّة:

تُعنى الدراسةُ في هذا السياق بدراسةِ بعض ظواهر الصورفية، ومنها ظاهرةُ" **القلب المكاني**" كما في كلمات (أَبْلَه وأهبل، وزواج وجواز، وزوج وجوز، ولئيم أليم، ومسرح مرْسح، وأرانب أنارب، وغيرها في كلام العرب...إلخ). وظاهرةُ" **الإعلال**" كما في إبدال الواو والياء همزة في(أواوِل- عجاوز- جرايد) التي بَدَّلتِ العربُ في نطقها لها وأمثالِها الهمزةَ واوا أو ياءً؛ فقالت:(أوائل وعجائز وجرائد...إلخ).

وكذلك ظاهرةُ" **الإمالة**"، حيث النحوُ بالفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، وكسْرُ ما قبلها، كما في قراءة كلمة(مجْرِيها) بدلا من(مَجْراها)[٢٤] في

---

[٢٤] سورة هود: الآية ٤١، والإمالة" ثلاثة أحرف: الألف والراء وهاء التأنيث، وإنما سُمِّيَتْ حروف الإمالة؛ لأن الإمالة في كلام العرب لا تكون إلا فيها...، ومعنى الإمالة أنْ تُميل الفتحة نحو الكسرة، وتُميل الألف نحو الياء"(أ). وألفت في هذا السياق إلى أن ظاهرة إمالة الألف ياءً ما زالت موجودةً في نطق بعض أهل فلسطين في قطاع غزة كما عند بعض أهالي خانيونس ولا سيما أهل المنطقة الشرقية، ومهجّري أهل بلدة

في قوله تعالى:{ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** } .

ومنها" **الإبدالُ**" كما في إبدالِ تاء صيغة" **افتعل**" دالا أو ذالا أو ظاءً أو طاءً، كما في(ازدهر وادَّكَر واذَّكَر واظَّلم واصطبر) وإبدالِ فائها حال كونها واوا أو ياءً أصلية تاءُ، كما في(اتَّعظ من وعظ، واتَّرث من ورث، واتَّسر من يَسُر).

و**الاختلافُ الناتجُ عن اللهجات**، أو **اللغات** كما في كلمة(صاعقة)، التي جاء" فيها ثلاث لغات: صاعِقة وصَعْقة وصاقِعة"[٢٥].

وهناك في القبائل البدوية **مَن يهمز** فينطِقُ الاسم المختوم بألف مهموزاً أو منبورا، مثل اسم(**عطا**) ينطقه أهلوها(**عَطَأْ**)، وهي ظاهرة سمعتُها من

الجورة، وفي الضفة الفلسطينية في بعض بلدات محافظة الخليل كأهل بلدة بيت فجّار مثلا.

(أ) ينظر، القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح. الدكتور أحمد حسن فرحات، دار المعارف للطباعة- دمشق، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م، ص١٠٤- ١٠٥.

[٢٥] ابن منظور، لسان العرب، نسقه وعلَّق عليه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، م٧.(ش- ص)، مادة(ص. ع. ق). وينظر في الوقوف عند هذه الظاهرة وغيرها تحت عنوان:" ظواهر صوتية معاصرة في اللغة العربية" ما كتبناه في كتابنا" التثقيف في اللغة العربية- النظرية والتطبيق: ص٧٢- ٧٩.

بعض بدو فلسطين، وهي آخذةٌ في الانقراض لِتَبَدُّلِ ظروف الحياة في أيامنا المعاصرة.

و" **تسـهيلُ الهمـز وتحقيقـه**" كما في نطق(يامَن) بدلا من(يأمن)، و(يومن) بدلا من(يأْمن)، و(إيتِ بدَلا من(يأتي).

واختلافُ الحركات بدون تغيير المعنى، كمجيء **عين الفعل الثلاثي** بأكثرَ من حركة، كما في قولهم:" وشَمَلهم الأَمر يَشمُلهم شَمْلا وشُمُولا وشَمِلَهم يَشْمَلُهم شَمَلا وشَمْلا وشُمُولا: عَمَّهم...، وقال اللحياني: شَمَلهم، بالفتح، لغة قليلة؛ قال الجوهري: ولم يعرفها الأَصمعي"[٢٦]، وقولُ العرب أيضا" حَسِبَ الشيءَ كائِنا يَحْسِبُه ويَحْسَبُه، والكَسر أَجْودُ اللغتَين، حِسْبانا ومَحْسَبَةً ومَحْسِبةً: ظَنَّه؛ ومَحْسِبة: مصدر نادر، وإِنما هو نادر عندي على من قال يَحْسَبُ ففتح، وأَما على من قال يَحْسِبُ فكَسَر فليس بنادر. وفي الصحاح: ويقال: أَحْسِبه بالكسر، وهو شاذّ لأَنّ كل فِعْلٍ كان ماضِيه مكسورا، فإِن مستقبله يأْتي مفتوح العين، نحو عَلِمَ يْعلَم، إلا أَربعةَ أَحرف جاءَت نوادر: حَسِبَ يَحْسِبُ، ويَبِسَ يَيْبِسُ، ويَئِسَ يَيْئِسُ، ونَعِمَ يَنْعِم، فإِنها جاءَت من السالم، بالكسر والفتح. ومن المعتل ما جاءَ ماضيه ومُسْتَقْبَلُه جميعا بالكسر: وَمِقَ يَمِقُ، ووَفِقَ يَفِقُ، ووَثِقَ يَثِقُ، ووَرِعَ يَرِعُ، ووَرِمَ يَرِمُ، ووَرِثَ يَرِثُ، ووَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي، وَوِليَ يَلي. وقُرِئ قوله تعالى: **{لا تَحْسَبَنّ}** و **{لا تحْسِبَنَّ}**؛ وقوله: **{أَم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الكَهْفِ}**؛

[٢٦] لسان العرب: مادة(ش. م. ل).

الخطابُ للنبي ρ، والمراد الأُمة. وروى الأَزهريُّ عن جابر بن عبد اللّه أَن النبي ρ، قرأَ:{**يَحْسِبُ أَنَّ مالَه أَخْلَدَه**}[٢٧].

وقد سبق لابن دُرُسْتويه(ت. ٣٣٧ هـ) التقعيد لحركة عين المضارع، وذلك حين قال:" اعلموا أن كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على فَعَلْت بفتح العين، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين، ولا من حروف الحلق فإنه يجوز في مستقبله يفعُل بضمّ العين، ويفعِل بكسرِها، كقولنا: ضرَبَ يضرِب، وشكَرَ يشكُر، وليس أحدهما أَوْلى به من الآخَر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف، **فمما جاء وقد استعمل فيه الوجهان** قولهم: ينفِر وينفُر، وَيَشْتِم وَيشتُم؛ فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه، وأنهما شيءٌ واحد...، **فإنْ كان الثاني منه أو الثالث حرفا من حروف الحلق فإنه يجوز أيضا فيه الفتح ولا يمنع من الكسر والضمّ**.... ومما جاء **وقد استعمل فيه الوجهان من حروف الحلق** قولهم: نطح ينطَح وينطِح، ونَبَح ينبَحُ وينبِحُ، وفَرَع يفرِعُ ويفرُغ، وبَرَأَ يبرأ ويبرُؤ، وذلك كثيرٌ في الكلام" [٢٨]

ومن شواهد هذه الظاهرة مما يدخل في مجال **اختلاف النطق دون اختلاف في المعنى في كلام العرب**، ما صدّر به ابنُ هشام الأنصاري (ت. ٧٦١هـ) كلامه عن مصطلح الكلمة، قال:" في الكلمة ثلاثُ لغات...، أما لغاتُها فـ(كَلِمَة) على وزنِ نَبِقَة"، وهي الفصحى ولغةُ أهلِ الحجاز، وبها

---

[٢٧] لسان العرب: مادة(ح. س. ب).

[٢٨] تصحيح الفصيح وشرحه لابن دُرُسْتويه(ت. ٣٣٧ هـ) تح. محمد بدوي المختون مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مطابع الأهرام التجارية– قليوب، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ص ٣٣– ٣٤.

جاء التنزيل، وجمعُها(كَلِم)؛ و(كِلْمَةٌ) على وزن(سِدْرَةٍ)، و(كَلْمَةٌ) على وزن (تَمْرَةٍ)، وهما لُغتا تميم، وجمع الأولى(كِلْمٌ) كَسِدْرٍ، والثانية (كَلْمٌ) كَتَمْرٍ. وكذلك كل ما كان على وزنِ(فَعِلٍ)، نحو:(كَبِدٍ وَ كَتِفٍ)؛ فإنه يجوزُ فيه اللغات الثلاث، فإنْ كان الوسطُ حرفَ حلقٍ جاز فيه لغةٌ رابعةٌ، وهي إتْباعُ الأولِ للثاني في الكسر، نحو(فِخِذٍ وشِهِدَ)"[29].

وذكرَّ محققُ الكتاب محمد محيي الدين عبد الحميد أنَّ تمثيلَ ابن هشامٍ بالاسمِ والفعل في" فِخِذٍ وشِهِدَ" يدلُّ على" أنَّ هذا الحكمَ يجري في الاسمِ وفي الفعلِ على سواء، ومن أمثلةِ ذلك: فِهِم، وتِعِب، ولِعِب، ونِعِم، وبِئِس، وبِئِس، ولِحِز، وتِعِس، وجِهِش، ورِعِش"[30].

ومما يدخل في سياق اختلاف الحركة بدون تأثيرٍ في المعنى أيضا **ظاهرة تشكيل فاء الكلمة الواحدة أو عينها بالحركات الثلاث**، في لغات العرب، وهي ما عُرِفَت في الدرس اللغوي العربي القديم بظاهرة **المثلث في اللغة**، وذلك كما في تثليث حركة فاء الكلمة أو عينِها، وذلك مثل:" سرعان"، و" رغم"؛ وعين الفعل(بَهَت – بَهِت – بَهُت)؛ وكذلك في تحريكِ أول الكلمة وثالثها بالحركات الثلاث في مضعَّف الرباعي، كما في:(سُمْسُم– سِمْسِم–

---

[29] ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين: شرح شُذورِ الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب، بتحقيق شرح شذور الذهب، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط١١/ ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م، ص ١٢.

[30] محمد محيي الدين عبد الحميد: منتهى الأرب، بتحقيق شرح شذور الذهب، حاشية(٤)، ص١٢.

سَمْسَم)[٣١]. وقد درس بعضُ علماءُ العربية مثل هذه الظواهر في إطار تداخل اللهْجات، قال ابنُ جني:" واعلم أن أكثر ذلك وعامته إنما هو لغاتٌ تداخلت فتركّبت"[٣٢].

من شواهد علم الصوترية أو الصونحية:

يتجلّى تطبيق" **الصوترية**" **أو**" **الصونحية**" في تلاوةٍ كثيرٍ من آيات القرآن الكريم على وَفق قواعد التجويد، كما في ظاهرة **الإدغام** التي لا تكون إلا بين كلمتين، وهو لغةً إدخالُ شيءٍ في شيء، واصطلاحا عند القُرّاء وعلماء التجويد يكون **الإدغامُ** عند انتهاءِ **كلمةٍ مختومةٍ بنونٍ ساكنةٍ أو تنوين، بكلمةٍ أولُها صوتٌ متحركٌ**- من أصواتِ جملةِ حُروفِ" **يرملون**"- **ينصهرُ** فيه ما خُتِمت به الكلمةُ السابقة؛ لِيشكّلَ معه صوتا مُضعَّفا من جنسِه، وذلك كما في أصوات الإدغام بِغُنَة، وهي" الياء والواو والميم والنون" **بعد** صوتي" **التنوين**" **أو**" **النون الساكن؛ ومن شواهد** هذه الظاهرة **بعد النون**

---

(٣١) يُنظر كتابي" العمل المعجمي قبل العصر الحديث" مطبعة المقداد- غزة/ فلسطين، ط ١/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص ٨٧- ١٠٦؛ ففيه دراسة لكتابَي: قطرب، أبو محمد علي بن المستنير: مثلثات، قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية: الدكتور رضا السويسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٣٠٩٨هـ -١٩٧٨م + ابن السيد البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد: المثلث، تحقيق ودراسة الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر- العراق، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٣٢) ينظر في" الخصائص" لابن جني، باب في تركب اللغات وهو تداخل اللغات، ج١/ ص ٣٧٤- ٣٩١، وينظر أيضا" معرفة تداخل اللغات" عند السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١/ ص ٢٦٢-٣٦٥.

الساكن، نحو قولِه Y:**{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}**[٣٣]، و**{ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ }**[٣٤]، و**{ وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ}**[٣٥]، و**{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }**[٣٦]. ومن شواهدها **بعد التنوين** قوله Ψ:**{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ }**[٣٧]، و**{ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}**[٣٨].

ومن شواهد الإدغام بغير غنة قبل اللام والراء قوله I:{فَوَجَدَا عَبْدا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْما}[٣٩]، و**{إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْما عَبُوسا قَمْطَرِيرا}**[٤٠]. ومن شواهده **بعد التنوين**، قوله: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ }**[٤١]، و{ إِنَّ رَبَّكُمْ **لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }**[٤٢].

---

[٣٣] سورة البقرة: الآية(٨).

[٣٤] سورة الرعد: من الآية(١١).

[٣٥] سورة النور: من الآية(٣٣).

[٣٦] سورة سبأ: الآية(٣٤).

[٣٧] سورة عبس: الآيات(٣٨)، (٣٩)، (٤٠).

[٣٨] سورة البقرة: من الآية(١٤٨).

[٣٩] سورة الكهف: الآية(٦٥).

[٤٠] سورة الإنسان: الآية(١٠).

[٤١] سورة الهُمَزَة: الآية(١).

[٤٢] سورة النحل: من الآية(٧).

وقد عاينّا **الإدغام في الوصل بين آيتين**، كما في قوله Y في سورة مريم:**{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}**[43]، وقوله:**{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدا * لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}**[44].

ومن شواهد تلاوة القرآن أيضا **ظاهرة**" **القلب**" أو" **الإقلاب**"، وهي اصطلاح إبدالٌ صوتيٌّ يتمثّلُ في إبدال النون الساكنة أو التنوين ميما مُخفاةً عندما يأتي بعد أيٍّ منهما مباشرةً صوتُ الباءِ ساكنا، كما في(**لِجنبِهِ- لَيُنْبَذَنَّ- أَنْبِئْهُمْ- أنْبَأَهم؛ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ - سميعا بَصيرا- مَنْ بَخِل- شقاقٌ بعيد)**.

كما هو واضح فإنّ ظاهرة الإقلاب **تقع في الكلمة أو الكتلة الصوتية الواحدة والتركيب** سواءٌ تَشَكَّلَ من كلمتين منفصلتين أو أكثر، وهذا يَعني أن هذه الظاهرةَ **تقع حين يكون الإقلاب** في بنية الكلمةِ ذاتِها في مجالِ **الصَّوْرَفِيَّة**، وفي مجال **الصوترية أو الصونحية** حال وقوعِهِ في مجالِ **التركيب.**

ومن **شواهدها في الصورفية؛ أعني في سياق الكلمة أو الكتلة الصوتية** الواحدة قولُهُ I:**{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدا أَوْ**

---

(43) سورة مريم: الآيتان(61- 62).

(44) سورة مريم: الآيتان(86- 87).

قَآئِما}[٤٥]، و{ **كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ** }[٤٦]، و{**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ** }[٤٧].

ومن شواهدها في التركيب، وهو هنا مجال الصوترية أو الصونحية قوله I:{ **كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ** }[٤٨]، و{ **إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعا بَصِيرا** }[٤٩]، و{ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى**} [٥٠]، و{ **وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** }[٥١].

ومن تأثيرِ الإقلاب في التركيب أيضا **وصلُ الآيةِ الأخيرة في بعضِ سورِ القرآنِ ببسملة السورةِ التالية لها مباشرة**، ومن شواهدنا على هذه الظاهرة **الوصلُ بين آخر سورة الإسراء وبسملة** سورة الكهف؛ **وآخرِ** سورة الكهف **وبسملة** سورة مريم؛ **وآخرِ** سورة مريم **وأول** سورة طه؛ **وآخر** الانشقاق **وبسملة**" البُروج"؛ وبين الأخيرة **وبسملة** الطارق؛ وبين الطارق **وبسملة** الأعلى؛ وبين البلدِ وبسملة الشمس؛ و" العاديات" وبسملة القارعة؛ والقارعة

---

[٤٥] سورة يونس: من الآية(١٢).

[٤٦] سورة الهمزة: من الآية(٤).

[٤٧] سورة البقرة: من الآية(٣٣).

[٤٨] السورة السابقة: من الآيتين(٢٦٥)، (٢٦٦).

[٤٩] سورة النساء: من الآية(٥٨).

[٥٠] سورة الليل: الآية(٨).

[٥١] السورة الحج: من الآية ٥٣، وتكرر قوله سبحانه: {شقاقٍ بعيد} في الآية(١٧٦) من سورة البقرة، وفي الآية(٥٢) من سورة فُصِّلَت.

والتكاثر؛ والهُمَزة والفيل، والفيل وقريش؛ والفتح والمسد، والمسدِ والإخلاص، والإخلاص والفلق...إلخ.

ويمكن تطبيق" **الصونحية" أو" الصوترية"** على بعضِ مواقعِ **الاسم المنقوص حال كونه موصوفا أو مضافا إلى معرفة**، كما في قولنا: (جاء **القاضي الْعادلُ**- مررتُ **بالْقاضي العادلِ**- رأيتُ **القاضيَ العادلَ)** و(جاءَ **قاضيْ الْقضاة**- مررتُ **بقاضيْ الْقضاة**- رأيت **قاضيَ القضاة).** وكما هو ملحوظٌ فإن كلمةَ" **القاضي**" في الاسمِ المنقوصِ الموصوف المُحلّى بأل- في الأمثلة الثلاثة الأولى- قد وُصِلت بل التَحَمَتْ ياؤها ساكنةً ومتحركةً بكلمة**(العادل)** الصفة المَعْرفة بعدها؛ **ونتج عن هذا الوصل** التحامُ الاسمِ الموصوفِ بصفته في كلمةٍ واحدةٍ؛ نتيجةً لتقصيرِ الياء الساكنة- الحركة الطويلة- إلى حركة الكسرة القصيرة التي ألغت دور الهمزة أو الألف في الوصل؛ لِتَحُلَّ محلَّها في وصل الكلمة المُحَلّاة بلام التعريف بعد تلاشي الهمزة نطقا صوتيا ليصير نطق الكلمتين- في هذه الحالة-:" **القاضِلْعادل**".

ويمكن إعمامُ **هذه الظاهرةِ**-" **الصَّوْتَرِيّة**" أو" **الصَّونَحِيَّة**"(٥٢)- غيرِ المؤثرةِ في الدلالة أو القيم النحوية **على كل كلمتين أو أكثر**: يكونُ **<u>آخرُ</u>**

---

(٥٢) بحثت عن مصطلحٍ أجنبيٍّ في قاموس ديفيد كريستال يمكن أن يكون دالا على ظاهرة" التغير الصوتي التركيبي" أو" الصوتي النحوي"؛ فوجدت فيه هذا المصطلح" Morphosyntactic"(أ)، وهو دالٌّ على التغيُّر الصوتي الذي يصيبُ التركيب بدون إيقاع تغيُّرٍ في المعنى الوظيفي أو الدلالي. وكما أوضحتُ فإن ظاهرتَي" الإقلاب" أو" الإدغام" بنوعيهما يقع تَغيرُها الصَّوتِيُّ في بنية الكلمة المفردة أو المركبة؛ وهذا يعني- من وجهةِ نظري- أنَّ هذا التغيرَ الحاصلَ في الحالتين في" الكلمة"

<u>الكلمةِ المتقدمةِ فيهما</u> منتهيا بحركةٍ قصيرةٍ- أيّا كانَ **<u>نوعُها</u>** كسرةً أم ضمةً أم فتحة، **<u>ونوعُ الحرفِ</u>** الذي تنتهي به صحيحا أم معتلا-، وتكونُ **<u>الكلمةُ التاليةُ لها</u> مبدوءةً بألف الوصل**، كما في:(**رأيتُ قاضيَ القضاة)** التي تُنطَقُ(**رأيتُ قاضيَلْقضاة)** بوصلِ المضافِ والمضافِ إليه في كلمةٍ صوتيةٍ واحدة، و(**رأيتُ القاضيَ العادل)** التي تلتحمُ كلماتها فتنطَقُ (**رأيتُلْقاضيَلْعادل)**؛ وهكذا **غدتِ الجملةُ وملحقاتُها كلمةً بل كتلةً صوتيةً واحدةً** بدون أثرٍ في المعنيين النحوي والدلالي.

أو" التركيب" مجاله المستوى الصوتي" الفونولوجيا phonology "؛ ولأنه تغيرٌ ناتجٌ عن تفاعلات الأصوات في الحالتين فإني أرى ضرورة وجود مصطلح يدل على المتأثر والمؤثِّر؛ وهذا يعني الحاجة إلى وجود ما يدل على المتأثِّرِ والمؤثِّر في المصطلح الدالِّ على عملية التغير الصوتي في كلتا الحالتين؛ فالمتغيِّرُ أو المتأثِّرُ هو الصوتُ وليس صيغة بنية الكلمة أو نظامَ تركيبها.

وهنا وجدتُ في تصدّر المصطلح اللغوي الأجنبي" <u>Phono</u> morphology " ومرادفاته وتعريبه مصطلح" ال<u>صَّو</u>رفية" <u>ما يدل على عملية" التغيّر الصوتي" في بنية الكلمة</u>، وهو ما حفزني إلي البدء بالمقطع(صَوْ) من مصطلح" علم الصوت" ثم إتْباعُهُ بجزءٍ من أحدِ المصطلحينِ العربيين" علم التراكيب" و" علم النحو"؛ حيث نَحَتُّ مصطلحَ علم" الصَّوْتَرِيَّة"؛ للدلالة على" <u>التغيّر الصوتي في التركيب</u>"، ووضعتُ له مقابلا أجنبيا هو" Phono syntactic "، ونحتُّ مصطلَحَ علم" الصَّوْنَحِيَّة"؛ للدلالة على" <u>التغيّر الصوتي النحوي</u>"، وهو ما نحتُّ له المصطلحَ الإنجليزي" grammarian Phono "؛ لأنَّ الصوتَ في الحالين- كما أسلفت- هو المتغيِّرُ أو المتأثِّر، علما بأني لم أعثر في قاموس كريستل على ما يمكن أن يكون أصلا إنجليزيا أو ترجمةً لِما اقترحتُهُ في العربية.

(أ) A first dictionary of Linguistics and Phonetics, P. 234.

ومن شواهد هذه الظاهرة أيضا **الاستغناءُ عن همزة الوصل في تركيب الكلام، ووصلُ كلمتها** بالكلمة التي قبلها، وذلك كما في قوله I في سورة البيِّنَة**{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ*...وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ*... جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}**(٥٣)، وقولِهِ في سورة فاطر**{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ و كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}**(٥٤).

وتنطق الشواهد في الآيات التي من **سورة البينة** على هذا النحو: (يَكُنِلْلَذِينَ- مِنْ أَهْلِلْكِتَابِ- وَلْمُشْرِكِينَ- تَأْتِيَهُمُلْبَيِّنَةُ- تَفَرَّقَلْلَذِينَ- أُوْتُلْكِتَابَ – جَاءتْهُمُلْبَيِّنَةُ- تَحْتِهَلْأَنْهَارُ). وكذلك في آية **سورة فاطر**(ومنَنْناسِ- ودْدَوابِّ- وَلْأنعام- يخشَلْلاهَ- عبادهِلْعلماء- إِنْنَلْلاهَ).

ومن مظاهر ما نحن فيه من الوصلِ بين التراكيب ما جاء في قوله Ψ الذي تكرر في سورٍ عدةٍ:**{إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}**(٥٥)؛ حيثُ الوصلُ بين كلمة الحرف الناسخ(إِنَّ) واسم الجلالة" الله" الذي أُستُغْنِيَ في وَصْلِ نطقهِ عن ألفِ الوصل، وكذلك وصلُ بقيةِ الكلمات على المنطوق(إِنْنَلْلاهَ

---

(٥٣) سورة البينة: من الآيات (١)، (٤)، (٨).

(٥٤) سورة فاطر: الآية(٢٨).

A first dictionary of Linguistics and Phonetics, P. 233.

(٥٥) ينظر، آل عمران من الآية ١١٩، المائدة من الآية ٧٠، لقمان من الآية ٢٣. وتكرر تركيب" عليمٌ بِذات الصدور" في الأنفال وهود وفاطر والزمر والشورى والحديد والتغابن والمُلْك.

عَليمُمْبِذاْتِصُّدوْر). **واجتمع الإقلابُ** في كلمة" جنب" **مع وصْلِ كلمة المضاف بكلمـة المضـاف إليـه، بعـد حـذفِ ألـف الوصـل** كمـا فـي لفظِ اسم الله فـي تركيب(**جمْبِلْلاه**) في قوله Ψ**{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ }** [٥٦].

وجاء في سورة فاطر **شاهدٌ** على **تقصير حرف المد**، أو إنْ شئت تقصير الحركة الطويلة" **Long vowel**" **إلى حركةٍ قصيرةٍ**" **Short vowel** " ووصلِها بالصوت الصامت" **Consonant** " بعد الاستغناء عن همزة الوصل، وهو ما لمسناه في تقصير الألف اللينة المقصورة إلى فتحةٍ قصيرةٍ بعد الوصل بين ركني الجملة الفعلية في قوله I:**{ يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عباده العلماءُ}**[٥٧]. ومن شواهد القرآن الكريم على تقصير الضمة الطويلة إلى قصيرة قوله: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}**[٥٨]. وجاء في سورة العاديات **شاهدان على تقصير الكسرة الطويلة** إلى قصيرةٍ ووصلِ كلمتها بما بعدها مباشرة، وذلك في قوله Ψ:**{ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ }**[٥٩].

---

[٥٦] سورة الزمر: من الآية ٥٦، وهنا نلاحظ أيضا الوصلُ بين كلمة" نفسٌ" الفاعل وحرف النداء" ياء" في قوله:{ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى}، وذلك بالإدغام لتصير في(نَفسُيّا).

[٥٧] سورة فاطر: الآية ٢٨.

[٥٨] سورة آل عمران: الآية ١٠٠، وتكرر الوصل والتقصير في(أُوتُوا الْكِتَابَ) في هذه السورة أيضا مرتين في الآيتين:(١٩) و(٢٠).

[٥٩] سورة العاديات: الآيتان(٩) و(١٠).

وَتُقرأُ الشواهدُ في الآياتِ الكريمةِ السابقةِ بحسب الكتابةِ الصوتية **(يَخْشَلْلاهَ- أوتُلْكتابَ- فِلْقُبُورِ- فِصُّدُورِ)**، وذلك بدون الحاجة إلى صوتِ ألفِ الوصل أو همزته؛ وكما هو معروفٌ فإن هذا الصوتَ يُؤتى به؛ لتيسير النطق بالكلمة التي تبدأ بساكنٍ بحسب نظام المقطعية العربية الذي لا يبدأ المقطعُ أو الكلمةُ فيه بساكن.

ولَمّا انتهت كلمة" **يخشى**" في شاهد الآية الأولى بالألف المقصورة الساكنة، وبواو المد الدالة على الجماعة في الفعل**(أوتوا)** في الآية التالية، وبياء المدِّ الساكنة في الحرف الجارِّ **(فِي)**: شاهدي الآيتين التاليتين **قُصِّرَ صوتُ المدِّ الساكن**؛ الأمر الذي نتج عنهُ عدمُ الحاجةِ إلى ألف الوصل أو همزتِه؛ لوجود البديل عنه، وهو تقصير أصوات المد الألف والواو والياء أو الحركات الطويلة إلى حركاتٍ قصيرة؛ فهذه الأصواتُ الممدودةُ التي تمّ تقصيرُها يُشكلُ كلٌّ منها جزءا لا يتجزأ من بنية كلمتها، ولا يُستغنى عنه، وله وظيفتُهُ التمييزيةُ في الكلمة والكلام، وإنه لَأمرٌ طَبَعيٌّ الاستغناءُ بالصوت الأصل في حال سدِّهِ مسدَّ همزة الوصل: هذا الصوتُ العارضُ الذي تقتصر وظيفته على تيسير النطق بالصامت الساكن، ولا علاقة له بالمعنى.

كما هو واضحٌ من هذه الشواهدِ السابقةِ فإن **تقصير الحركة الطويلة في آخر الكلمة يقوم بوظيفة همزة الوصل أو ألفه** في الوصل بين كلمة هذه الحركة والكلمة التالية لها بعد الاستغناء عن همزة الوصل فيها، وإنَّ ما تؤكدُ هذه الوظيفةَ الصوتيةَ **ملاحظتُنا** عدمَ تقصيرِ الحركةِ الطويلةِ في الكلمةِ المتلوةِ بكلمةٍ **غيرِ مبدوءةٍ بصوتِ همزةِ الوصل**، وذلك كما في قوله **Y** في

هذه الآيات من سورة القَصَص:**{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ }**[٦٠].

واذا كان **للموقع أثرٌ في تقصيرِ الحركة** حين وَصْلِها بكلمةٍ تاليةٍ لكلمتها، **فإن له**– كما نلاحظ– **أثرا في تطويل الحركة القصيرة أيضا** في مواقعَ عينَها، وذلك كما في قوله I:**{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ}**[٦١]، وقوله:**{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُو فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[٦٢]. وقوله:**{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ و عِلْمُ الْكِتَابِ}**[٦٣].

كما هو واضحٌ فإنَّ رسمَ حرفِ الواو التابع لضمير الهاء الغائب في **(لَهُو)** في خطِّ المُصْحَفِ الشريف لَيشكلُ دليلا كافيا على تطويل الحركة القصيرة في مواطنَ معينة؛ كالضمة في قوله:(لهو لَحافظون) و(موازينُهو فَأُلئِكَ) و(عندهو عِلْم) برسم خَطِّ الكتابةِ الصوتية، وكذلك الحال في إطالةِ الكسرةِ القصيرةِ أو مَدِّها ياء، كما في قوله Y:**{ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ}**[٦٤]. هذا

---

[٦٠] سورة القصص: الآية ٣٦.

[٦١] سورة يوسف: من الآية ١٢.

[٦٢] السورة السابقة: الآية ٨.

[٦٣] سورة الرعد: الآية ٤٣.

[٦٤] سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

وَيُدَلُّ على هذا المدِّ في حالة الضم برسمِ واوٍ صغيرةٍ، وبياءٍ صغيرةٍ مرتدةٍ إلى الوراء قليلا متى كان صوت الهاءِ مكسورا.

وكما أرى فقد يكون لمطلِ حركةِ الهاء- هذا المطل الممتد- علةٌ أخرى تكمنُ في **عُمْقِ** مَخرجِ حرف الهاء، و**خفته** عن نظائره من الأصوات الحلقية أو الحَنْجَرِية بدليلِ إبدالِه بالهمزة التي صَدَّرَ بها سيبويهِ ترتيبَهُ لمخارج الحروف العربية في كتابه المنعوت بـ" قرآن النحو"؛ دليلا على أنها أعمقُ مخرجٍ عنده[٦٥]، وذلك كما في قول الشاعر الجاهلي امرئ القيس:(البحر الطويل)

وَإِنَّ شِفائي عَبرَةٌ مَهَراقَةٌ فَهَل عِندَ رَسْمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ[٦٦]

وقد يدعم هذه الخفةَ في الهاء أنها- كما جاء عن الخليل-:" نَفَسٌ لا اعتياصَ فيها"[٦٧].

وإذا جاز لنا الاستطراد في سياق مطل حركة الهاء في آخر الكلمة؛ تأكيدا لاطّرادِ قاعدة مَطْلِها في القرآن الكريم فإني أقول: رُبَّ سائلٍ يتساءل

---

(٦٥) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: كتاب سيبويه، تح. عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/ ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ج٤/ ص ٤٣١.

(٦٦) جاء في لسان العرب في مادة(هـ.ر.ق)" الأَزهري: هَراقتِ السماء ماءها وهي تُهَرِيقُ والماء مُهَراق، الهاء في ذلك كله متحركة؛ لأَنها ليست بأَصلية إنما هي بدل من همزة أَراق، قال: وهَرَقْت مثل أَرَقْتُ، قال: ومن قال: أَهْرَقْت فهو خطأٌ في القياس.... وقال بعض النحويين إنما هو هَراق يُهَرْيقُ؛ لأن الأصل من أَراقَ يُرِيقُ يُأَرْيق".

(٦٧) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، المكتبة الوطنية- بغداد، ١٩٨١م، ص ٥٤.

فيقول: لماذا لم تُمْطل الهاء في قوله I:**{أرسِلْهُ مَعنا}**؟ كما مُطِلَ غيرُها في آخر الآيـةِ نفسِها، وذلك في قوله Y:**{وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ}**؛ فهاء الضمير الممطولـة وغيـر الممطولـة فـي المـوقعين مسـبوقة بصـوت الـلام:(لَهـو لَحـافظون)، و(ـلْهُ) فـي جملـة" أرسلْهُ" وكِلا الضـميرين متلوٌّ بصـوتٍ مـن الأصــوات" البينيـــة" أو" المتوســـطة" أو" المائعـــة" " **Liquids** "، وكـــلا الصوتين:(اللام في لهو، والميم في معنا) متحركٌ بالفتحة، وهذا يعني اتفاق الحالين في أكثرِ الخصائص الصوتية!.

أقول: نحن لا ننكر وجاهة سؤال السائل" المفترَض"، وسلامةَ أدلته التي احْتَجَّ بها، ولكنه لم ينتبهْ- في هذا المقام- إلى خاصةٍ صوتيةٍ مهمةٍ لعلها تُظهِرُ لنا علةَ هذه المخالَفةِ، وهي خاصةٌ موجودةٌ في صوتِ الميم، وليست موجودةً في صوت اللام: صدرِ كلمةِ**(لَحافظون)** التاليةِ لصوتِ هاءِ**(لَـهُ)** قبلَها، وهي أنَّ صوت الميمِ وإنِ اتفق مع اللامِ في أكثرِ خصائصِهِ الصوتيةِ ولا سيما أصوات الذلاقة الستة:(ر. ل. ن) و(ف. ب. م) فإنَّ صوتَ اللام ليس في حيّز أصوات الشفة(ف. ب. م) كما جاء عن الخليل بن أحمد الفراهيدي[٦٨] الذي فَرَقَ بين أصوات الذلاقة(ر. ل. ن) ونظائرها الأصوات الشفوية وبقية الأصوات الصامتة بقوله:" ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون"[٦٩]. وكما هو معروف" فإن الميمَ صوتٌ شفويٌّ أغنّ يخرجُ بإطباق الشفتين إطباقا تامّا(ـمْ)؛ الأمر الذي يجعلُ صوتَ السُّكونِ من أهمِّ متطلبات سلامةِ تمامِ تكوينِه سلامةً تامةً، وهي **سلامةٌ لا تتمُّ له إلا بإغلاق الشفتين**

---

[٦٨] كتاب العين: ص٥١- ٥٢.

[٦٩] المصدر السابق: ص٥٢.

تمـامَ الإغـلاقِ أولا، ثـم تـأتي عمليـةُ تَكَيّـفِ نطقِـه مـع حركـةِ بنيـةِ الكلمـةِ أو موقعِهـا، وذلـك بخـلافِ صـوتِ الـلام أو غيـرِهِ مـن الأصـواتِ العربيـةِ الفصحى؛ لأنَّ الميمَ هو الصوتُ الوحيدُ– من أصوات العربية– الذي يُنطقُ بإغلاق الشفتين إغلاقا مُحْكما **من الخارج**؛ وهو الحال الذي يجعلني أشبهه بالصوت المضعَّف الذي يبدأ بساكن متلوٍّ بمتحرك.

وهذا مَرْبِطُ الفرَس؛ فإن إغلاق الشفتين في نطقِ صوتِ الميمِ الإغلاقَ المُحْكَمَ، ومجيئَـه فـي صـدرِ الكلمـةِ(مَعنـا) أراهُ يَعـوق بـل يمنـع مـدَّ حركـةِ الصـوت فـي آخـر الكلمـة التـي سبقته؛ لأنَّ نطـق المـيم– كمـا أتذوقـه– أراه يتطلـب مُدةً زمنيـةً لفكّ إطبـاقِ الشفتين عليـه، وإنْ شئْتَ فقل: لِتهيئتـهِ إلـى مغـادرةِ ملازمتـهِ لسكونٍ صـاحَبَ نطقَـهُ جريـانُ النفس من الخيشوم، ودليلنـا نلمسُـهُ فـي تجربـةِ نطقِ كلماتٍ تبدأ بصوتِ الميم؛ لنلحظَ أننـا أمامَ صـامتٍ مضـعّفٍ أَولُـهُ مَشوبٌ بسكونِ الإغلاقِ التـامِّ المتلوِّ بحركـةِ الفتحـةِ القصـيرة؛ وهو حالٌ قد أُشبهُهُ بحال الكلمة المُصدَّرَةِ بهمزة الوصل التي تتلاشى وظيفتُها في الوصل عندما يكون آخرُ صوتٍ في الكلمة التي قبلها متحركا بحركةٍ، كما في قوله Ψ:**{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }**[٧٠]. وهكذا فإن **حذف** ألف الوصل نطقا بعد حركةٍ قصيرةٍ لاحظنـاهُ نطقا فـي:**(قالـتِ الأعـرابُ= قـالتِلْأَعرابُ)** و**(يـدخلِ الإيمـانُ= يـدخلِلْإيمانُ)**، **وسـنلاحظه** أيضـا فـي **تقصـير حـرفِ المـد** كمـا فـي تقصـيرِ **الحركة الطويلة الواو المدّيةِ** إلى ضمةٍ قصيرة عند وصلِها بكلمة(الله) بدون

---

[٧٠] الحجرات: الآية ١٤.

نطق همزةِ الوصل، وذلك كما في قوله I:**{وإنْ تطيعوا الله}** تتحول إلى **(وإنْ تطيعُلْلاهَ)**.

وعلى هذا فإنَّ مدَّ حركة ضمير الغياب الهاء لا يمكن حدوثُهُ البتة في تلاوة قولِهِ Ψ:**{أَرْسِلْهُ مَعَنَا}**؛ لأنه سيصطدمُ بصوتٍ شفويٍّ حَبيسةٍ أَنْفاسُ شَفَتَي مَخرجِهِ حبسا محكما من الخارج، وإنَّ عدمَ المدِّ قبل صوتِ الميم في صدر كلمة معنا(مَعَنا) لَيُعَدُّ مَطلبا أو ضريبةً جمركيةً لفكِّ قيدِ صوتِ الميمِ عديمِ الحركة بين الشفتين؛ لِيتصلَ بالكلمةِ التي قبلَهُ بلا تطويلِ حركتِهِ من حركةٍ قصيرةٍ إلى طويلة.

وكذلك فإنَّ ممّا يعضدُ تعليلَنا لعدم مد الهاء قبل الميم أننا– ونحن نبحث في أدلةِ هذا المقام– قرأنا أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان" يُسّمِّي **الميمَ مُطْبَقَةً**؛ لأنّها تُطْبِقُ الفمَ إذا نَطَقَ بها"[٧١]. وذلك بخلاف صوت **اللام المفتوحة شفتاه**– ساكنا أم محركا– في قولِهِ I**{لَهُو لَحَافِظُونَ}**، وبخلافِ صوت **الباء الشفوي** الذي يمكن إتمامُ نطقه وهو مغلقُ الشفتين **من الداخل** بدون تحويل مجرى الهواءِ أو النّفسِ من الخيشوم أو الأنف إلى الفم كما هو الحال في نطق نظيره الشفوي صوت الميم الأغن كما في قوله I:**{فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ}**[٧٢]، وقد تكرر اجتماع المطل قبل الباء وعدمه قبل الميم في قوله I:**{ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ**

---

[٧١] كتاب العين: ص٥٨.

[٧٢] القصص: من الآية ٣٦.

الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ و قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ}[٧٣].

وهكذا فإن عدم مطل الهاء في **{أرسلْهُ} لم يكن لغرضٍ معنوي، وإنما مردُّهُ لأثرٍ صوتيٍّ ليس غير**، وإن ما يؤيد ما ذهبنا إليه في بيان سبب مطل الهاء- ضمير الغياب- أنَّنا قرأنا علماء التلاوة والتجويد ينصون على أن **وقوع هاء الضمير الغائب المفرد في آخر الكلمة مضموما أو مكسورا بين متحركين يُطيل مدَّ الضمةِ والكسرة**، ويسمونه **مدَّ الصلة الصغرى**.

كما هو واضح فإن هاء الضمير هنا في **{أرسلْهُ}** لم تقع بين صوتين متحركين؛ لأنه في حالة وقوع هاء الضمير الغائب مضموما أم مكسورا بين حرفين متحركين ثانيهما همزةٌ تُشبعُ الضمةَ واوا، والكسرة ياءً؛ وذلك على سبيل المد الجائز المنفصل حال الوصل.

وعلى هذا فإنّ الفارق بين المدين يكمن في أن المتحرك الثاني في مدّ الصلة الكبرى يجب أن يكون **همزةً فقط**، ومن **شواهد مدِّ الصلةِ الكبرى بالواو {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ و أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**[٧٤]. وأما **المد بالياء** فنحو **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }**[٧٥]. وَيُدَلُّ على هذا المد في حالة الضم برسمِ

---

[٧٣] الرعد: ٣٦.

[٧٤] البقرة: الآية ١١٢.

[٧٥] الروم الآية: ٢١.

واوٍ صغيرةٍ، وبياءٍ صغيرةٍ مرتدةٍ إلى الوراء قليلا متى كان صوت الهاءِ مكسورا.

وإذا ما انتقلنا إلى **مطل حروف المد** فسنرى أن **المطلَ لم يقتصرْ على الحركات القصيرة**، وإنما تعداه ليشمل **الحركات العربية الطويلة أو حروف المدّ** الألف والواو والياء **في مواقعَ تركيبيةٍ مُعَيَّنة**، وفي هذا السياق **يقول ابنُ جنّي**:" الألف والياء والواو اللواتي هن حروفٌ تَوامٌّ كوامِل، **قد تجدُهُنَّ في بعض الأحوال أطولَ وأتمَّ منهن في بعض**، وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فنجد فيهن امتدادا واستطالَةً ما، **فإذا أُوقِعَتْ بعدهن الهمزةُ أو الحرفُ المدغم، ازْدَدْنَ طولا وامتدادا**، وذلك نحو يشاء ويداء ويسوء ويهوء ويجيء ويفيء، وتقول مع الإدغام شابَّة ودابَة، ويطيبُ بَّكر، ويسيرُ رّاشد، وتَمودّ الثوب، وقد قوصَّ زيدٌ بما عليه، أفلا ترى إلى **زيادة المدِّ فيهِنَّ بوقوعِ الهمزة والمدغم بعدهن**، وهنَّ في كِلا مَوْضِعَيْهِنَّ يُسَمَّيْنَ حروفا كوامل"[٧٦].

ومن شواهد هذه الظاهرة قولهΨ:**{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيم}**[٧٧]. وقوله:**{يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورا مُّبِينا}**[٧٨]، وقولهُ Y أيضا:

---

[٧٦] ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق الدكتور حسين هنداوي. دار القلم- دمشق، ط٢/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ج١/ ص ١٧- ١٨.

[٧٧] سورة المُلْك: الآية: ٢٢.

[٧٨] سورة النساء الآية: ١٧٤.

{فَٱصبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُوم * لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُو نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُوم}[٧٩].

وكما هو واضحٌ من الشواهد القرآنية السابقةِ فإن **مدَّ حروفِ المدِّ الكوامل قبل الهمزة صنفان: الأولُ** يتمثّلُ في المدِّ المتلوِّ بهمزةٍ في كلمةٍ تتلوهُ مباشرةً. أما **الآخَرُ** فتتلوه الهمزة في بنية الكلمة الواحدة، وشاهدهُ فيما سبق كلمة(بالعرآء)، وهذا الصِّنفُ يدخل في مجال مباحث الصورفية، أمّا بقية الشواهد- التي ذكرناها في هذا السياق- فتقع في مجالات" الصَّوْتَرِيَّة" أو" الصَّوْنَحِيَّة".

ومن **شواهد الصوترية أو الصونحية**" أيضا ما يدخل في مجالات" **المزاوجة**" أو" **المشاكلة**" أو" **الإتْباع**"[٨٠] **للمجاورة**، وفي هذا المجال جاء عن

---

[٧٩] سورة القلم: الآيتان ٤٨- ٤٩.

[٨٠] عرَّفَ أبو الطيب اللغوي(ت. ٣٥١هـ) مصطلح الإتباع حين قال:" وإنّما قَرَنّا الإتباع بالتوكيد؛ لأن أهل اللغة اختلفوا، فَبعضٌ جعلوهما واحدا، وأكثرهم اختاروا الفرق بينهما؛ فجعلوا الإتباع ما لا تدخل عليه الواو نحو قولهم: عَطْشان نَطشان، وشَيطان لَيْطان، والتوكيد ما دخل عليه الواو، نحو قولهم: هو في حِلٍّ وَبِلٍّ، وأخذ في كل فنٍّ وفَنَن. ونحن بحمد الله نذهبُ إلى أن الإتباع ما لم يختص به بمعنىً يمكنُ إفرادُه به، والتوكيد ما اختصّ بمعنىً وجاز إفرادُه، والدليلُ على صحةِ قولِنا هذا، أنهم يقولون: هذا جائعٌ نائعٌ، فهو عندهم إتْباعٌ، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جُوعا ونُوعا، فَيُدخِلون الواو وهو مع ذلك إتْباع، إذْ كان محالا أنْ تكون الكلمةُ مرةً إتْباعا، ومرةً غير إتْباع، فقد وَضَّحَ أن الاعتبار ليس بالواو، وثَبَتَ ما حددناه به"(أ). وذكر عن" بعضهم، وقد سئل عن كلمةٍ في الإتباع ما معناها؟ فقال: شيءٌ نَتِدُ له كلامَنا ونقوّيهِ ونُثبِّتُهُ، يقال: وتدتَ الوَتِد أتدُهُ وَتْدا إذا أثبتّه في حائطٍ أو أرض؛ فأنا واتِد، وهو موتود، والواتد أيضا

عالم اللغة ابنِ السِّكِّيت(ت. ٢٤٤هـ) قال:" حكى اللحيانيُّ: بهِ الوَرى، وحُمّى خَيْبَرى، وشرُّ ما يُرى، فإنهُ خَيْسَرى؛ أي: خاسر. وإنما قالوا(الوَرَى) لِمزاوجة الكلام. **وقد يقولون في المزواجة ما لا يقولون في الانفراد**. قالوا: إني لآتيهِ

المنتصب الثابت"(ب). وعرّفه ابن فارس(ت. ٣٩٥هـ) هذا المصطلح بأنه" أنْ تُتْبِعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رَوِيِّها إشباعا وتأكيدا، ورُوى أن بعضَ العرب سُئِلَ عن ذلك فقال:(هو شيءٌ نَتِدُ به كلامنا)، وذلك قولهم: ساغِبٌ لاغب، وحَبٌّ ضَبّ، وخَرابٌ يَباب. وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب)"(ت)، ونقل الثعالبي(ت.٤٣٠هـ) تعريف ابن فارس للإتْباع، وقولَه بمشاركة العجم للعرب في هذه الظاهرة اللغوية(ث).

(أ)أبو الطيب اللغوي الحلبي، عبد الواحد بن علي: كتاب الإتْباع، حققه وشرحه وقدّم له عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص ٣- ٤.

(ب)المصدر السابق: ص ٢.

(ت)ابن فارس. أبو الحسين أحمد: الصاحبي، تح. السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، الناشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٧م، ص٤٥٨.

(ث)الثعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت/ لبنان، د. ت، ص ٢٤٨.

بالغَدايا والعَشـايا. فقـالوا:(الغـدايا) لمكـان(العشـايا)[٨١]. و(غـداة) لا تجمـع على(غدايا)"[٨٢].

وأفرد ابنُ السِّكيتِ لهذه الظاهرة بابا عنوانه:" باب ما تكلمت به العرب، من الكلام المهموز مع غيره مما ليس بمهموز، فتركوا همزه، فإذا أفردوه همزوه، وربما همزوا ما ليس بمهموز"[٨٣]. وكان مما جاء فيه قوله:" قيل لامرأة من العرب: ما أذهبَ أسنانَك؟ قالت: أَكْلُ **الحَأْرِّ** وَشُرْبُ **القَأْرِّ**. قال أبو الحسن: هذا إنما يهمزونه كراهيةَ اجتماعِ الساكنين. وهي في بني تميم

---

(٨١) قد يَعترض أحدٌ على استشهادنا بهذه الظاهرة؛ لوقوعها في بنية الكلمة المفردة، فيرى أنَّ وضعها في مجال الصورفية هو الصحيح أو الأَولى، ولكني أرد عليه بالإشارة إلى أن التغيير الواقع فيها وفي أمثالها جاء بتأثير الموقع تركيبا، وليس بتأثير المجاورة في أصوات بنية الكلمة، ثم إن" غداة لا تُجمع على غدايا" كما جاء عن ابن السكيت.

(٨٢) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق: كتاب الألفاظ" أقدم معجم في المعاني"، السفر الثاني، تح. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، ط١/ ١٩٩٨م. ينظر فيه" باب الدعاء على الإنسان": السفر الثاني ص ٤٢٧.

(٨٣) يُنظر هذا الباب في آخر السفر الثاني ص ٤٩٩- ٥٠٠. وعالج ابن قتيبة (ت. ٢٧٦هـ) هذه الظاهرة وغيرها من ظواهر الصورفية والصوترية أو الصونحية في كثيرٍ من أبواب كتابه" أدب الكاتب" يمكن الاستفادة منها في دراسة منفردة؛ وينظر مثلا" باب شواذ التصريف" الذي صدَّره بقوله:" قال الفراء وغيره: العربُ إذا ضَمَّت حرفا إلى حرفٍ فربما أجْرَوْهُ على بِنْيَتِهِ، ولو أُفْرِدَ لتركوه على جهته الأولى؛ من ذلك قولهم:(إنِّي لآتيه بالعَشَايَا والغَدَايا)، فجمعوا الغَداةَ غَدَايا لمَّا ضُمَّت إلى العَشَايا" ينظر ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١/ ١٤٠٨- ١٩٨٨م، ص٤٠١.

وعُكلٍ، يَقرأُ الأعرابيُّ منهم:**{علَيهِمْ ولا الضَّـأَلِّينَ}**. وقرأ عُمارةُ بنُ عَقيلِ بن بِلالٍ بن جرير:**{إنسٌ ولا جـأَنٌّ}**. ويقولون: **هَنـانِي الطعـام ومَرانِـي**. فلا يهمزون، ولا يتكلمون بـ(مَرانِـي) إذا كانت مع(هَنـانِي) إلا بغيرِ ألف. فإذا أفردوها قالوا: مَرأَنِي. ولغةٌ أخرى:(هَنَأَنِي وَمَرَأَنِي" بالهمز"[٨٤].

وكما هو واضحٌ فإن **لِلُغاتِ العرب أثرا** غيرَ منكورٍ **في إنتاج ظواهر الصوترية أو الصونحية** كما الصورفية. **ومما يدخل في هذا السياق** ظاهرةُ اختلاف العلامة الإعرابية في خبر" **ما الحجازية وما التميمية**"، وأثر **المجاورة** كما في قول العرب:" **هـذا جُحْـرُ ضَـبٍّ خـربٍ**" وقول الشاعر: (البحر الطويل)

كأنَّ ثبيرا في عَرانينِ وبلِهِ **كبيرُ أناسٍ** في بجادٍ **مُزَمَّلِ**

وكما هو بائنٌ فإن كلمة" **خَربٍ**" صفةٌ للجُحْرِ وليس للضَّبِّ، وإنَّ حقَّها في هذا الموقعِ الرفعُ وليس الجرّ، وكذلك الحالُ في كلمة" **مُزَمَّل**" فإنها صفة لـ:**(كبيرُ أناسٍ)**، وليس لـ" بجاد" المُزَمَّل به هذا الكبير" شيخ القبيلة"، وخرّجَ بعضُ العلماء جرَّ هاتين الكلمتين بأنَّ هذه المخالفةَ الإعرابيةَ قد جاءت على سبيل مشاكلَةِ علامةِ الكلمةِ السابقةِ المجاوِرة لها، وهي مشاكَلَةٌ اعتمدت على معتقد العرب في أن للجوار حقا على جاره.

وبعد، فهذا ما قدّر لي تقديمه في هذه الدراسة؛ بغية دعوة علماء الدرس اللغوي المعاصر في الوطن العربي إلى الاطّلاع على مقترح الاعتراف بمصطلح" الصورفية" الذي شغَلَ حيّزاً لا بأس به من هذا البحث، وشكّل

---

[٨٤] ابن السكيت: كتاب الألفاظ: ص٤٩٩.

جزءا من عنوانه، ومقترحا قديما ظل **حبيسَ** إحدى حواشي رسالةِ مقترحِهِ للماجستير، وانطلاقَ لسانهِ في قاعةِ درسٍ أو مناقشةِ رسالة؛ فشجّع من شجّع، واعترَض من اعترَض. وهأنذا أقدمه ومصطلحَي" **الصوتريّة**" و" **الصونحية**" لعلماءِ الأمةِ للنظرِ فيها نظر المُدَقق؛ فإن رّاق اجتهادي لهم فليتكرموا بنشره في استعمالهم لهذه المصطلحات في دراساتهم ودروسهم لتلامذتهم.

المصادر:

الأسدي، الدكتور حسن عبد الغني محمد جواد:

الدرس الصوتي عند رضيّ الدين الأستراباذيّ ٦٨٨هـ، جزء من متطلبات درجة الماجستير، بإشراف الأستاذ الدكتور هادي نهر، كلية الآداب–الجامعة المستنصرية– بغداد/ العراق، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م

باكلا، محمد حسن وآخرون:

معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي إنكليزي وإنكليزي عربي)، مكتبة لبنان– بيروت، ط١/ ١٩٨٣م، ص ٥٦.

بركة، بسام:

معجم اللسانية (فرنسي عربي)، منشورات جرّوس– برس، طرابلس– لبنان، ط١/ ١٩٨٥م.

بشر، الدكتور كمال محمد:

- دراسات في علم اللغة– القسم الثاني، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
- علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة ٢٠٠٠م.
- علم اللغة العام– الأصوات، دار المعارف بمصر– القاهرة(ج. ع. م)، ط١/ ١٩٦٩م.

الثعالبي، أبو منصور:

فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت/ لبنان، د. ت.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان:

- الخصائص، تح. الاستاذ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية- المكتبة العلمية، ط٢، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
- سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق الدكتور حسين هنداوي. دار القلم- دمشق، ط٢/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

حجازي، الدكتور محمود فهمي:

مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ط٢/ ١٩٨١م.

الحسناوي، كاظم سالم علي:

أثر الصفات الصوتية في تفسير الظواهر اللغوية- دراسة صوتية صرفية، جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة كربلاء،١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

ابن دَرَسْتَوَيْه، أبو محمد عبد الله بن **جعفر:**

تصحيح الفصيح وشرحه لابن دُرُسْتويه(ت. ٣٣٧ هـ) تح. محمد بدوي المختون مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مطابع الأهرام التجارية- قليوب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق:

كتاب الألفاظ" أقدم معجم في المعاني"، السفر الثاني، تح. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، ط١/ ١٩٩٨م.

أبو سليمان، الدكتور صادق عبد الله:

- بدائل لغوية- نحو إثراء العربية": مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة، العدد ١٠٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- التثقيف في اللغة العربية- النظرية والتطبيق، تقديم المرحوم- بإذن الله- الأستاذ الدكتور كمال محمد بشر، دار المقداد للطباعة- غزة/ فلسطين، ط ٥، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٣م.
- الدراسات اللغوية الحديثة في مصر في الفترة من ١٩٣٢- ١٩٦٢م، (رسالة ماجستير) إشراف المرحومين- بإذن Θ- الاستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين و الأستاذ الدكتور حلمي خليل، جامعة الإسكندرية (ج. م. ع)، ١٩٨٧م.
- العمل المعجمي قبل العصر الحديث، مطبعة المقداد- غزة/ فلسطين، ط ١/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان:

كتاب سيبويه، تح. عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/ ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

ابن السيد البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد:

المثلث، تحقيق ودراسة الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر- العراق، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن:

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، د. ت.

أبو الطيب اللغوي الحلبي، عبد الواحد بن علي:

كتاب الإتْباع، حققه وشرحه وقدّم له عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

عبد الجليل، الدكتور عبد القادر:

علم الصرف الصوتي MORPHO – PHONOLOGY، سلسلة الدراسات اللغوية(٨)- جامعة آل البيت- الأردن، ١٩٩٨م

عمر، الدكتور أحمد مختار:

دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب- القاهرة، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

عضوية التقديم في التجربة الفنية للقصيدة
بحث تطبيقي لمفهوم (الوحدة الكبيرة)

الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد

قسم اللغة العربية

كلية التربية للعلوم الإسلامية

ابن رشد/ جامعة بغداد

الملخص:

يدرس هذا البحث أصالة المقدمة الفنية في صلب نص المتنبي كامتياز له من تقليديات بناء القصدية العامة حتى يبدو نصّه وحدة واحدة وليس على انه وحدتان: مقدمة وتخلص منها إلى غرض رئيس بل كل قصيدته غرض رئيس كوحدة كبيرة واحدة؛ فليس هناك ذاتي في قصيدته أو موضوعي بل كلاهما شيء واحد.

المقدمة :

كثيرا ما فرضت المقدمة الفنية على القصيدة حضورها؛ خضوعا لتوقع التلقّي السائد وذائقته الجمالية؛ أو لكونها منفذا اعتاد الشعراء على المرور منه إلى عالم الشعر؛ في أشهر أغراضهم؛ كالمديح على الوجه الأخصّ؛ فهو غرض قد ينأى به كثير من الشعراء عن همومهم الخاصة وتجاربهم الشخصية؛ ليتفرغوا لممدوح ينتظر منهم اعادة تشكيله وتقديمه إلى البقاء، وليس ثمّة من داعٍ أن يصدّعوا رأسه بما يعنيهم ولايعنيه؛ فما إنْ يُطربوه بغزلٍ تهفو اليه نفوس الرجال، أو بنسيب قد يكون هو من الضاربين بسهم

منه حتى يخلصوا إليه تخلّصا ينتظره أحسنه كثير من الشعراء ولاسيما المولّدون أو المحدثون منهم؛ حتى أن نقادهم أطلقوا عليه (حسن التخلص) لئلا يكون عليهم حرج باقتضابه ذلك الاقتضاب الذي جعل من القصيدة القديمة وكأنها قصيدتان؛ ولكن مع هذا الحسن في التخلص أو التخلص عامة فُصلت المقدمة عن الغرض الرئيس واصبحت من وحدتين أو أكثر، اذا اعتبرنا المقدمة من وقوف على طلل ورحلة عنه أو من وقوف على ظعن وتسرية النفس عنه برحلةٍ أيضا .. إلى ما هنالك من صيغ فنية متعارفة، أكثر من وحدة.

ولكنّ من الشعراء، وهم الأقل من القليل، من لايعنيه أمر هذا (الغرض الرئيس) أو هذا الممدوح فيجعل من نفسه محور قصيدته، واعني به المتنبي الذي صرّح بهذا لأحد رواته[1]؛ وحتى لو لم يُبدِ هذا أو يصرّح به فالوقوف على أكثر نصوصه يصرّح به.

النص:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا	وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا
تولّوا بغتةً فكأنّ بينا	تهيبني ففاجأني اغتيالا
فكان مسير عيسهم ذميلا	وسير الدمع إثرهم انهمالا
كأنّ العيس كانت فوق جفني	مناخات فلما ثرن سالا
وحجّبت النوى الظبيات عني	فساعدت البراقع والحجالا
لبسن الوشي لامتجملات	ولكن كي يصنَّ به الجمالا

---

(1) الديوان: ٣٦٤.

وضـــــقّرن الغـــــدائر لا لحســــــن ولكــن خفــن فـــي الشــعر الضـــلالا
بجســمي مــن برتــه فلــو أصــارت وشـــاحي ثقـــب لؤلـــؤة لجـــالا
ولـــولا التـــي فـــي غيـــر نـــومٍ لبــــتُّ أظننـــي منـــي خيـــالا
بـــدت قمـــرا ومالـــت خـــوط بـــان وفاحـــت عنبـــرا ورنـــت غـــزالا
كـــأنّ الحـــزن مشـــغوف بقلبـــي فســـاعة هجرهـــا يجـــد الوصـــالا
كـــذا الـــدنيا علـــى مـــن كـــان قبلـــي صـــروف لـــم يـــدمن عليـــه حـــالا
أشـــدّ الغـــم عنـــدي فـــي ســـرور تـــيقن عنـــه صـــاحبه انتقـــالا
ألفـــتُ ترحلـــي وجعلـــت ارضـــي قتـــودي والغريـــري الجـــلالا
فمـــا حاولـــت فـــي ارض مقامـــا ولا أزمعـــــت عـــــن ارض زوالا
علـــى قلـــق كـــأن الـــريح تحتـــي أوجههـــا يمينـــا أو شـــمالا
إلـــى البـــدر بـــن عمـــار الـــذي لـــم يكـــن فـــي غـــرة الشـــهر الهـــلالا
ولـــم يعظـــم لـــنقص كـــان فيـــه ولـــم يـــزل الأميـــر ولـــن يـــزالا
بـــلا مثـــل وان ابصـــرت فيـــه لكـــل مغيـــب حســـن مثـــالا
حســـام لابـــن رائـــقٍ المرجّـــى حســـام المتقـــي أيـــام صـــالا
ســـنان فـــي قنـــاة بنـــي معـــدٍّ بنـــي اســـد اذا دعـــوا النـــزالا
أعـــزّ مغالـــب كفـــا ســـيفا ومقـــــــدرة ومحميـــــــة وآلا
واشـــرف فـــاخر نفســـا وقومـــا واكـــرم منـــتمٍ عمـــا وخـــالا
يكـــون احـــق اثنـــاءٍ عليـــه علـــى الـــدنيا وأهليهـــا محـــالا
وبقـــى ضـــعف مـــا قـــد قيـــل فيـــه اذا لـــم يتّـــرك أحـــد مقـــالا
فيـــابن الطـــاعنين بكـــل لـــدن مواضـــع يشـــتكي البطـــل الســـعالا
ويـــابن الضـــاربين بكـــل عضـــب مـــن العـــرب الاســـافل القـــلالا
ارى المتشـــاعرين غـــروا بـــذمي ومـــن ذا يحمـــد الـــداء العضـــالا
ومـــن يـــك ذا فـــم مـــرٍّ مـــريض يجـــد مرابـــه المـــاء الـــزلالا

وقـــالوا هـــل يبلغـــك الثريـــا فقلـــت نعـــم اذا شـــئت اســـتفالا
هـــو المغنـــي المـــذاكي والاعـــادي وبـــيض الهنـــد والســـمر الطـــوالا
وقائـــــدها مســـــوّمة خفافـــــا علـــى حـــي تصـــبحه ثقـــالا
جوائـــــل بـــــالقنيّ مثقفـــــاتٍ كـــأنّ علـــى عواملهـــا الـــذبالا
اذا وطئـــت بأيـــديها صـــخورا يفـــتن لـــوطء ارجلهـــا رمـــالا
جـــواب مســـائلي ألـــه نظيـــر ولا لـــك فـــي ســـؤالك لا ، ألالا
لقـــد أمنـــت بـــك الاعـــدام نفـــس تعـــدّ رجاءهـــا إيـــاك مـــالا
وقـــد وجلـــت قلـــوب منـــك حتـــى غـــدت أوجالهـــا فيهـــا وجـــالا
ســـرورك ان تســـرّ النـــاس طـــرا تعلمهـــم عليـــك بـــه الـــدلالا
اذا ســـالوا شـــكرتهم عليـــه وان ســـكنوا ســـألتهم الســـؤالا
واســـعد مـــن رأينـــا مســـتميح بنيـــل المســـتماح بـــأن ينـــالا
يفـــارق ســـهمك الرجـــل الملاقـــي فـــراق القـــوس مـــا لاقـــى الرجـــالا
فمـــا تقـــف النصـــال علـــى قـــرار كـــأن الـــريش يطّلـــب النضـــالا
ســـبقت الســـابقين فمـــا تجـــارى وجـــاورت العلـــوّ فمـــا تعـــالى
واقســـم لـــو صـــلحت يمـــين شـــيء لمـــا صـــلح العبـــاد لـــه شـــمالا
اقلّـــب منـــك طرفـــي فـــي ســـماءٍ وان طلعـــت كواكبهـــا خصـــالا
واعجـــب منـــك كيـــف قـــدرت تنشـــا وقـــد أُعطيـــت فـــي المهـــد الكمـــالا

لقد ردم المتنبي هذا المفصل الذي بين المقدمة وما بعدها (ولا أقول الغرض الرئيس فكل القصيدة غرض رئيس) ردما نوعيا؛ وأعني بالنوعية أن هذا الردم لايبدو ردما بل يبدو في أكثر قصائده وكأنها من مقدمة وغرض وبينهما تخلص وحسن تخلص أيضا ولكن بالتحليل تبدو على حقيقة أمرها وحدة كبيرة واحدة؛ اما ما يلمسه متلقيها من مقدمة وغرض فلبنائها على

مفارقة اداء يبديها هكذا والاّ فالمقدمة تنتمي انتماء عضويا وما حسنُ هذا التخلص (هذا اذا كان تخلصا من مقدمة) الا لهذا الانتماء الصميمي بعضها لبعض؛ فالمقدمة هي الغرض نفسه وليس صيغة منفصلة كما تبدو لهذا التلقي أو التوقع؛ فما ظنّه أنها من وحدتين الاّ لبنائها تحت ظلال احدى الصيغ المتعارفة كالطلل أو الظعن أو غيرهما، ولبيان هذه المفارقة وكل ما تقدم نقف ازاء قصيدة له وقفت تحت ظلال صيغة الظعن [٢]:

بقـائي شـاء لـيس هـم ارتحـالا وحسـن الظـن زمّـوا لا الجمـالا

فكثيرا ما يفضّل هذه الصيغة فيبني تحت ظلالها ما يريد من بناء؛ لأنها الصيغة الأمثل للدلالة على ما يمّر به من تجارب مفعمة بالغربة في شتى أنواعها؛ هذه الغربة التي تدفعه إلى الترحّل المستمر والى الإحساس الدائم بعدم الانتماء إلى المكان؛ الا المكان الذي يحقق له آماله.

فأما هذه المفارقة التي تبدي القصيدة وكأنها من مقدمة ظعن وغرض رئيس، وما هي من مقدمة وغرض رئيس فلأَنّهُ يجعل من نفسه هو الظعن المرتحل فيشيّعه بمفارقات ادائه فتكون القصيدة وحدة كبيرة واحدة تصوّر تجربة ذاتية محضة ولا يرد المديح فيها الاّ لمكان خطاب الممدوح بتفاصيل هذه التجربة.

وهنا يعاني من حاسدين له على مكانته عند صديقه بدر بن عمار لحد ازماعهم ازاحته عنها وعن بقائه في ذُراه؛ فبادرهم هو، بهذا النص، قبل أن يبادروه، وقد أخذه الشك إلى اليقين باليأس من قوة مطاولة صديقه إلى

---

[٢] الديوان: ٣٣٣.

النهاية؛ فتركّبت صيغة الظعن من علاقات الحضور والغياب المتناقضة من دلالة حاضرة على واقع التجربة ودلالة غائبة لتقاليد تقديمية تشي بالنسيب أو الغزل؛ فالتواردات لاتستقر من البداية على تفاصيل تقديم فني بريء والاّ فما صياغة هذا المصراع الأول للمطلع بهذا التركيب المفاجيء:

(بقائي) ليقابله بـ (ارتحالا)

ليتبعه بهذا المصراع الذي لايقلّ عنه مفاجأة:

وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا؟

الا لكون هذا الارتحال لهم وليس له؛ فارتحاله الذي يريدونه بقاءٌ له؛ ولايزمّ جِمالا لان الجِمال للارتحال بل يزمّ (صبرا) لأنه يشاء (البقاء)؛ إذن غابت تفاصيل صيغة الظعن أو صفتها الاستعمالية في العرف الفني للنسيب أو الغزل.

ثم يعلو مدّ دلالات النسيب وتفاصيل صيغة الظعن بعد هذا المطلع الذي غيَّبها ليجعل التوقع مترجحا بين غيابٍ وحضور لهذه الصيغة؛ فالابتداء التقريري أو الاخباري قد تقدّم بقوة بصيغة المتكلم (بقائي) تباغت متلقيا مقصودا (حاسدا، ممدوحا)؛ إذ قدّر ان رسالته قد أخذت مستقرها: اذا اردتم (رحيلي) فهذا (بقائي) مع دلالة تقريعية تصل إلى (الممدوح) وهو في بداية ضعفه ازاء خصوم الشاعر فدفعه اليقين من ضعفه؛ فجابهه بيأسه منه مزمعا الرحيل ولكنه يأس آمل باعتبار النسيب الصريح والمديح؛ ثم يتسرّب التقريع والمواجهة الحادة إلى تقرير موقفه وهو أن (البقاء) ولكن على الرحيل مكتوب

عليه؛ لتحضر الدلالة المتعارفة لصيغة الظعن وتغيب دلالة افراغها من دلالتها لتغيب دلالتها في البيت:

كـأنّ الحـزن مشـغوف بقلبـي　　فسـاعة هجرهـا يجـد الوصـالا

مستمدة حضورها من المطلع؛ فالتحدي في قاع هذا البيت:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا

وهو بهذا على مقربة من مضمونه الأثير لديه وهو ان الأشياء هي التي ترحل وهو ثابت.

اذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا　　الاّ تفـارقهم فـالراحلون هـم[٣]

و:

غنـيٌّ عـن الاوطـان لايسـتفّزني　　إلـى بلـد سـافرت عنـه إيـابُ
وعن زملان العيس ان سامحت به　　والاّ ففـي اكـوارهنّ عقـابُ
ارى لـي بقربـي منـك عينـا قريـرةً　　وان كـان قربـا بالبعـاد يُشـابُ[٤]

فهذا القلق المنبعث من الاطمئنان هو بناء نفسه القائم على تناهض الارادات وتقابلها؛ لذا نجد تكريس الرمز وتعبئة هذا التركيب: (بقائي شاء) وحشوه بالدلالات المؤقتة والدائمة والتواردات الموضوعية وتطويعها فنيا تدل كلها على الارتحال ولكن ظاهر هذه الصياغة تدل على رحيل الطرفين: هو

---

[٣] الديوان: ٢٦٩.
[٤] الديوان: ٣٨٠.

والآخر؛ وهذا وحده مفارقة تبدو لشارحي البيت: " أنه لايريد لهم الارتحال فدعا على نفسه"[٥] بارتحال بقائه؛ أي ان البقاء اذا ارتحل لن يعود؛ وهذا التفسير سببه أخذهم المقدمة على انها مجردة من تفاصيل تجربته التي انتجت هذا النص؛ وهو يدل أيضا على تركيبه لما هو تقليدي وما هو واقعي في هذه الصيغة التي طوّعها لاحتواء تجربته.

واذا تركنا شارحي الديوان نجد انه لايريد ان يكونوا هم المفارقين بل هو ببقائه؛ أي انهم لم يفارقوه؛ لأنهم لم يشاءوا الفراق وهو أيضا لايريد الارتحال، لأنه باقٍ، ولكنه شاء الارتحال لتنبثق دلالة القلق لفراقٍ لم يشأه، ولم يشاءوه، بل شاءه هو ببقائه ليدلّ هذا كله على: بقائي على التزامي شاء ارتحالا عنهم؛ لانهم لايرحلون حقيقة بل ادعاءً، على حين هو الذي يرحل حقيقة لا ادعاءً؛ لأن البيت:

فما حاولت في ارضٍ مقاما ولا أزمعت عن ارض زوالا

يفسر اركان المفارقة (لاني ملازم لظهر رحلي) فكأني مقيم وانا مرتحل؛ فكأني منقسم بين الحالين؛ فانا لاظاعن ولامقيم [٦].

وقبل هذا البيت غابت تفاصيل التجربة وحضرت تفاصيل صيغة الظعن ونسيبها الذي يصف أثر رحيل من يحب لحد النحول لايراد دلالات القلق؛ أي يقوم الأثر (النحول) مقام المؤثر (القلق والخوف واليأس) رامزا بهذا إلى استماع صديقه لكلام الحساد، والشاعر لايصدّق ضعف الممدوح ازاءهم:

---

(٥) التبيان: ٣/٢٢١/ ٢٠٣.

(٦) شرح مشكل ابيات المتنبي لابن سيده: ١١٩.

النحول: بجسمي من برته فلو أصارت   وشاحي ثقب لؤلؤةٍ لجالا
عدم التصديق: ولولا انني في غير نومٍ   لبتّ أظنني مني خيالا

ولِأغراق التصريح بالرمز إليه يستمدّ من صيغة الظعن ليمرر ما يريد فيتكثف السياق بهذه الألوان أو قل بهذا التلوّن:

بدت قمرا ومالت خوط بانٍ   وفاحتْ عنبرا وبدت غزالا

ليغادر الرمز ويصرّح بواقع شعوره، وهو دوام حزنه واعلان هجره بوصال ما اعتاده من رحيل:

كأنّ الحزن مشغوف بقلبي   فساعةَ هجرها يجد الوصالا

ليتصاعد سياق التصريح بتفسير هذا البيت بخمسة ابيات صرحت بمكنونات نفسه وازاحت الرمز بصيغة الظعن بل ازاحت هذه الصيغة أيضا:

كذا الدنيا على من كان قبلي   صروف لم يدمْنَ عليه حالا
أشدّ الغمّ عندي في سرور   تيقّن عنه صاحبه انتقالا
ألِفتُ ترحّلي وجعلت أرضي   فتودي والغريريّ الجُلالا
فما حاولت في ارضٍ مقاما   ولا أزمعت عن أرضٍ زوالا
على قلق كأنّ الريح تحتي   أوجهها يمينا أو شمالا

وهذه بنية قلقة تتواشج فيها علاقات الحضور والغياب لكلتا الدلالتين: دلالة صيغة الظعن بتحولها هذا ودلالة التجربة الموضوعية ودلالات أخرى مختلفة ليلقي بقايا الرمز الفني لتجربته أو اسقاطها على صيغة الظعن

لتستقطب كل معاناته وخلاصاتها الحكمية وقطع دابر النسيب الماضي مهيّا لمجال تأملي وذلك بالارتفاع بمعاناته لتأخذ مكانها من المعاناة الإنسانية العامة بصياغتها صياغة حكمية باستخلاص عام من معاناة خاصة لينتقل، لا ليتخلص، إلى تهديد الممدوح بالرحيل وبثّه معاناته في وقت واحد في هذا المقطع الذي ينوء بالتبعات ولئلا تتقطع القصيدة على بنىً متعددة فكان اداء هذه البنية التي نهضت بهذه التبعات كالآتي:

كان البيت: بجسمي من برته فلو أصارت   وشاحي ثقب لؤلؤة لجالا

وهو معنى قريب اليه يكرره بصياغات متنوعة [٧] لاحت منه بوادر التحول من اسقاط التجربة وتفاصيلها على صيغة الظعن الذي كان ينقل الأثر (النحول) دون المؤثر (القلق) والبيت:

فلولا انني في غير نومٍ   لبتُّ أظنني مني خيالا

وهو يقرّع أو يعاتب ولكن يستمدّ من النسيب؛ وكلا البيتين يهيئان لتحول إلى بث المعاناة الموضوعية بقدم في أرض النسيب وأخرى في ارض العتاب والشكوى من الحسّاد وهذه القدم الأخرى تظلّ معلّقة حتى البيت:

كأنّ الحزن مشغوفٌ بقلبي   فساعة هجرها يجد الوصالا

---

[٧] فهو بين مضامينه الثابتة، انظر مثلا:

اراكِ ظننتِ السلك جسمي فعُقْتِهِ   عليكِ بدرٍّ من لقاءِ الترائبِ

الديوان: ١٨٩.

الذي هيّأ للتعميم ثمّ الحكمة ليزدحم السياق بتواردات جديدة:

كـذا الـدنيا علـى مـن كـان قبلـي صـروف لـم يـدمْنَ عليـه حـالا

لينقل الشطر الثاني القدم الأخرى إلى تفاصيل تجربته قاطعا دابر النسيب ليبدو على صفحة النص جديد النص وتحضر الذات بقوة وهي تشتق من واقعها رأيا شخصيا يسمو كالحكمة:

أشـدّ الغـمّ عنـدي فـي سـرور تـيقّن عنـه صـاحبه انتقـالا

وهو قمة في التعبير عن القلق بتركيبة متناقضة منشؤها المطلع ومنشؤها طبيعته المتشائمة التي تتوقع الحزن من بين ثنايا السرور ويُباغَتُ من مأمنه، وهو حاله عند كثير من ممدوحيه؛ بل لايصدر عن تشاؤمه بقدر صدوره عن مفاجآت واقعِهِ التي تنتصب بين يديه فيعبّر عنها؛ فهي التي خلقت منه كيانا متشائما.

فالنص إذن لم يُقَدَّم بمقدمة لينتقل عنها وهو بذلك المطلع الذي بثّ مدده في تفاصيل هذا النسيب المريب؛ حتى الحكمة هنا بهذا التمهيد لها ليست فلذة منقطعة ليتناقلها العموم بعيدا عن بيئتها هذه، أو وهي بهذا الاسترفاد من الواقع؛ فالبيت:

ألفـتُ ترحلـي وجعلـت أرضـي قتـودي والغريـريّ الجـلالا

يستمد مضمونه بصيغة التحول من التعميم الحكمي إلى الاخبار عن طبيعة الذات الخاصة ويستمد أيضا من البيت الذي قبله:

كـــأن الحـــزن مشـــغوف بقلبـــي   فســـاعةَ هجرهـــا يجـــد الوصـــالا

فخلاصات هذه الأبيات هي واقعه عامة حتى في مقامه عند سيف الدولة:

ومـــا اســتغربت عينـــي فراقـــا رأيتـــه   ولا علّمتنـــي غيـــر مـــا القلـــبُ عالمـــه

فالثابت في طبيعة الأشياء هو التغيّر والتحول فمن طبيعتها التي لاتتغير ان تتغيّر أبدا ومن قلة الخبرة بها الظنُّ بثباتٍ لها؛ ولذلك:

فمـــا حاولـــت فـــي ارضٍ مقامـــا   ولا أزمعـــــت عـــــن أرض زوالا

بمفارقة انصرف بها عن العتاب والتهديد؛ وهي ذروة التعبير اليائس المتيقّن بحقائق الأشياء بفعل منه يطبّقه على هذا الأساس في حياته.

وهنا يقدم للتوقع وللممدوح تخلّصا ورحلة اليه أيضا وباشتقاق الموضوع من الموضوع؛ ولا أسميه تخلصا أيضا لتشابك العلاقات بين محتوى الصيغة ومحتوى المعاناة الواقعية بتزامن يجعل من التوقع يضع يده على صيغة نسيب وتخلص ورحلة ولكن هذا كله في جلية أمره ليس إلاّ تعبيرا عن معاناة تجربة موضوعية عن معاناة واقعية يعاني كل كلمة فيها بحيث لايستعير ابداعه من تقليد الاداء العام، بل يستمد توالده من خصوص تجربته؛ والا فمن اين استمد هذا البيت:

علـــى قلـــق كـــأن الـــريح تحتـــي   أوجّههـــــا يمينـــــا أو شـــــمالا

الا من قلق البيت الذي قبله:

فمــا حاولــت فـــي ارضٍ مقامــا ولا أزمعــــــت عــــــن ارض زوالا

لا ارتحالا اليك يابدر بل هذا هو شأني ودأبي وهجيراي:

إلــى بــدر بــن عمــار الــذي لــم يكــن فـــي غـــرّة الشـــهر الهـــلالا

بدليل ما قدّم من قلق مستمر لا أحاول فيه مقاما ولا أزمع عنه زوالا؛ فحتى لو كان ثمّة تواردات متوقعة بأن هذا القلق كله لرحلة هدفها النهائي هذا البيت أو هذا الممدوح أو ما بعده من مديح مجموعُهُ ثمانية ابيات فما سبق من تصريح بطبائع الذات وتصميم حكمي على الثبات على الايمان بالتغير المستمر يذهب بهذه التواردات بل يذهب بها هذا النداء الذي هو لبّ هذه التجربة والدافع إلى انطلاق هذا النص وهذا الطلب الذي غلّفه بهذا المديح:

فيــا ابــن الطــاغين بكــل لــدن مواضــع يشــتكي البطــل الســعالا

ويــا ابــن الضــاربين بكـل عضـب مـــن العـــرب الاســـافل والقُـــلالا

ارى المتشـــاعرين غـــروا بـــذمي ومـــن ذا يحمـــد الـــداء العضـــالا

ومــن يــك ذا فــم مــرٍّ مــريضٍ يجــد مــرّا بـــه المـــاء الـــزُلالا

مُزْكّيا النفس ومهددا ومعاتبا ومطالبا ومحرضا إياه وموغرا صدره على هؤلاء المتشاعرين الذين سلبهم مكانتهم بمواهبه ومشتقا من هذا كله ما يرفع من مناسيب تحريضه عليهم:

وقـــالوا: هـــل يبلّغـــك الثريـــا؟ فقلـــت نعـــم، اذا شـــئت اســـتغالا

فكل إصبع فـي هذا النص يشير إلـى مكـان واحد، وهو بهذا وحدة واحدة كبيرة.

المصادر:

١ -ديوان ابي الطيب المتنبي، بشرح عثمان بن جني المسمّى بالفسر، تحقيق: الدكتور صفاء خلوصي، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩.

٢ -ديوان ابـي الطيـب المتنبـي، تقديم: الـدكتور عبد الوهـاب عزّام، دار الزهراء، بيروت، ١٩٧٨.

٣ -ديوان ابـي الطيـب المتنبـي (الشـرح المنسوب لابـي البقـاء العكبـري، المسمّى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصـححه: مصطفى السقا وزملاؤه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨.

٤ -ديـوان المتنبـي بشـرح الواحـدي، تحقيـق: فريـدرخ ديتريصـي، بـرلين، ١٨٦١.

الاتجاهات العلمية في كتاب "نهج البلاغة"
للإمام علي "عليه السلام"– دراسة منهجية –

الأستاذة الدكتورة فاطمة زيار عنيزان
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

الملخص:

عمل الإمام علي "عليه السلام" على تحديد بعض السمات الأساسية لبعض العلوم بأسلوب منهجي قائم على أساس التحليل المنهجي لتلك الظواهر، من اجل توحيد الأهداف التي تقوم على أساس البناء العلمي لتلك المعلومات في ضوء الظاهر التي وجدت عليها وعززها بما يخدمها مع ما هو متوافر لديه وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في تعزيز تلك المعلومات من اجل إيضاحها وإيصالها إلى الهدف المنشود وهو صلاح حال الأمة.

المقدمة:

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات التاريخية التي أخذت حيزا واسعا من الجوانب العلمية التي تقوم على أساس استنباط تلك الاتجاهات من خلال هذا الكتاب وتوظيفها بشكل منهجي أساسه التحليل الفني لتلك الاتجاهات؛ لذا كان لهذا الكتاب أهميه كبيرة في تحديد السمات الأساسية لتلك العلوم والاتجاهات العلمية التي وجدت فيه، وتكمن أهمية الموضوع في بناء سلسلة من المعلومات العلمية التي وجدت في هذا الكتاب

وتم صياغتها بأسلوب علمي قائم على أساس الدراسة والتحليل وتوظيف تلك النصوص مستندين إلى القرآن الكريم أولا والحديث النبوي الشريف ثانيا، وبعض أقوال العلماء التي عالجت مثل تلك القضايا، لذا يهدف هذا الموضوع إلى تحديد السمات العلمية لتلك النصوص بأسلوب منهجي قائم على أساس التحليل العام والخاص للنصوص المتعلقة بالموضوع، ومن هنا أردنا أن نوضح الاتجاهات العلمية التي وردت في كتاب نهج البلاغة للإمام علي "عليه السلام"، والعمل على بنائها على وفق السياقات المنصوص عليها، وبذا نكون قد قدمنا بناء علميا متكاملا من خلال هذه الدراسة بأسلوب منهجي قائم على التحليل الموضوعي لتلك الظواهر العلمية من أجل توحيد الأهداف العلمية التي وجدت في هذا الكتاب الذي يُعُّد من أهم الآثار العلمية التي تركها لنا الإمام علي "عليه السلام" للتراث العلمي العربي الإسلامي ولاقى اهتمام العلماء والباحثين بالدراسة والبحث والتحليل.

إنّ دراسة سيرة الإمام علي "عليه السلام"[١] تمثل أحد الأركان الأساسية في النهج العقائدي والفكري لبناء الأمة في سلوكها الحضاري؛ لأنه الأساس

---

[١] ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(ت١٥١هـ)، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١(بيروت، دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٤م)، ٢٦٢/١؛ ابن هشام: محمد بن عبد الملك بن أيوب الحميري البصري(ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام، ط٣(القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م)، ٧٠٨/٢-٧١٣؛ ابن سعد: احمد ن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، (القاهرة، الخانجي، ٢٠٠١م)ن١٩/٣؛ مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، (دار طيبة، ٢٠٠٦م)، رقم ٢٤٠٩؛ اليعقوبي: احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح

(ت بعد ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير المهنا، (بيروت، مؤسسة الاعلمي)٢/١٤؛ الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي(ت٢٧٢هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك عبد الله، ط٢) بيروت، دار خضر، ١٤١٤هـ)، المقدمة؛ الدينوري: ابو حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١(القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م)، ص٢١١؛ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غوية، (ليدن، بريل ، ١٩٠٣م)، ١/٣٨٢، ٣٨٧؛ الطبراني: سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير(ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حميد بن عبد المجيد السلفي، ط٢(القاهرة ، مكتبة ابن تيمية)، ٥/٥٠؛ الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد(ت٤٥٠هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢(بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ٣/٤٨٣؛ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد اله بن محمد(ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد البجاوي، ط١(بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م)، ١/١٠٨٩؛ الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف(ت٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق الدكتور إحسان عباس، (بيروت، ١٩٧٠م)، ص؛ الطبرسي: أبو الفضل علي بن الحسن(٥٤٨هـ)، أعلام الورى بإعلام الهدى، تحقيق مؤسسة آل البيت"عليهم السلام" لإحياء التراث، ط٢(١٤١٧هـ)، ص٦؛ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي(ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، ط١(بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م)، ٢٤/٣٧٨، رقم(٨٩٧٦)؛ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)، صفة الصفوة، تحقيق محمد فاقوري والدكتور محمد رواس قلعجي، ط٢(بيروت، دار المعرفة، ١٧٧٩م)؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ٥/٦٦؛ ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم(ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث ، ط١(١٤١٧هـ)؛ سبط بن الجوزي: أبو الفرج

الذي عّولت عليه الأمم فيما بعد ولاسيما انه انتهج المنهج القرآني الكريم وفيما بعده منهج النبوة المباركة في بناء فكره العلمي والعملي، فاوجد جملة من المفاهيم التي وقفت في وجه السلبيات التي كانت تغزو امتنا بين الحين والآخر، إذ نبغ في مجالات علمية عدة منها العلمية والفكرية والتربوية

(ت٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، ط١(بيروت، دار العلوم)، ص ٦، ١؛ الذهبي: محمد بن عثمان بن قايماز(ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط١(دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ)، ١٣٧٦؛ وتذكرة الحفاظ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ٥/١؛ و سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد، (القاهرة، المكتبة الوقفية)، ٨٣/٢-؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمرو(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، إشراف الشيخ عبد القادر ارناؤوط، (دمشق، دار ابن كثيرن٢٠١٠م)، ٣٣٠/٧؛ ابن حجر: احمد بن علي أبو الفضل العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١(بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ)، ٥٠٧/١؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط١(القاهرة، السعادة، ١٩٥٢م)؛ الإتقان في علوم القرآن، (بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٧٣م)، ٣١٨/٢ ؛ صفي الدين: أحمد بن عبد الله بن أبي الخير الخزرجي(ت٩٢٣هـ)، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٦هـ)، ٢٥٠/٢.، الزركلي: خير الدين، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين)، ٢٦٦/٢؛ الدوري: عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط٢(بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦١م)، ص٥٨؛ موير: وليم، كتاب حياة محمد، (لندن، ١٨٧٧)، ص٢٥؛ مزار شريف وحكاية مزار الإمام علي بن أبي طالب"عليه السلام"، جريدة ١٤ أكتوبر اليمنية، ١٩/يناير/٢٠٠٨م؛ لامبير: هنري: فاطمة "رضي الله عنها" وبنات محمد "صلى الله عليه وسلام"، (لندن، ١٩١١م)، ص٢؛ سركيس: يوسف آليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية)، ١٣٥٣/٢.

والسلوك الذي عول على البناء الاجتماعي للمجتمع آنذاك، فكانت له "عليه السلام" في كل ناحية بصمة أخذنا منها الدروس والعبر، ومن هنا؛ لابد لنا من وقفه على بعض الجوانب ،ولاسيما انه غني عن التعريف لان سيرته "عليه السلام" باقية خالدة في صفحات المجد والشهادة والعلو والرقية، ذلك العالم المجاهد صاحب المثل العليا والمبادئ العظيمة... الخ من الخصال الفريدة، إلا إن متطلبات البحث قادتنا إلى التقديم لجانب من نهجه "عليه السلام" في هذا البحث المتواضع.

١ أهمية الكتاب

إن الخوض في هذا المجال ليس بالأمر اليسير، لذا أردنا أن نقدم جانبا منه ولاسيما "شرح نهج البلاغة" بما يحويه من معلومات علمية تغني أي باحث في العلم ولاسيما إنها جاءت على لسان أمير المؤمنين علي "عليه السلام"[٢]، هدفها إصلاح أمر العالم والأمة الإسلامية بشكل وصفي

---

[٢] أبي إسحاق الثقفي: إبراهيم بن محمد بن سعيد(ت٢٨٣هـ)، الغارات أو الاستنفارات والغارات، تحقيق عبد الزهراء الحسيني الخطيب، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٧م)، ١٦٠/١؛ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين(ت٣٨١هـ)، الخصال، (بيروت،٢٠٠١م)، ١٤١/١.؛ ابن النديم: أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت٣٨٣هـ)، الفهرست، (بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٤م)، ص ٤٥-٨٥؛ ابن الانباري: أبو البركات كمال الدين(ت٥٧٧هـ)، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، المدني)، ص١٢؛ ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)؛ سبتي: يوسف علي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، (دار الهادي، ٢٠٠٦م)، ص٨؛ عبد الرضا: الدكتور صادق، نهج البلاغة والطب الحديث، ط١ (دار المؤرخ العربي)،

من أجل خدمة البشرية[٣]، ويشكل هذا الكتاب بما يحويه من معلومات تمدنا بالأسلوب والروح والحياة والفكر[٤]، التي يخرج منها عن الشائع واعتماد القياس في اللغة[٥]، وانّه يُعدُّ مصدرا من مصادر الاستشهاد على وفق القواعد التي تم تأسيس القياس عليها وفقا لكلامه[٦]، وانه في محتواه كان يمثل مجموعة من الخطب والحكم والأقوال والمواعظ التي قالها الإمام علي "عليه السلام" في مناسبات عدة ومتنوعة للأغراض بدءا من الجهاد وعظمة

ص٣٣ الشهرستاني: السيد هبة الدين، ماهو نهج البلاغة، علق عليه السيد عبد الستار الحسيني، (بيروت)، ص١١٢. ؛ كراتشكوفسكي: اغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، ط١(تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م)، ص٦٠؛ الحلواني: محمد خير، أصول النحو العربي، ط١(١٩٧٩م)، ص٧٦؛ الجياشي: ظافر عبيس عناد، جهود حبيب الله الخوئي النحوية في شرح نهج البلاغة، (الروضة الحيدرية المقدسة، ٢٠١١م)، ص١٧؛ مغنية: محمد جواد، موسوعة الإمام علي"عليه السلام" حياته وفضائله، ط١(بيروت، دار الجواد، ١٩٩٤م)، ٤٠١/٢؛ مبارك: زكي، عبقرية الشريف الرضي، (بيروت، دار الجيل ، ١٩٨٨م)، ٢٢٢/١؛ موسوعة شرح نهج البلاغة، طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم، الخطبة١٢٨، ٦٦/١؛ الخطيب: السيد عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط٣(بيروت، دار الأضواء)، ١٦١/١.

[٣] سبتي: يوسف علي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، (دار الهادي، ٢٠٠٦م)، ص٨.

[٤] عبد الرضا: الدكتور صادق، نهج البلاغة والطب الحديث، ط١ (دار المؤرخ العربي)، ص٣٣.

[٥] الحلواني: محمد خير، أصول النحو العربي، ط١(١٩٧٩م)، ص٧٦.

[٦] الجياشي: ظافر عبيس عناد، جهود حبيب الله الخوئي النحوية في شرح نهج البلاغة، (الروضة الحيدرية المقدسة، ٢٠١١م)، ص١٧.

الإسلام والوصايا، ووصف الجنة والنار، والجوانب العلمية في العلوم كافة[٧]، التي أبرزت لنا أثار أمير المؤمنين في حدود العقل والذوق[٨].

لذا نجد انه وجد في قسم كبير من الرسائل والكتب التي كان يرسلها إلى عماله وخصومه وأصحابه في مناسبات عدة، إنها كانت مدونة كما يقول ابن إسحاق الثقفي ((... إن بعض الخطب التي كان يدونها ويكتبها بعض أصحابه، عندما كان يخطب بها على الناس، كما فعل الحارث الأعور الهمذاني في كتابته لبعض خطبه))[٩]، كما وردت بعض أخبار الملاحم والفتن منطلقا من مبدأ الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى مستندا في ذلك إلى قوله تعالى ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احد))[١٠] أي إن الغيب يخص علمه بالله سبحانه وتعالى ومن ارتضاهم من الأنبياء "صلوات الله عليهم وسلامه"، وقد نقل الإمام علي "عليه السلام" عن النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" في السنة النبوية المطهرة ونفى عندما قيل له "عليه السلام" كما نقل ابن أبي الحديد((لقد أعطيت علم الغيب فأجاب، ليس هو بعلم غيب وإنما تعلم من ذي علم))[١١].

---

[٧] مغنية: محمد جواد، موسوعة الإمام علي "عليه السلام" حياته وفضائله، ط١(بيروت، دار الجواد، ١٩٩٤م)، ٤٠١/٢.

[٨] مبارك: زكي، عبقرية الشريف الرضي، (بيروت، دار الجيل ، ١٩٨٨م)، ٢٢٢/١.

[٩] أبي إسحاق الثقفي: إبراهيم بن محمد بن سعيد(ت٢٨٣هـ)، الغارات أو الاستنفارات والغارات، تحقيق عبد الزهراء الحسيني الخطيب، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٧م)، ١٦٠/١.

[١٠] الجن: آية ٢٦.

[١١] موسوعة شرح نهج البلاغة، طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم، الخطبة١٢٨، ٦٦/١.

ووردت بعض المصطلحات التي وردت في كلام الإمام علي "عليه السلام" بمبادئها وإنها كانت مستفيضة في أحاديث الرسول "صلّى الله عليه وسلم" وفي كلامهما فصحاء العرب الأوائل(١٢).

كما قدّم نهج البلاغة بعض الدلالات الدقيقة في الوصف دراسة وتحليلا في وصف بعض الموصوفات منها: الخفاش، والطاووس، والنملة، والجرادة، والخيل التي وصفت في القرآن(١٣).

أما في المسائل الأخرى فقد استعمل التقسيمات العددية في شرح بعض المسائل مستندا في ذلك إلى حديث الرسول "صلّى الله عليه وسلم" ((معشر المسلمين إياكم والزنا فان فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما في الآخرة فانه يوجب سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار))(١٤)، وهذه جملة من المرويات التي نقلت عن الرسول "صلى الله عليه وسلم(١٥).

وكذلك وصف الزهد المبني على الأمل مستندا في ذلك إلى القرآن الكريم، بقوله تعالى((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

---

(١٢) الشهرستاني: السيد هبة الدين، ما هو نهج البلاغة، علق عليه السيد عبد الستار الحسيني، (بيروت)، ص١١٢.

(١٣) ابن أبي الحديد. م.ن، ٩٢/٢.

(١٤) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين(ت٣٨١هـ)، الخصال، (بيروت، ٢٠٠١م)، ١٤١/١.

(١٥) الخطيب: السيد عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط٣(بيروت، دار الأضواء)، ١٦١/١.

وان تصبهم حسنة يقولوا هذا من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذا من عندك قل كل من عند الله فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا))[١٦]، لذا ذكر الموت يعني الاستعداد للعيش بشجاعة من غير إرهاب سلطان ولا يحين في نزال ولا يكف عن القتال وكريما لايحرص على المال ولا عدلا لايظلم[١٧].

ووصف الحياة الاجتماعية موافقا لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مستفيدا في ذلك من المشكلات التي كان يواجهها في المجتمع الكوفي المتشابك وذلك لتكونه من قبائل متعددة تسودها الروح العصبية القبلية التي كان لها أثرها على حياتهم الاجتماعية وتصرفاتهم[١٨].

٢ -السياقات العلمية في كتاب نهج البلاغة

-في العلوم الإنسانية

تمثلت تلك السياقات في الاعتماد على البناء الفني الذي وجد عليه الكتاب من خلال النصوص التي تم معالجتها ضمن المادة المطلوبة للدراسة والتحليل، لذا كان للعلم أهمية كبيره في بناء الجزء الأكبر من هذا الكتاب مستفيدا في ذلك "عليه السلام" من علمه الذي أخذه من الرسول "صلّى الله عليه وسلم" من خلال ملازمته له كما نقل القزويني عن ابن عباس قائلا ((علم علي علما علمه رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، ورسول الله "صلى

---

(١٦) النساء: آية ٧٨.

(١٧) الخطيب: م.ن، ١/ ١٧٨.

(١٨) كيلاني: محمد سيِّد، أثر التشيع في الأدب العربي، ط٢(دار العرب، ١٩٩٥م)، ص٦٣؛ الخطيب: م.ن، ١٧٨/١.

الله عليـه وسـلم" مـن علـم الله، وعلـم علـي "عليـه السـلام" مـن علـم النبـي "صلى الله عليه وسلم" وعلمي من علم علي "عليه السلام"، وما علمي وعلم أصحاب محمد "صلى الله عليه وسلم" في علم علي "عليه السلام" الا كقطرة في سبعة أبحر))[١٩]، والإمام علي "عليه السلام الذي في الأهمية الكبرى في ذلك إذ كـان تلميذ الإسـلام الأول وانـه كـان يـدعو إلـى العلـم والـتعلم ومـن العلوم التي تم بناء نسيجه في كتاب شرح نهج البلاغة للإمام علي يقف على رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي وقد تصدى "عليه السلام " للتدوين في العصر الأول وأول شـيء دونـه كتـاب الله عز وجل بعد أن اخذ علـى نفسـه عهدا أن يجمع القرآن فجمعه مرتبا بحسب النزول مشيرا إلى جملة من خواصـه العامـة، والخاصـة، والمطلقـة، والمقيـدة، والمحكمـة، والمتشـابهة، والناسخة، والمنسوخة.... موضحا ما أشكل من بعض الجهات[٢٠]، ولاسيما إن هذا كـان مرتبطـا بالتفسير الـذي يحتـاج إلـى جملـة مـن المعـارف ومنهـا أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[٢١]، والقول فيـه بـالرأي لايجـوز إلا بـالأثر الصحيح عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"[٢٢] "عليه السلام"((وينتهي

---

[١٩] القزويني: محمد كاظم الخطيب، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ط٢(بيروت، مؤسسة النور، ١٩٩٣م)، ص١١٩.

[٢٠] الخوانساري: محمد باقر بن زين الدين الأصفهاني(ت١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، (بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٧م)، ٢١/٥.

[٢١] الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق الدكتور زكي محمد أبو سريع، ط١(الرياض، دار الحضارة، ٢٠٠٦م)، ٤١/١.

[٢٢] الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق احمد حبيب العاملي، (الجامعة الإسلامية)، ٧٢/١.

الأمر إلى علي "عليه السلام"... كذلك الحال مع الشافعي فأنة يرجع إلى الأمير))[٢٣]، والفقه الذي وضع أسسه وجعل له المناهج كما أشار ابن أبي الحديد بسنده إلى الإمام علي، وكذلك اوجد له طريقا في توضيح بعض السبل الخاصة باللغة ومنها: النحو والبلاغة ولاسيما في البناء اللغوي للكلام الذي يقوم على ثلاثة أسس هي: الاسم والفعل والحرف، أي تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الأعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم[٢٤]، إذ كان الصحابة "رضوان الله عليهم " يرجعون إلى الإمام علي "عليه السلام" في استيضاح كثير من المائل كما يقول ابن أبي الحديد ((لولا علي "عليه السلام" لهلك عمر "رضي الله عنه" ... لأبقيت المعضلة ليس لها أبو الحسن))[٢٥]، ولاسيما انه تلميذ النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" وهو القائل كما نقل ابن أبي الحديد((وتعلموا القرآن فإنه أحسنُ الحديث، وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب))[٢٦]، وان القرآن الكريم هو الهادي للبشر أي انه كان يريد للبشر أن تستفيدَ من تجربته "عليه السلام " في اعتماده القرآن الكريم وهو خريج مدرسة القرآن الكريم كما يقول ((إن الله انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، اصدقوا عن سمت الشر تقصدوا))[٢٧]، واو ضح ابن أبي الحديد دور الإمام علي "عليه السلام" في

---

(٢٣) ابن أبي الحديد: م,ن ١٩/١.

(٢٤) السيوطي: م.ن، ص ٣٨١.

(٢٥) ابن أبي الحديد: م.ن، ٥١/١.

(٢٦) م.ن، ١٠٦/٧.

(٢٧) م.ن، ١٣٦/٩.

علم الكلام قائلا ((وعنه نقل، واليه انتهى ومنه ابتدأ... واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ علي"عليه السلام"...))[٢٨]، وأما الاشاعرة الذين ينتمون إلى أبي الحسن الأشعري ومعلمهم هو الإمام علي "عليه السلام"[٩٤] أما الأمامية والزيدية فانتمائهم إليه أساس[٢٩].

ذكرنا إن شرح نهج البلاغة ضم في جملة منه الجوانب الاجتماعية بكل أشكالها التي كان عمادها الإنسان بما فيه من صفات وأبرزها الأخلاق التي أساسها الحكمة في رأي نقله ابن أبي الحديد قائلا ((لقد علق بنيان هذا الإنسان بضيفته أعجب مافيه وهو القلب...))[٣٠]، مستندا في ذلك إلى القرآن الكريم أولا والسنة النبوية المطهرة ثانيا أي فيما معناها التخلق بالأخلاق الحميدة التي تقوم على أساس حب الناس كما نقل ابن ابي الحديد عنه ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم، ولاتكن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فأنهم صنفان أما أخ لك في الدين، وأما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعلل لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه))[٣١]، وهذا يقع في أصل الزهد الذي يقوم مقام الأمل كما يقول ابن ابي الحديد نقلا عن الإمام علي "عليه السلام"

---

[٢٨] م.ن، ١٥/١.

[٢٩] م.ن، ١٨/١.

[٣٠] م.ن، ١١٣.

[٣١] الحديد: آية، ٢٣.

((...الزهد قصد الأمل، والشكر عن النعم... ولا تنسوا عند النعم شكر لكم، فقد اعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة القدر واضحة))، مستندا في ذلك إلى قوله تعالى ((لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لايحب كل مختال فخور))[٣٢]، ونقل لنا عن الإمام علي "عليه السلام" وصفا للزهاد ((كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا كمن ليس منها))[٣٣]، وكان أساس عملهم أخفاء زهدهم كما وصفه "عليه السلام" ((أفضل الزهد إخفاء الزهد))[٣٤]، أي ان أهم طرقه الأعراض عن الدنيا[٣٥]، ألا انه يعزز لهم حب الدنيا دافعا لهم مع وضع حدود لهذا الحب كما ينقل عنه ابن أبي الحديد قائلا((...المتورعون في مكاسبهم والتنزه في مذاهبهم أليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة))[٣٦]، أي أن البناء الفكري لهذه المسببات هي الأخلاق التي تقود الإنسان إلى الصفات التي يريدها منه الإسلام كما ينقل ابن أبي الحديد عن الإمام "عليه السلام" ((لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولاعقل كالتدبير، ولا كرم كالعقول، ولا قرين كحسن الخلق...))[٣٧]، مستندا في ذلك إلى قوله

---

[٣٢] م.ن، ١٣/٤.

[٣٣] م.ن، ١٨/٥٦.

[٣٤] الخرسان: محمد صادق السيد محمد رضا، أخلاق الإمام علي "عليه السلام"، ط١٧ (بيروت، دار المرتضى، ٢٠١٠م)، ص٩٤.

[٣٥] ابن أبي الحديد: م.ن، ٨/١١٧.

[٣٦] م.ن، ١٨/١٠٦.

[٣٧] البقرة: آية، ٤٤.

تعالى((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون))[٣٨].

أما في التاريخ فنجده يخرج من الإطار الديني الذي كان عليه إلى رجل دولة الحاكم حاملا رسالة عظيمة مستندا في ذلك إلى القرآن الكريم ،كما ينقل عن ابن أبي الحديد قائلا((.. فكرت في إخبارهم، وسرت في آثارهم،حتى عدت كأحدهم...))[٣٩] ،مستندا في ذلك إلى تجربته التي وظفها لهذا الغرض ولاسيما انه عاش في بلاد متعددة منها الجزيرة والعراق واليمن والشام، التي أعطت له خصوصية لهذا الغرض ولاسيما الكوفة التي كانت قربها حضارة قديمة وعريقة وجدت فيها مدونات بالعربية وغيرها التي استفاد منها في القراءة [٤٠]، ويمثل هذا جزءا من اهتمامه الخاص بالعلوم والحث على التعليم كما ينقل ابن أبي الحديد عنه((... وعلم الجاهل،وذاكر العالم...))[٤١]، كما انه قدم وجهات نظر خاصة بعلم الجغرافية وأثرها على السلوك والأنماط البشرية، كما يقول "عليه السلام" ونقله ابن أبي الحديد ((أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولهم...))[٤٢]، موضحا اثر هذه الحالة على البشر قائلا ((... منهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر

---

[٣٨] ابن أبي الحديد: م.ن، ٣٣/١٦.

[٣٩] شمس الدين: محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي "عليه السلام"/ دراسة في نهج البلاغة، ط٤(بيروت، المؤسسة الدولية للطباعة، ١٩٩٧م)، ص٣١، ٣٧.

[٤٠] شمس الدين: محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي "عليه السلام"/ دراسة في نهج البلاغة، ط٤(بيروت، المؤسسة الدولية للطباعة، ١٩٩٧م)، ص٣١، ٣٧.

[٤١] ابن أبي الحديد: م.ن، ١٣/١٨.

[٤٢] م.ن، ١٣١/١.

اختلافها يتفاوتون...))[٤٣] ، أي إن الأرض يحكمها أخلاق البشر كما يقول ((...إن الباري جل جلاله لما خلق النفوس خلقها مختلفة في ماهيتها فمنها الزكية ومنها الخبيثة، ومنها العفيفة ومنها الفاجرة إلى غير ذلك من أخلاق النفوس المختلفة المتضادة...))[٤٤]، ونقل من خلاله وصفا للرسول "صلى الله عليه وسلم" عن الإمام علي"عليه السلام " قائلا ((طبب دوار بطبه، قد احكم مراهمه، واحمي مياسمه يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وآذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة))[٤٥]، أي ينصح البشر بالموازنة في الأفعال والأقوال يعرف من خلالها الإنسان قدره وعافيته عكس ذلك كما ينقل عنه "عليه السلام" ابن أبي الحديد قائلا ((هلك امرؤ لم يعرف قدر نفسه))[٤٦]، أما الفلسفة عند الإمام "عليه السلام" فهي توضيح للأفكار وعرضها على العقل الذي يضع لها أصولها كي يميز سليمها من سقيمها مع بيان الصحيح منها بالحجة والدليل، الذي يقود إلى الإيمان من خلال أرشاد العقل[٤٧]، أما علم الاقتصاد الذي وضحت معالمه في عهد مالك ابن الاشتر كما يقول ابن أبي الحديد ((...وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لايدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد

---

[٤٣] م.ن، ١٣/٨.

[٤٤] م.ن، ١٣/٩.

[٤٥] م.ن، ٧/٨٧.

[٤٦] م.ن، ١/١٣٩.

[٤٧] مغنية: م.ن، ص٢٣.

واهلك العباد...))[٤٨]، وركز في هذا الموضوع على العاملين في هذا المجال كما يقول ((انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختيارا، وتولاهم محاباة وأثرة... وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة...))[٤٩].

-في العلوم العلمية

وفيما يخص هذه العلوم التي يقصد بها العلمية التي كانت له فيها وجهات نظر خاصة مندفعا في هذا من إلمامه الواسع واستيعابه لها بشكل كبير مستندا في تفصيلها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مضافا اليها تجاربه الحياتية التي اختمرت عنده وأظهرها على شكل أقوال وأفعال فركز على الطب في حقيقته ومنها خلق الإنسان بالصفات التي أراد له خالقه أن يكون عليها في كل أبعادها كما يقول "عليه السلام"((...فهو عن صفات أعجز، ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد))[٥٠]، وان عظمة الإنسان بعظمة خالقه، كما يقول((من عرف نفسه عرف ربه))[٥١]، موضحا قدرة الخالق للإنسان في نظره وكلامه وسمعه وتنفسه وغير ذلك مما جعله عجبا كما يقول((أعجبوا لهذا الإنسان، ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم))[٥٢]، قدر تعلق الأمر في الدواء الذي يعالج به الإنسان كونه من العلوم القائمة بذاتها وانها كرست للإنسان، كما يقول في ذلك بصيغته

---

[٤٨] ابن أبي الحديد: م. ن، ٣٤/١٧.

[٤٩] م.ن، ٣٢/١٧.

[٥٠] م.ن، ١٢٢/٩.

[٥١] م.ن.

[٥٢] ١٣١/٢٠.

الصحية للإنسان كما يقول((اقسي بدائك ماقسى بك))[٥٣]، ويجب عليه إتباع الحكمة والنصيحة والثاني في استعمال الدواء ربما يكون تأثيره العكس على الإنسان وهذا أمر يدلل على الصبر كما ينقل ابن أبي الحديد عن الإمام علي "عليه السلام" ((ربما كان الدواء داء، والداء دواء))[٥٤]، وارتباط الأمر بشرب الدواء الذي يغسل جسم الإنسان من المرض كما يقول: ((شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب، ينقيه ولكن يخلقه))[٥٥]، ثم انتقل إلى علم الحيوان، الذي قدّم من خلاله وصفا دقيقا لكل حيوان تكلم عنه سواء كان وصف داخلي او خارجي دلا على بديع خلقه كما يقول في خصوص ذلك ((ابتدعه خلقا عجيبا من حيوان... وساكن وذي حركات، وأقام من شواهد النبات على لطيف صنعته وعظيم قدرته...))[٥٦]، ووضح لنا من عظيم قدرته في خلق الطيور سواء في أشكالها وأنواعها وسبل عيشها كما يقول((... من مختلف صور الأطيار التي أسنها أخاديد الأرض، وفروق فجاجها ورواسي أعلامها من ذات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة...))[٥٧]، أما النملة التي تدعو إلى التفكير في خلقها وعظيم قدرته على خلقها، كما يقول((...انظروا إلى النملة في صغر حيثتها، ولطافة هيئتها، لاتكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وحسبت على رزقها، تنقل الحية إلى حجرها،

---

(٥٣) م.ن، ١٨/٤١.

(٥٤) م.ن، ١٨/٥٦.

(٥٥) م.ن، ١٦/٤٧.

(٥٦) م.ن، ٢٠/١٣٧.

(٥٧) م.ن، ٩/١٢٧.

وتعدها في مستقرها، تجمع في حرها لبردها...))[٥٨]، أما الجرادة التي قدم لنا وصفا في حسها القوي رغم صغرها بالحجم كما يقول((... وجعل لها الحس القوي... وخلقها لايكون أصبعا مستدقة))[٥٩]. أما النبات والإعجاز فيه سر من سرائر الكون فقد كان له وقفة في الأسس التي قام عليه هذا العلم الزاخر بالعجائب التي تكمن في تلك الأسرار التي تقع في قالب التقويم كما يقول عنه((علم السر..))[٦٠]، وكذلك وقفته على ألأرض في إنشائها وإمساكها كما ينقل لنا عن الإمام علي "عليه السلام ((وانشأ الأرض فامسكها من غير إقفال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم, وحصنها من الأود والاعوجاج...))[٦١] وفي الفلك وأحواله فقد أشار إلى أحوال الرياح في العصف، كما يقول ((ثم أنشا سبحانه ربما اعتقم مهبها، وأدام مركبها، وأعصم مجراها، وأبعد منشأها... وعصفت به عصفها بالفضاء...))[٦٢]، وارتبط ذلك بخلق السموات السبع مستندا في ذلك إلى قوله تعالى ((الله الذي رفع السموات السبع بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى اجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون))[٦٣]، والماء الذي جعل منه البحر الزاخر كما يقول "عليه السلام"((... وكان من اقتدار جبروته، ببديع لطائف صنعته،

---

[٥٨] م.ن، ١٣/٢٦.
[٥٩] م.ن، ١٣/٣١.
[٦٠] م.ن، ٧/١١.
[٦١] م.ن، ١٠/٥٤.
[٦٢] م.ن، ١/٤٤.
[٦٣] الرعد: اية٢.

أن جعل من ماء البخر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا...))[٦٤]، مستندا في ذلك إلى قوله تعالى((وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا))[٦٥]، لذا نجد إن الدافع الأساس الذي قام عليه منهجه في تحديد تلك السمات المنهجية التي استند عليها في حدود تلك السياقات في أصولها المبنية على تلك الأسس العلمية التي وردت فيها وإنها لم تخرج عن أهدافها المنشودة، كما يقول "عليه السلام" ((واعلم إن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدود المضروبة دون الغيوب))[٦٦]، أي على سبيل النصح والتوجيه والإرشاد متعلقا بذكر الموت كما يقول "عليه السلام" ((وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت))[٦٧].

الخاتمـة:

ومما تقدم نخلص إلى الدور الفعال الذي كان عليه أمير المؤمنين "عليه السلام" في بناء التراث العلمي العربي الإسلامي الذي سار على نهجه من تبعه من الأمم في البناء الفكري والعقائدي، وانه "عليه بالإسلام" اعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية المعطرة في هذا البناء فأنتج هذا التلاقح الثمرة العلمية التي صاغها في هذا الكتاب الذي عولت عليه الأمم كجزء لايتجزأ من تراثنا العريق في إيجاد المفاهيم العلمية التي وقفت في وجه

---

[٦٤] ابن أبي الحديد: م.ن، ٢٣/١١.

[٦٥] هود: آية ٧.

[٦٦] ابن أبي الحديد: م.ن، ٤٠٣/٦.

[٦٧] م.ن، ٤١/١٨.

السلبيات التي تغزونا بين الحين والآخر، لذا نجدهُ قد عمل على تحديد بعض السمات الأساسية لبعض العلوم بأسلوب منهجي قائم على أساس التحليل المنهجي لتلك الظواهر، وانه عمل على توحيد الأهداف التي تقوم على أساس البناء العلمي لتلك المعلومات في ضوء الظاهر التي وجدت عليها وعززها بما يخدمها مع ما هو متوافر لديه، وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في تعزيز تلك المعلومات من أجل إيضاحها وإيصالها إلى الهدف المنشود وهو صلاح حال الأمة.

المصادر:

القرآن الكريم

ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم(ت٦٣٠هـ)

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق مؤسسة آل البيت "عليهم لسلام" لإحياء التراث، ط١(١٤١٧هـ).

ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(ت١٥١هـ)،

٢ -السيرة النبوية، تحقيق احمد فريد المزيدي، ط١(بيروت، دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٤م).

ابن الانباري: أبو البركات كمال الدين(ت٥٧٧هـ)

٣ -نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، المدني).

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)

٤ -صفة الصفوة، تحقيق محمد فاقوري والدكتور محمد رواس قلعجي، ط٢(بيروت، دار المعرفة،١٧٧٩م).
٥ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

ابن حجر: احمد بن علي أبو الفضل العسقلاني(ت٨٥٢هـ).

٦ -الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١(بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ).

ابن سعد: احمد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ).

٧ - الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر،(القاهرة، الخانجي، ٢٠٠١م). ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي(ت٥٧١هـ)،

٨ -تاريخ مدينة دمشق، ط١(بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م).

ابن كثير: إسماعيل بن عمرو(ت٧٧٤هـ)،

٩ -البداية والنهاية، إشراف الشيخ عبد القادر ارناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير٢٠١٠م).

ابن هشام: محمد بن عبد الملك بن أيوب الحميري البصري(ت٢١٨هـ).

١٠ -السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام، ط٣(القاهرة، مصطفى البابي الحلبي،١٩٥٥م).

ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق(ت٣٨٣هـ)

١١ -الفهرست، (بيروت، مكتبة خياط،١٩٦٤م)،
ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ)
١٢ - شرح نهج البلاغة، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية،١٩٥٩م).
أبي إسحاق الثقفي: إبراهيم بن محمد بن سعيد(ت٢٨٣هـ).
١٣ -الغارات أو الاستنفارات والغارات، تحقيق عبد الزهراء الحسيني الخطيب، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٧م).
ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت٤٦٣هـ).
١٤ -الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد البجاوي، ط١(بيروت، دار الجيل،١٩٩٢م).
الجياشي: ظافر عبيس عناد.
١٥ -جهود حبيب الله الخوئي النحوية في شرح نهج البلاغة، (الروضة الحيدرية المقدسة،٢٠١١م).
الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد(ت٤٥٠هـ).
١٦ -المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢(بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٢م).
الحلواني: الدكتور محمد خير
١٧ -أصول النحو العربي، ط١(١٩٧٩م).
الخرسان: محمد صادق السيد محمد رضا.
١٨ -أخلاق الإمام علي "عليه السلام"، ط١٧،٠بيروت، دار المرتضى،٢٠١٠م).
الخطيب: السيد عبد الزهراء الحسيني.

١٩ -مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط٣(بيروت، دار الأضواء).
الخوانساري: محمد باقر بن زين الدين الأصفهاني(ت١٣١٣هـ).
٢٠ -روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ،(بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٧م).
الدوري:عبد العزيز.
٢١ -مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط٢(بيروت، الكاثوليكية،١٩٦١م).
الدينوري: ابو حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢هـ).
٢٢ -الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١(القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،١٩٦٠م).
الذهبي: محمد بن عثمان بن قايماز(ت٧٤٨هـ)
٢٣ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط١(دار الغرب الإسلامي،١٤٢٤هـ).
٢٤ - تذكرة الحفاظ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
٢٥ -سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد،(القاهرة، المكتبة الوقفية).
الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ).
٢٦ -البرهان في علوم القرآن، تحقيق الدكتور زكي محمد أبو سريع، ط١(الرياض، دار الحضارة، ٢٠٠٦م).
الزركلي: خير الدين.
٢٧ -الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين).
سبتي: يوسف علي

٢٨ –نهج البلاغة في دائرة التشكيك، (دار الهادي،٢٠٠٦م).
سبط بن الجوزي: أبو الفرج (ت٦٥٤هـ).
٢٩ – تذكرة الخواص، ط١(بيروت، دار العلوم).
سركيس: يوسف آليان،
٣٠ –معجم المطبوعات العربية والمعربة،(القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية).
السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ).
٣١ –تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط١(القاهرة، السعادة،١٩٥٢م).
٣٢ –الإتقان في علوم القرآن، (بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٧٣م).
شمس الدين: محمد مهدي.
٣٣ –حركة التاريخ عند الإمام علي"عليه السلام"/ دراسة في نهج البلاغة، ط٤(بيروت، المؤسسة الدولية للطباعة، ١٩٩٧م).
الشهرستاني: السيد هبة الدين.
٣٤ –ما هو نهج البلاغة، علق عليه السيد عبد الستار الحسيني، (بيروت). الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف(ت٤٧٦هـ).
٣٥ –طبقات الفقهاء، تحقيق الدكتور إحسان عباس،(بيروت،١٩٧٠م)
الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين(ت٣٨١هـ).
٣٦ –الخصال، (بيروت،٢٠٠١م).
صفي الدين: أحمد بن عبد الله بن أبي الخير الخزرجي(ت٩٢٣هـ).

٣٧ -خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٦هـ).
الطبراني: سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير (ت٣٦٠هـ).
٣٨ -المعجم الكبير، تحقيق حميد بن عبد المجيد السلفي، ط٢(القاهرة، مكتبة ابن تيمية).
الطبرسي: ابو الفضل علي بن الحسين(ت٥٤٨هـ).
٣٩ -أعلام الورى بإعلام الهدى، تحقيق مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، ط٢(١٤١٧هـ).
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ).
٤٠ -تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غوية، (ليدن، بريل ،١٩٠٣م).
الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن.
٤١ -التبيان في تفسير القرآن، تحقيق احمد حبيب العاملي، (الجامعة الإسلامية).
عبد الرضا: الدكتور صادق.
٤٢ -نهج البلاغة والطب الحديث، ط١(دار المؤرخ العربي).
الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي(ت٢٧٢هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك عبد الله، ط٢(بيروت، دار خضر،١٤١٤هـ).
القزويني: محمد كاظم الخطيب،
٤٣ -الإمام علي من المهد إلى اللحد، ط٢(بيروت، مؤسسة النور، ١٩٩٣م). كراتشكوفسكي: اغناطيوس.

٤٤ -تاريخ الأدب الجغرافي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، ط١(تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م).

كيلاني: محمد سيد

٤٥ -اثر التشيع في الأدب العربي، ط٢(دار العرب، ١٩٩٥م).

لامبير: هنري.

٤٦ -فاطمة "رضي الله عنها" وبنات محمد "صلى الله عليه وسلام"، (لندن،١٩١١م).

مبارك: زكي.

٤٧ -عبقرية الشريف الرضي، (بيروت، دار الجيل،١٩٨٨م).

٤٨ -مزار شريف وحكاية مزار الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام"، جريدة ١٤ أكتوبر اليمنية، ١٩/يناير/٢٠٠٨م.

مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ).

٤٩ - صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، (دار طيبة، ٢٠٠٦م). مغنية: محمد جواد.

٥٠ -موسوعة الإمام علي"عليه السلام" حياته وفضائله، ط١(بيروت، دار الجواد، ١٩٩٤م).

موير: وليم.

٥١ -كتاب حياة محمد، (لندن،١٨٧٧).

اليعقوبي: احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ)

٥٢ -تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير المهنا، (بيروت، مؤسسة الاعلمي).

أثر المعنى العرفانــي
فــي التفكير النحوي عند سيبويه

الأستاذ الدكتور سامي الماضي
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

الملخص:

فإن جل الدراسات العربية تسعى الى بيان معنى التراكيب النحوية التي تكون وسيلة في عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي عبر تلك العملية الخطابية المتمثلة بالرسالة النصية بين طرفي الخطاب، ومن أجل ذلك تنافست مناهج الدارسين على الكشف عن مضمونها عبر وسائل ومناهج شتى، ومنها المنهج العرفاني الذي يسعى إلى دراسة اللغة عبر مجموعة من العلاقات الادراكية فضلا عن كونه مصطلحا لسانيا ارتبط ظهوره بمجموعة من اللسانيين الذين اهتموا بما يعرف بالعلاقة التلازمية بين اللغة والذهن، والتركيز أيضا بين تللك العلاقة وما يحيط بها من الأشياء الخارجية.

إنَّ البحث في المعنى وظلاله كان واضحا في الدراسات العربية منذ بواكير التأليف النحوي، وهذا ما تجلّى عند سيبويه فهو رائد التفكير النحوي في اللغة بعد استاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي وما تركه في كتابه خير دليل على ما أزعم، فقد عالج أغلب المستويات اللغوية من نحو، وصرف، وصوت، ودلالة، إن لم تكن كلها وكان ذلك عبر وسائل وآليات مختلفة، وأهمها المشافهة عن العرب الفصحاء إذ أفصح في مواطن كثيرة

عن ذلك ومنها:(سمعت ممن يوثق بعربيته، وحدثني الخليل، وسمعت إعرابيا، وزعم الاخفش، وغيرها) من المصطلحات التي تدلّ على أخذه اللغة عن أفواه الفصحاء. وهذه المصطلحات ما هي إلا دعائم اساسية في بناء المنجر المعرفي الذي أنجزته عقلية مثل عقلية سيبويه مما دعا الآخرين أن يصفوا من يقرأ كتابه بـ (هل ركبت البحر)، وفي ضوء ذلك بنى مدونته المعرفية، إذ أسس رؤية جديدة لطريقة التفكير النحوي بغض النظر عمّا قيل من مؤثرات خارجية سواء أكانت تتعلق بالمنطق الأرسطي أو الفلسفة، أو غير ذلك... والمتفحص لنتاجه يجده قد سار وفقا لعلاقة ادراكية تجمع بين اللغة وما يحيط بها فضلا عن الذائقة اللغوية في عملية التواصل اللغوي متخذا من علاقة اللغة بالفكر مرتكزا في استقامة المعنى ويمكن القول: إنَه استعمل معايير خطابية كانت تحدد المتكلم في مساراته العرفانية ولاسيما في ظلال المعنى العرفاني الذي هو من أسس دعائمه ـ كما أزعم ـ وهذا ما يميز منجزه المعرفي الذي لا ينضب عن البحث الى يومنا هذا.

ولعلّ البحث في مجال المعنى النحوي العرفاني هو نفسه الذي يكشف تلك العلاقات التركيبية بين نشاطنا الذهني واستعمالنا اللغوي، وأنَ هذا الامر هو من يحدد اتجاه المعنى وظلاله في فهم النص، وبالمحصلة هو من يحدد عملية التواصل اللغوي؛ لانَ المعنى النحوي العرفاني يعتمد على سعة الخيال عند المتكلم فضلا عن المتلقي، إذ يبين الكثير من التصور الذهني للخطاب، فهو جوهر المعنى العرفاني الذي يكون رابطا مشتركا في عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي، ولما كان المعنى والخيال يلتصقان بالادراك الذهني فلا بد من تصور لذلك التصور في زمان

ومكان، ومن أجله تكتمل تلك العملية التواصلية فيكون الزمان والمكان والطريقة هما المرجعيات المعرفية التي تحدد طبيعة فهمنا لذلك التركيب أو الشيء المدرك، ولذا فإنَ المعنى العرفاني يرى أنَ المقولة، والفهم، والخيال، والتجسد، هي دعائم اساسية لإدراك المعنى. ومن هنا فقد وجدت صلة كبيرة بين التصورات الادراكية الذهنية والتمثيلات الصورية في التفكير النحوي عند سيبويه متمثلة في مجموعة مسارات ــ كما أزعم ــ منها(عربي جيد، وتمثيل ولم يتكلم به، ومستعمل في كلامهم، وقبح في المعنى، والسعة في الكلام، وغيرها....) وهذه المسارات لها معايير أيضا منها الارادة، والنية، والقصد في المعنى، وسياق الحال وغيرها... وقد نهجت في البحث منهجا تحليليا يقوم على ثلاثة محاور ومقدمة تمهيدية فضلا عن الخاتمة ومظان المراجع والمصادر.....

المقدمة:

لعلّ من الواضح أنَّ مفهوم المعنى العرفاني يتكون من دلالتين، الأُولى: تدل على أن مفهوم المعنى وما يحمله من دلالات تتحدد بقرينة معنوية أو لفظية وقد تركب مع لفظة "العرفاني" نسبة الى العرفان الذي يعنى بالعلم ببواطن الامور، وهذا معنى قول ابن منظور:"عرف: العِرفان: العلم .... ورجلٌ عارف. بمعنى مثل عليم وعالم، ومنه قول الشاعر طريف ابن مالك العنبري :

أَوَ كُلّما وَرَدَتَ عُكاظَ قبيلةٌ   بَعَثُوا إليَّ عَرِيقَهُم يَتوَسَّمُ

أيْ عارِضـهم، ونُقل عـن سـيبويه إنَّـه فعيـل بمعنـى فاعـل... والجمـع عُرفاء...."[1]. والمعنـى يدور فـي فهـم الكـلام بطريقـة العـالم بـدقائق الأمُـور، ويمكن القول: إنَّه التحول من المعنى المطابقي الى المعنى المفهومي على اختلافه أيْ بعد الاعتقاد بظاهره، ومن ثم الولوج في إيحاءات فهم دقائق الامور عبر الوصول الى حقيقة ذلك المعنى[2]، ويتبعه توجيه النص وفقا لانسجام المعاني عبر عملية التواصل اللغوي مشفوعة بقرائن معنوية أو لفظية أو كلتيهما.

وهذا ما أشارت إليه أغلب الدراسات الحديثة التي تتبعت استقامة المعنى عند سيبويه"... وإنَّما لحق سيبويه الغلط؛ لأنَّه عمل كلام العرب على المعاني وخلى عن الألفاظ ولم يوجد في كلام العرب ولا أشعار الفحول إلا المعنى فيه مطبَّق للإعراب، والإعراب مطبقٌ للمعنى ..." [3] فكأنَّه فهم سيبويه للمعنى العرفاني أصبح مأخذا عليه ممن اشتغلوا بالصنعة، والحقيقة أكبر من ذلك؛ لأنه قد نظر الى انتظام عناصر التواصل اللغوي في الخطاب (المتكلم، والمخاطب، النص) وفقا لما تقتضيه مواصفات اللغة وتجيزه. فقد وجد حاجة كبيرة الى تدخل العقل في تنظيم العلاقات بينهما والحكم على صحة التراكيب أو غلطها[4] والمعنى العرفاني كما أعتقد هو تحديد معنى دقيق في توجيه الكلام دون المعاني المتعددة التي تشير لها

---

[1] (ابن منظور: ٢٠٠٩، ٩/ ٢٨٢ مادة عرف).

[2] (الدكتور علي جواد: ١٦٩،٢٠١٢).

[3] (الزبيدي: ١٩٧٣، ٢٠، وينظر: الجابري: ١٩٨٩، ١٢٨).

[4] (الدكتور لطيف حاتم : ٢٠٠٥، ١٨٠).

تلك الالفاظ المشتركة في تعدد المعنى إنَّما حَرِي به بالكشف عن المعنى المقصود في ذهن المتكلم وفقا لمعايير اجتماعية اخلاقية في عملية التواصل اللغوي وهو يدعو الى تدخل العقل دائما؛ لأنَّه ينظم العلاقات الخارجية في تلك العملية التواصلية باعتبار اللفظ طريقا للدلالة على المعنى المراد من التمثيلات الذهنية التي ينظمها العقل على وفق التمثيلات الصورية، فيصور استنتاجات في دلالة التراكيب منها اخلاقية عبر مقبولية استعمال العرب لذلك الكلام، واجتماعية سياقية تتجلّى في سعة الاستعمال فضلا عن لمحة تاريخية عبر تطور الالفاظ والتراكيب وفقا لمبدأ وجه الكلام من حيث القبح أو الحسن فكان المعنى العرفاني عبر دلالتين: معنى عام، ومعنى خاص ـ وهو صُلب تفسيره ـ، وهذا تجلّى عند سيبويه بوضوح عبر مسارات متعددة وقف عندها بحثنا المتواضع، لأنَّه كان يتعامل مع اللغة المكتوبة وكأنَّها كتابة صوتية فونيمية يقع في أقل سياق حديث يكون بين متكلم ومخاطب وبُعد ذلك مهما لسببين: أولهما أنّ الكلام يعامل على أنَّه نتيجة منطقية لذلك أنّ المخاطب له أثره الخاص في تحديد الشكل اللغوي الذي يستعمله المتكلم(٥). وهذا الامر يكون مصحوبا بأثر المصاحبات اللغوية التي تتسق مع فصيلة اللفظة الاساس حتى تصبح كالمثل السائر ـ وهذه العبارة قد رددها سيبويه كثيرا في استنباطه للمعنى العرفاني ـ وكلُّ هذا يدرك عبر المعنى العرفاني الذي يبحث في سبر فهم النص وما حوله من مؤثرات معنوية أو لفظية خارجية.

---

(٥) (ينظر جي كارتر: ١٩٩٢، ٣٠).

المسار الاول: (تمثيل ولا يتكلم به)

يُعدُّ سيبويه أول من أشار الى معرفية الربط بين الذهن والاستعمال، وما يحيط بهما من عوامل خارجية تتعلق بالمتكلم أو المتلقي، أو كليهما فضلا عن البيئة اللغوية التي يكون لها أثر في المواقف اللغوية، وقد لاحظ إن الادراك المعرفي (الفكر) لا بد أن يرسم تمثيلات صورية أولية للمسار اللغوي عبر تلك العملية التواصلية ومن ثم إدراك التمثيلات اللغوية بأحد الحواس، وفي ضوء ذلك يمكن أن يعد تواصلا لغويا أو من عدمه.

سيبويه في باب "ما يعملُ عمل الفعل ولم يجرِ مجرى الفعل ولم يتمكن تمكنه، وذلك قولك: ما أحسَنَ عبدَالله..." [٦]، وإنَّما سيق التمثيل هاهنا على معنى التعجب إذ ذلك شيءٌ أحسَنَ عبدَاللهِ كما زعم الخليل، وسيبويه يرى أنَّ هذا تمثيل ولم يتكلم به بمعنى أنّ كلمة (شيء) لا يتكلم بها، وإنَّما هي لبيان شيء من معنى التعجب؛ لأنَّك لا تستطيع نحويا من تقديم (عبدالله) أم تؤخره على معنى المتعجب فضلا عن عدم جواز قولك: فيه ما يُحسن؛ لأنَّ التصرف هاهنا غير ممكن؛ لأنَّ التصرف هاهنا غير ممكن؛ لأنَّ التعجب غالبا يكون لأمر مضى وفقا لرؤية ذلك الفعل وإدراكه بتمثيل، وإلا فلا تعجب لأمر غير محدث (حادث) بسبب التعارض بين الإدراك، وليس التمثيل، وهذا ما أشار إليه سيبويه بأنَّه تمثيل ولا يُتكلم به فانعكست على العمل دون التمكن، وهو معنى نحوي دقيق؛ لأنَّهم لم يريدوا أن يتصرف فجعلوا له مثالا واحدا يجري عليه. وهذا ما أشارت إليه اللسانيات العرفانية

[٦] (سيبويه: ٢٠٠٤، ١/٧٢)

من كون اللغة ملكة عرفانية تجمع بين البيئة اللغوية والادراك المعرفي للغة إذ لا مجال لمعالجة المعنى خارج التمثيل الصوري عبر إدراك ذهني[٧]، ويمكن القول: إنَّ سيبويه نظر الى التعريف الحضوري أي استدعاء التعجب فكان حضورا يبين المقام، فكان الذهن يدرك الحاضرة (التعجب) ويسجل عناصرها تسجيلا فوريا ويزامن المدرك الحسي والمدرك الذهني، وهكذا أصبح شيئا من التعجب وإلا اذا أفتقد المدرك الحسي فيكون تمثيلا ولا يتكلم به[٨] وعليه تكون التراكيب رمزا في الذهن مطابقا لما في الوجود. فالصورة التعجبية كامنة في الذهن حينئذٍ تكون كلاما تواصليا بين طرفي الخطاب وإلا فهي تمثيل ولا يتكلم به؛ لأنَّها لا تمثل تواصلا وإنَّما تمثيلا فقط.

ويأتي المعنى العرفاني عندما يقع على شيءٍ من سببه فكأنَّه قد وقع به. وهذا مفاد قول سيبويه: " والدليل على ذلك أنَّ الرجل يقول: أهنت زيدا بإهانتك أخاه وأكرمته بإكرامك أخاه..." [٩]. فإنّ الاهانة والاكرام هما سبب في إهانة زيد، ولكنه ليس بالمقصد المباشر وإنَّما عبر سبب آخر وهو أخاه، وكأنَّك تُؤسس لكلِّ مدرك من مدركات زيد ليحكم النشاط الذهني واللغوي على الانتماء لتلك المقولة[١٠]، فالإهانة لم توجه لزيد ولا الاكرام؛ وإنَّما إشارة حسية بسبب زيد فيكون فهم زيد لتلك الاشارة جليا؛ لأنَّه سببٌ فيها، وهذا الامر يصفه سيبويه بالكثرة، ويقول المتكلم: إنَّما أعطيتُ زيدا، وإنَّما يريد لمكان زيد

---

[٧] (لرجاني خديجة: ٢٠١٩، ١٢١)

[٨] (الدكتور توفيق قريره : ٢٠٠٧،١٦٢)

[٩] (سيبويه: ٢٠٠٤، ١/٨٣)

[١٠] (محمد الصالح البو عمراني: ٢٠٠٩، ٨).

أعطيتُ فلانـا، واذا نصبت زيدا لقيتُ أخاه، فكأنَّه قال: لابَسْتُ زيدا لقيتُ أخاه. وهذا تمثيل ولا يتكلم بـه ... وإنَّما مجرى هذا علـى مـا جرى عليـه قولك: أكرمتُ زيدا، وإنَّما وصلتَ الأُثرةُ الى غيره ـ الأُثرةُ تعني المكرمة ـ[١١]

فالنصب عربيٌّ كثير، والرفع أجود كما يقول، وهذا علـى تأويل المعنـى العرفاني للنص؛ لأنَّ الفعل مبني على الاسم بمعنى أنَّه سببٌ من الاسم وعليه فهو تمثيل ولا يتكلم به؛ لأنَّه فهم في كونه سببا وليس معنيا بالقصد فيكون إدراك المعنى عبر السبب أولا، ويمكن بيان أنَّ المقولة ـ مقولة سيبويه ـ هي تشابك في المعاني السببية الادراكية عبر تلك العلاقة الأزلية بين العقل واللغة عبر تلك المدركات الحسية ولئن وظيفة اللغة هي التبين لا الابهام واللبس فإنَّ لحصول هذه الغاية السببية يحدث في الكلام ازدواجا بين اللبس وأزالته فتعطل الفهم[١٢] لذلك رجح سيبويه الرفع؛ لأنَّه الاجود كما وصفه، فيكون الاسناد بالرفع أقوى منه في النصب على الرغم من كثرة ذلك في لسان العرب، وهذا جلُّ المعنى العرفاني عند الغربين أمثال لنقكار فهو يذهبُ الى كون اللغة تحتاج في طبيعة عباراتها الى الوضوح[١٣]. وهذا مفاد تحديد مواقع الكلم من حيث الاسناد فضلا عن الاعراب للمقولات وكلُّه عائد الى القصدية في اختيار العامل[١٤] وعبارة تمثيل ولا يتكلم به توحي الى وجود طرفي الخطاب وهما المتكلم والمخاطب فما يطرحه المتكلم لا بد له من قبول

---

[١١] (سيبويه: ٢٠٠٤، ١/٨٣)

[١٢] (الدكتور توفيق قريره: ٢٠٠٧، ٨٠)

[١٣] (نقلا عن السابق ٨١)

[١٤](الدكتور رجاء الحسناوي: ٢٠١٥، ١١٠)

في الاستعمال عند المخاطب وعليه يكون كلاهما معنيّا في تأويل المعنى العرفاني.

من مبادئ العرفانية أن تتحصل تلك الرموز والكلمات والتمثيلات الذهنية على معانيها وفقا لعلاقتها بالأشياء في العالم الخارجي[١٥] وغالبا ما تكون هذه العلاقة قائمة على المشاركة في ايصال تلك التمثيلات الذهنية للمخاطب، والحقيقة إنَّ هذا الامر كان واضحا في تمثيلات سيبويه عند حديثه عن المصادر النكرة المضافة في الدعاء" وإنَّما أُضيفتَ ليكونَ المضافُ فيها بمنزلة في (اللام) إذا قلت: سَقْيا لكَ، لتبيِّن من تعني"[١٦]. وأمثلته نحو ويلك وويحك... ولا يجوز سَقْيكَ؛ لأنَّها الاخيرة ليس فيها معنى الابانة وليس فيها معنى الدعاء؛ لأنَّ العربَ لم تدعُ به، وإنَّما وجب لزوم استعمال العرب إياها وكذلك: وهَبْتُكَ؛ لأنَّه لم يجرِ على لسان العرب في الدعاء، وإنَّما وهَبْتُ لك. وهذا حرف لم يتكلم به مفردا، وكأنَّ الامر ليس فيه من خصائص مشتركة في الاستعمال بين التمثيلات الذهنية وبين استعمال العرب في حالة الدعاء، وهذا معنى عرفاني ألتمسه سيبويه عبر محدد ذهني مسبقا وهو عدم استعمال العرب لهذه الصيغة في المصادر النكرات المضافة .... وهذا قريب من التداولية في الافتراض المسبق، فالتواصل اللغوي هاهنا توقف بين سلامة الاستعمال وعدمه ولمَّا كان المتكلم اختار لتمثيلاته الذهنية إنجازيه قولية فإنَّه قد اختار التواصل على طرقية التجاوز الدلالي فإنَّه يتوقف ذلك الانجاز على التطابق بين التمثيل والاستعمال ليكون

---

[١٥](محمد الصالح البوعمراني:٢٠٠٩، ١٦)

[١٦](سيبويه ٢٠٠٤، ٣١٨/١)

دالا فعليا على دلالة الاسلوب وعليه كان للمعنى العرفاني دخلا مباشرا في تحديد تلك التمثيلات[١٧] ويمكن القول: إنَّ عملية فهم الخطابات الصحيحة تستمد قوتها من قصد المتكلم كونها تمثل عتبةً لإتمام طريقة فهم تلك الخطابات التي ترتبط بالأساس بإدراك المقاصد المرتبطة بالسياقات[١٨] حينئذٍ الاستعمال كان فيصلا في قصد المتكلم عبر تلك السلسلة اللغوية المتمثلة ببيان المعاني العرفانية التي يرغب المتكلم في إيصالها الى المخاطب عبر عملية التواصل اللغوي وهذا ما حدّه سيبويه بـ حرف لا يتكلم به مفردا إذ حدد استعماله في الدعاء وفقا لمقاصد العرب في استعمالهم وبذلك يكون للمعنى العرفاني في فهم النص أثرا سيمو لساني معرفي.

واذا ما علمنا أنَّ النحو ما هو إلا مجموعة من العمليات الذهنية التصورية التي تعكس انطباعا للتمثيلات المقولية بين المتكلم والمخاطب لتكون أساسا لتلك التصورات الذهنية وعبرها يمكن فهم اللغة على أنَّها حاجة تواصلية بين طرفي الخطاب وهنا يميز سيبويه في باب المصادر ما ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره بين المصادر التي تتصرف وأختها التي لا تتصرف، وذلك قولك: سُبحانَ اللهِ ومعاذُ اللهِ ورَيْحانَه، وعَمْرَك الله إلا فعلتَ، كأنَّه حين قال: تسبيحا، وحين قال: وريحانه قال: واسترزاقا؛ لأنَّ المعنى الريحان: الرزق.[١٩] فهنا يقدر معنًى على المركب الاسنادي تُرك اظهاره وخُزل؛ لأنَّه بدل من اللفظ بقوله: أُسبحكَ واسترزقك فنصب هذا على

---

[١٧](الدكتور عبد السلام اسماعيلي علوي: ٢٠١٧، ١٨٧ـ ١٨٩)

[١٨](السابق : ٢٥٤)

[١٩](سيبويه: ٢٠٠٤، ٣٢٢/١)

أسبَّح الله تسبيحا؛ لأنَّ اللغة نظام يحددها السياق والتأويل الذي هو جلُّ المعنى العرفاني إذ اضمار الفعل ونصب المصدر في الدعاء وغيره أدى الى السعي في غور المعنى وعليه قس "قِعْدَك الله" وإن لم يكن له فِعلٌ وكأنَّه قوله: عَمْرَك الله وقِعْدَك الله بمنزلة نشدك الله، وإن لم يتكلم بنشدك الله ولكن زعم الخليل أنَّ هذا تمثيل يمثل به كما قال الشاعر ابن أحمد:

عمَّرتُك الله الجليل فإنني ألوِي عليكَ لو أنَّ لُبَّكَ يهتدي[٢٠].

فهنا تمثل تصور لمعنى المعنى الذي أختزل الفعل ـ أي عمله ـ الذي في الأصل هو الاسناد بين طرفي الجملة؛ لأنَّها قائمة على مبني ومبني عليه عند سيبويه ومن تبعه، وهذا البناء يقابله الاسناد بين المركب الفعلي والاسمي، إذ تُرك الفعل وأُظهر الاسم(المصدر) فكان الجمع بين التركيب ودلالته عبر تأويل الفعل المحذوف لدلالة الاستعمال وشيوعه إذ لم يشهد الاستعمال ظهور المصدر وفعله في تلك الملفوظات الذهنية (سبحان الله، قعدك الله) فكان التفسير يعتمد على ذهن المتكلم فضلا عن العمليات الذهنية العرفانية التي يقوم المتكلم بإنجازها لإنشاء جملة أو رسالة خطابية بين طرفي الخطاب مما دعا المخاطب أن يلجأ الى التأويل وفك لغز ذلك المعنى[٢١] فضلا عن الفضاء الذهني في نظام التأويل ومدى ملاءمة السياق لبيان المعنى العرفاني .

---

[٢٠](السابق: ٣٢٣/١)

[٢١] الدكتور عبد الجبار بن غريبه: ٢٠١٠، ٣٠

ويمكن القول: إنَّ المجالات الذهنية التي يستدعيها معنى أي عبارة ما، هي ضرورية لبيان تلك العلاقة بين المضمون الذهني التصوري وبين الطريقة التي يختارها المتكلم ويتخذها منهجا في ذلك المضمون وتمثيله[٢٢]، وهذا مفاد قول سيبويه في تفسيره لمعنى "لبيك وسعديك" وما اشتقا منهما فإذا كان الرجل مداوما على الشيء لا يفارقه ولا يقلعُ عنه: قد ألبَّ فلانٌ على كذا وكذا، ويقال: قد أسْعَدَ فلانٌ فلانا على أمره وساعده، فبيان المعنى العرفاني هو الالباب والمساعدة دنوٌّ ومتابعة إذا ألبَّ على الشيء فهو لا يفارقه، واذا أسْعَده فقد تابعه. ومعنى ذلك أنَّه إذا قال الرجلُ للرجلِ: يا فلانُ. فقال: لبيِّك وسعديك فقد قال له: قُربا منك ومتابعة لك. فهذا تمثيلٌ وإنْ كان لا يستعمل في الكلام كما كان براءة الله تمثيلا لسبحان ولم يستعمل[٢٣]. فالمعنى العرفاني أنَّك اختزلت هذا التمثيل وفقا للمركب الاسنادي لكلمة "لبيِّك وسعديك" ولأنَّهما غير متصرفين فجاء التفسير لبيان عامل النصب فيها. ويمكن عدُّ هذا الامر على اعتبار مقولة الربط المتحققة في الذهن وعندها يكون انتقال الخصائص الشكلية للأصل المادي الى التصور النحوي عبر المعنى العرفاني للتركيب الاسنادي[٢٤] فالتصور يعني لكلِّ معمولٍ عامل فالمصدر المنصوب بالفعل المتروك اظهاره كان وفقا لحركية المعنى الملازمة في "الالباب، والمساعدة" فكان تأويل المعنى العرفاني قائما على ملازمة ذلك المجال ملازمة وثيقة وأنَّه يمكن استحضارها في تصور التركيب

---

[٢٢](السابق:٤٢)

[٢٣](سيبويه: ٢٠٠٤، ٣٥٣/١)

[٢٤](الدكتور منجي العمري: ٢٠١٩،١٥١)

في الذهن دون التمثيل بالتصور المؤول فكان التميز بين التصورات الذهنية وفقا لملازمة العلاقة ومن ثمَّ اصبحت تصورا لتحديد ذلك المعنى دون غيره، لذا فحُذف الفعل مع هذه المصادر يتمثلُ في وجود ما بينهما ويُعيِّن ما تعلقت به من فاعل أو مفعول حينئذٍ تلمس دلالة المعنى العرفاني على النصب[٢٥] (مما جعل معيار التمثيل عند سيبويه الاستعمال ولمَّا تعذر الاستعمال لجأ الى التفسير والتمثيل وفقا للمعنى العرفاني.

ـ ومن المصادر ما ينتصب؛ لأنَّه حالٌ وقع فيه الامر، فقولك: قتلته صبرا ولقيتهُ فجاءةً ومفاجأةً وكفاحا ومكافحةً، فإنَّه وضع هنا موضع النصب؛ لأنَّه في موضع "فاعل" إذا كان حالا ألا ترى أنَّه لا يُحْسَن: أتانا سرعةً ولا أتانا رُجلةً فإذا كان المصدر ليس في موضع فاعل فلا يجوز النصب. ومثال الاول ـ ما ينصب ـ قول زُهير بن أبي سُلمى:

فَلْأً يا بلأي ما حَمَلْنا ولِيْدنا   على ظهرِ مَحْبُوْكٍ ظماءٍ مفاصلهُ

كأنَّه يقول: حَمَلنا وليدَنا لأياْ بلأي، كأنَّه يقول حملناهُ جهدا بعد جهدٍ هذا تمثيل لا يتكلم به ولكنه تمثيلٌ[٢٦]. فهذا تصور سيبويه للمصدر الذي فيه معنى الامر وهو حال، والحقيقة أنَّ ذلك كائنا عبر تمثل المعنى العرفاني؛ لعلاقة النصب بالمصدر من جهة ولكونه حالا وقع فيه الامر بمعنى أنَّ التصور الذهني فيه دلالة الامر لذا كان عامل نصبه على الحالية وقد ميِّز

---

[٢٥] (الدكتور عبد السلام السيد حامد: ٢٠١٦، ٨٨)

[٢٦](سيبويه:٢٠٠٤، ١/٣٧١)

بين تصور الامر وبين تصور الفاعلية؛ لأنَّ الاول يُنصب والثاني لا يجوز فيه إلا الرفع .

وهذا التميز بين مكونات المُركبات النحوية من حيث منزلة كلِّ واحدٍ منهما في العلاقة المؤسسة للتركيب في التمثيلات الذهنية وبيان أنَّ لكلِّ واحدٍ منها دورا يؤديه في معناها العرفاني وفقا لِلأطر المعينة مبدئيا في الذهن فكانت العلاقة بين المصدر وما وقع فيه الامر تماثل قد عبر عنها كلُّ تركيب بحسب تفسير المخاطب، وبناءً على ما يثبته المخاطب أو المتكلم(٢٧) فكان المعنى الظاهر تصور عن المصدر ولكن العلاقة بين نصب المصدر والتماثل لصيغة الامر هو جلُّ المعنى العرفاني الذي أشار إليه سيبويه مفسرا كلاهما ومفرقاَ العمل وفقا لذلك التصور الذهني لمعنى الامر.

وغالبا ما يكون المعنى العرفاني مفرقا بين اللهجات العربية على اختيار معنًى دون آخر فقد أورد سيبويه في باب جُعِلَ من الأسماء مصدرا في الباب الذي يليه بمعنى الباب الذي يسبقه مباشرة، وذلك قولك: مررتُ به وحده... فإنَّك تعني وحده دون غيره وكذلك مررتُ بهم وحدَهم. ومن مظاهر ذلك في لغة أهل الحجاز: تقول: مررتُ بهم ثلاثتَهُم وأربعتهم ... وإنَّ النصب هو الاولى؛ لأنَّكَ تريد ـ كما زعم ـ مررتُ بهؤلاء فقط لم أجاوزْ هؤلاء كما مرَّ في مررتُ به وحده فإنَّك تريد مررتُ به فقط لم أجاوزهُ. فيكون الفرق على المعنى العرفاني بين أهل الحجاز وأهل تميم الذين يجرونه على الاسم الاول: إنْ كان جرا فَجَرًا، وإنْ كان نصبا فنصبا، وإنْ كان رفعا فرفعا. وإنَّما

(٢٧)(الدكتور عبد الجبار بن غريبه: ٢٠١٠،٤٤)

الفرق في المعنى الاول يكون على التخصيص له دون غيره ـ وهو مذهب أهل الحجازـ والثاني ـ وهو مذهب بني تميم ـ يكون على التعميم كقولك: مررتُ بهم كلِّهم. أي لم أدع منهم أحدا. وزعم الخليل حيث مثَّل نصب "وحده"، و"خمستهم" أنَّه كقولك أفردتهم إفرادا، فهذا تمثيلٌ ولكنه لم يستعمل في الكلام ومثل "خمستهم" قول الشماخ:

أَتتني سُليم قَضَّها بقضيضِهَا تُمسِّحُ حولي بالبقيعِ سِبَالَهَا

كأنَّه قال: انقضاضهم أي انقضاضا. ومررت بهم قضَّبهم بقضيضهم كأنَّه يقول: مررتُ بهم انقضاضا فهذا تمثيلٌ وإنْ لم يتكلم به كما كان "إفرادا" تمثيلا وبعض العرب يجعلُ "قضَّهم" بمنزلة "كلُّهم" فيجريه على وجوه الاتباع من الرفع والنصب والجر[٢٨]. والحقيقة أنَّ سيبويه أعتمد على دوال ثوان أي معنى المعنى، وهذا معنى قول الجرجاني "إنْ تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر" [٢٩] فاختيار المفردات قائم والتركيب محكوم في اذهان المتكلمين لذلك فإنَّ مجالات العلاقات النحوية ومنها الاسناد والاضافة... يمكن لها أن تحكم مقاصد المتكلم مما يحدد نوع العامل الذي يؤدي معنى المعنى[٣٠] فالمقصد هو من حدد عامل النصب في " وحده، خمستهم" في قول سيبويه على لهجة أهل الحجاز فكان المتكلم يريد ذلك المعنى العرفاني فكان النصب؛ لأنَّه أراد التخصيص دون غيره، وأما بنو تميم

---

[٢٨] (سيبويه: تح البكاء بتصرف ٢٠١٥،١/٤٧٤ـ٤٧٥)

[٢٩] (الجرجاني: ١٩٩٢، ٢٦٣)

[٣٠] (محمد حماسة عبد اللطيف: ٢٠٠٠، ٩٥، وينظر: الدكتور عبد الرحمن أكيدر ٢٠١٨،١٢٦)

فكان مقصدهم الاعمام لذلك جاز اتباع ما قبله فأخذ حكمه من حيث الرفع أو النصب أو الجر، وأما زعم الخليل فإنَّه تمثيل ولم يتكلم به إذ جعل سيبويه معيار الاستعمال سبرا لتميز المعنى العرفاني.

وكذلك ما يميز مقاصد المتكلم أنَّه في نيته كذا فأوجب حكم على النية ومنه ما ذكره سيبويه في باب ما يجعل من الاسماء مصدر كالمصدر الذي فيه الالف واللام نحو "العِراك" فيكون منصوبا كقولك: مررتُ بهم الجَمَّاءَ الغفيرَ وزعم الخليل أنَّهم أدخلوا الالف واللام في هذا الحرف وتكلموا به على نية ما لا تدخله الالف واللام، وهذا جُعل كقولك: مررتُ بهم قاطبةً، ومررت بهم طُرّا "أي جميعا " إلا أنَّ هذا نكرة لا تدخله الالف واللام كما أنَّه ليس كلّ المصادر بمنزلة " العِراك" كأنَّه قال: مررتُ بهم جميعا فهذا تمثيلٌ وإنْ لم يتكلم به فصار: طُرا وقاطبة بمنزلة: "سبحان الله" في أنَّهما لا يتصرفان[٣١] فالحكم ناتج عن نية المتكلم أي مقصده في استعمال الالف واللام مع المصدر فلذلك أخذ حكمه من حيث النصب وهو معنى في نفسه أوجب حكما في الاستعمال فكان المعنى عرفانيا والشكل غير مستعمل في أسلوب العرب ـ أي دخول الالف واللام على (طُرا وقاطبة) ـ؛ لكونهما لا يتصرفان تصرف المصدر فتحولت تلك المصادر من بيئة لغوية غير مستعملة في الشكل الى بيئة لغوية مستعملة في ذهن المتكلم مما جعلها تتحول من مقام الى مقام اخر.

---

[٣١] (سيبويه : تح البكاء ٢٠١٥، ٤٧٦/١)

ومن المصادر ما تلزمه الاضافة وما بعدها مما يجوز فيه الابتداء ويكون حالا نحو قولك: رجع فلانٌ عَوْدَه على بَدْئه، وانثنى فلانُ عَوْدَه على بَدْئه كأنَّه قال انثنى عودا على بدءٍ، ولا يستعمل في الكلام رجع عودا على بدءٍ، ولكنه مثل به[٣٢] فالملازمة كانت شريطة في صحة المعنى العرفاني فإنْ تحرر عنها مثل به ولم يتكلم؛ لأنَّه لا يستعمل في كلام العرب الفصيح. والحقيقة هذه تعتمد على مقاصد المتكلم فمن يُحدد الملازمة هو المتكلم نفسه من حيث القرائن الدالة على ذلك فمن هنا وجدتْ حقيقة التأويل العرفاني ومعانيه متسقة في الكلام بقصد المتكلم أولا ومن ثم اختياراته فضلا عن معيار الاستعمال في عملية التواصل اللغوي.

المسار الثاني : الاستعمال بين التواصل اللغوي والمعنى العرفاني

إنَّ الاستعمال من حيث كونه معيارا في تحديد دلالة الالفاظ والتراكيب له مزية كبيرة في تحديد المعنى العرفاني في ذهن المتكلم والمخاطب مسبقا وفقا للتعاقد الذهني بينهما فضلا عن تحديد نوع العمل من حيث الرفع والنصب والجر، والاسناد، وهذا مفاد قول سيبويه في باب الافعال التي تستعمل وتلغى ومنها: ظننت، وحسبت، وخلت، وزعمت وما يتصرف من أفعالهن، فإنَّ استعملت فهي بمنزلة: رأيت وضربتُ وأعطيتُ في الاعمال والبناء على الاول من حيث معنى الاخبار والاستفهام. وذلك قولك: أظنُّ زيدا أظن أخاك.

---

[٣٢] (سيبويه :٢٠٠٤، ١/ ٣٩٢)

فهذا المعنى حدده الاستعمال بمنزلة اسناد أو بناء كما يسميه سيبويه على الاول، وإنْ شئت الالغاء، فالتأخير أقوى وكلٌّ عربي جيد، فقولك: عبدُاللهِ أظنُ ذاهبٌ على وجه الالغاء؛ لأنَّك أخرت البناء ومنه قول اللعين يهجو العجاج:

أبا الأراجيزِ يا ابْنَ اللُّؤمِ توعِدُني   وفي الأراجيزِ خِلْتُ اللُّؤمَ والخورُ

والرفع هاهنا على التأخير؛ لأنَّه يجيء بالشك بعدما يمضي كلامه على اليقين وكلما طال الكلام ضعف التأخير إذا أعملت[٣٣] وهذا يعني أنَّ الاستعمال حددته نية المتكلم كما زعم سيبويه، وهذا معنى قوله: فإذا ابتدأ كلامه على ما في نيته من الشك أعمل الفعل قدَّم أو أخر كما قال: زيدا رأيتُ، رأيتُ زيدا[٣٤].

والاستعمال هو إشهارٌ اجتماعيٌّ وغرضٌ من أغراض المتكلم في عملية التواصل اللغوي فضلا عن كونه حوارا تداوليا لتوجيه الخطاب الى المخاطب ولا سيما عندما يكون اخبارا أو استفهاما[٣٥] فكان من معطيات الاشهار هو استدراج المخاطب الى الاخبار أو الاستفهام لبيان البناء أو الاسناد فيها وفقا للمعنى العرفاني في التراكيب الاسنادية حينئذٍ تحددت نيته في تحديد حاجاته وتنوعها[٣٦] وهذا مفاد قول الجرجاني " إنَّ الالفاظ

---

[٣٣] (سيبويه: ٢٠٠٤، ١/١١٩ ـ ١٢٠)
[٣٤] (السابق ١/١٢٠)
[٣٥] (الدكتور سامي الماضي:٢٠١٧،١٧)
[٣٦] (الدكتور أحمد عطية سليمان: ٢٠١٤، ٣٦)

لا تُراد لأنفسها وإنَّما تُراد لتجعل أدلة على المعاني فإذا عُدمت الذي تراد أو أختل أمرها فيه لم يُعتدْ بالأوصاف التي تكون أنفسها عليها"[٣٧] وهذا ما أشار إليه سيبويه بأنَّها تستعمل وتلغى فمتى كانت أدلة على معنى الاخبار والاستفهام كانت مبنية على الاول بمعنى "مسندة" حينئذٍ أعملت وكانت بمنزلة: رأيت، فالمعنى العرفاني تحقق بتحقق الاسناد الى الاول، وهذا الامر كلُّه من متعلقات عناصر الموقف الكلامي التخاطبي ومن أجل ذلك فقد ارتبط مفهوم العمل ـ عمل ظن وحسب ... بوضوح بمعنى المفردة الفعل[٣٨] وقد أعتمد تحديد العمل على مطابقة الكلام للواقع، فالمتكلم يقصد ما ينطق به ليقدم مجموعة من التأثيرات في أذهان المخاطب عبر وسائل الاقناع بهذا القصد[٣٩] فيكون العمل على مستوى المعنى العرفاني محددا لموقع الفعل من حيث التقديم والتأخير وتحديد ذلك وفقا للاستعمال فكان الاخير معيارا لتحديد النصب من الرفع فالذي يكون أولا يكون منصوبا وما تأخر يكون مرفوعا كما مثل سيبويه، وإنّما صلح التقديم والتأخير هاهنا لأنَّ الكلام كان موضحا للمعنى فكانت الوحدات الوظيفية التي تتمثل في ذهن المتكلم مسارا للمعنى العرفاني الذي يشاركه المخاطب بفضل التعاقد الذهني لربط المعاني المتحصل عليها من التمثيلات الصورية لذلك صلح التقديم والتأخير على نية المتكلم[٤٠].

---

[٣٧] (الجرجاني: ١٩٩٢، ٥٢٢)

[٣٨] (الدكتور رجاء الحسناوي: ٢٠١٥، ١٢١)

[٣٩] (الدكتور محروس السيد بريك: ٢٠١٠، ١٠٤٥)

[٤٠] (الدكتور سامي الماضي: ٢٠١٣، ٨٠ ـ ٨١)

وقد يكون الاستعمال في الشعر دون الكلام، وهذا يتطلب أنْ يكون القياس فيصلا ـ قياس الاستعمال ـ في تحديده، ومن ذلك "ثلثمائة الى تسعمائة" فكان يجب أنْ يكون في القياس " مئين أو مئات "، ولكنهم شبهوه بـ"عشرين، وأحد عشر" إذ جعلوا ما يُبَيِّنُ به العددُ واحدا؛ لأنَّه اسمٌ لعددٍ أيْ أنَّك تريدُ هذا الرقم من العدد دون غيره مما سبقه كما أنَّ عشرين اسم لعدد، وهذا الامر ليس بمستنكر في كلام العرب أنْ يكون اللفظُ واحدا والمعنى جمع، وقد قيل في الشعر ما لا يستعمل في الكلام، ومنه قول علقمة ابن عبده:

بها جِيَّفُ الحسرى فأمَّا عِظامُها فبيضٌ، وأما جِلدها فصليبُ[٤١].

فاختص التثليث بهذا الباب الى تسعمائة ومعيار سيبويه هو الاستعمال، والمعنى العرفاني جمع واللفظ للواحد، ولعلّ حمل اللفظ على لفظٍ أخر قد سوغ ذلك المعنى، فكأنَّ الامر في المستوى المعقول وهو التصور في الذهن جعلهُ يعطي تمثيلا صوريا حمل على لفظ آخر ليؤدي معنى جديدا خارج عن القياس المنطقي، وهذا ما يمكن أنْ نسميه بالمعنى العرفاني للغة[٤٢] ولذلك فإنَّ مسوغ الاستعمال أجاز للمتكلم استعمال اللفظ الواحد على شبه الجمع.

وقد يكون معيار الاستعمال في اللفظ لا في المعنى، والسبب في ذلك السعة في كلام العرب فضلا عن إيجازه واختصاره، وهذا مفاد قول

---

[٤١](سيبويه تح البكاء: ٢٠١٥، ١/٢٨٢ـ ٢٨٢ بتصرف)

[٤٢] (الدكتور عزمي إسلام: ١٩٨٥، ٢١)

سيبويه: هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى. ومن ذلك قولك: كم وُلِدَ له الولدُ ستين عاما، ولكنه أتسع وأوجز. وجاء في التنزيل الكريم قوله عزَّ وجلَّ : { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } البقرة:/٢/ ١٧١ فلم يشبّهوا بما يَنْعِقُ، وإنَّما شُبهوا بالمنعوق به. وإنَّما المعنى مثلُكم ومثلُ الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز لعلم المخاطب بالمعنى[٤٣]. إنَّ استعمال الفعل "ينعق" كان من حيث اللفظ وليس من حيث المعنى؛ لأنَّه أصل الكلام أنْ يستعمل اللفظ لمعناه وليس أنْ يكون اللفظ دون المعنى كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع وأنَّ هذه التغيرات التي نقلت اللفظ دون معناه ما هي تغيرات طارئة قد تكون اجبارية فرضها مقام التواصل وذلك لعلم المخاطب بالمعنى العرفاني الذي أجازته سعة العربية من حيث الايجاز والاختصار، فكان الاستعمال معيارا بين مقررات النظام اللغوي الذي يتطلب أن يكون اللفظ دالا على معناه الأصلي الذي وضع ليكون دالا عليه، وبين مطالب السياق الاستعمالي الذي كان نتاجا تواصليا للغة[٤٤] وهكذا فقد ساهم السياق في تحديد المعنى العرفاني خصوصا إذا ما علمنا أنَّ الخطاب لا يمكن أنْ يتجرد عن سياقه وأنَّ الاصل في الخطاب أنْ تتعدد معانيه الى أنْ يثبت خلاف ذلك بالدليل[٤٥]. وقد حدد السياق علم المخاطب بالمعنى العرفاني، وهذا الامر كثيرٌ في كلام العرب

---

[٤٣](سيبويه: ٢٠٠٤، ٢١٢/١)

[٤٤](الدكتور رجاء الحسناوي: ٢٠١٥، ١٧٩)

[٤٥](الدكتور عبد السلام اسماعيلي علوي: ٢٠١٧، ٢٧)

سواء أ كان في الشعر أم في النثر ومنه قولك:" أكلتُ أرضَ كذا وكذا وأكلتُ بلدةَ كذا وكذا، إنَّما أراد أصابَ من خيرِها وأكلَ من ذلك وشربَ، ومنه قول الحطيئة:

وشرُّ المنايا ميِّتٌ بين أهلِهِ   كهُلْكِ الفتى قد أَسْلَمَ الحيَّ حاضِرُه.

يريدُ : منيِّةُ ميت[٤٦].

وتارة أخرى يكون معيار الاستعمال اضمارا للفعل مع بقاء العمل في غير الامر والنهي، وذلك قولك: إذا رأيتً رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلتً مكَّةَ وربِّ الكعبة. حيث زَكنِت أنَّه يريدُ مكَّةَ والله. ويجوز أنْ تقولَ: مكة والله، على قولك: أرادَ مكَّةَ والله أيْ أراد مكة إذ ذاك[٤٧] وهنا تكمن المعالة على النحو الاتي:

١ـ تحقق الرؤية من قبل المتكلم، وهي قضيةٌ حسيةٌ أدركها المخاطب بأحد حواسه التي تمثلت في التصورات الذهنية له .

٢ـ تحقق القصد في هيئة الحاج فلا تكفي الرؤية؛ لأنَّه للحجِ خواصٌ يجب أن تتحقق ومنها لباس الاحرام.

٣ـ الجهة التي تكون وجهة له. حينئذٍ تتم تلك المعاني العرفانية لتنقلَ التصورات الذهنية لذلك المشهد عند المتكلم ثم أطمئنت نفسه أنَّه يريد تلك الوجهة حينئذٍ جاز لك أنْ تضمر ذلك الفعل مع بقاء عمله، فاستعمال

---

[٤٦](سيبويه: ٢٠٠٤، ٢١٤ ـ ٢١٥)

[٤٧](السابق: ٢٠٠٤، ١/٢٥٧)

الفعل هاهنا من حيث العمل وليس اللفظ فيكون المعنى العرفاني هو الفيصل في ذلك فضلا عن وجود حالة من الاشهار في الاتجاه الذي يريد قصده، ومن أمثلة ذلك في التنزيل الكريم قوله عزَّ وجلَّ: {بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} [البقرة: ١٣٥أ٢]

فالمعنى العرفاني هنا تحقق بفعل الاشهار عن" دين"[٤٨]. أيْ بل نتبع ملةَ إبراهيم حنيفا، كأنَّه قيل لهم: أتبعوا حيث قيل لهم: ((كونوا هودا أو نصارى))، فالفعل تُركَ هاهنا لفظه ولكنه أبقي عمله في المعنى، وهذا معنى قول سيبويه أعلاه[٤٩] وعلةُ ذلك إنَّما أضمرت الفعل هاهنا وأنت تخاطِبُ؛ لأنَّ المخاطبَ المُخْبَرَ لست تجعل له فعلا آخر يعملُ في المُخْبَرَ[٥٠].

والحقيقة فإنَّ كون اللغة نظاما عرفانيا يعني أنَّها كامنة في الذهن تشتغل وفقا لمبادئ معينة وتتفاعل مع أنظمة عرفانية خارجية حتى تغادر طور المعرفة اللسانية اللاوعية الفى أنْ تكون إنجازا ولذلك فإنَّ النشاط اللغوي مهما كانت خصوصيته محكوم بآليات العرفانية الموجه لسائر الانشطة الذهنية والسلوكية[٥١]. ويمكن تمثيل المخطط الآتي لمعيار ما يضمر من الفعل المستعمل اظهاره:

---

[٤٨](الدكتور عطية سليمان أحمد: ٢٠١٤ ١٥)

[٤٩](سيبويه : ٢٠٠٤، ١/ ٢٥٧)

[٥٠]((السابق ١/ ٢٥٨))

[٥١](لرجاني خديجة أسماء : ٢٠١٩،١٢١)

المعطيات ← يحددها المتكلم بوجود قرائن سياقية ← (الرؤية والجهة والهيئة).

الانجاز ← يحددها المتكلم وفقا للتصورات الذهنية ← (القصد والاطمئنان والإخبار).

المقولة ← يحددها المعنى العرفاني لتصبح إنجازا لغويا ←(اضمار الفعل وبقاء عمله والتمثيل الذي يدركه المخاطب) .

وقد أورد سيبويه مواضع متعددة لهذا المعنى ومنه ما يُضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف، وهو عربيٌّ حسنٌ، والنصب فيه بالغ على التفسير ويجوز الرفع في مواضع[٥٢] وأنَّ هذا التصور يعكس سلسة من العلاقات المعرفية التي تربط بين العقل كونه مصورا ذهنيا لذلك المشهد اللغوي واللغة عبر مجموعة ألفاظ أثارها في الذهن وعلاقات ترتبط باللغة وتختص بالمتكلم الحاذق[٥٣].

ومن معيار الاستعمال كثرته في كلام العرب حينئذٍ يصبح الكلام بمنزلة المثل، لذلك جوَّز حذف الفعل وهذا أيضا يدخل ضمن التصورات الذهنية المعرفية في ذهن المتكلم أصلا فقولك: " هذا ولا زَعَمَاتِك أيْ ولا أتوهمُ زعَماتِك، لكثرة استعمالهم إياه، ولاستدلاله مما يرى حاله أنَّه يَنْهاه عن زعمه"[٥٤]، فالرواية متحققة شريطة أخرى غير كثرة الاستعمال، وهي

---

[٥٢](سيبويه : ٢٠٠٤، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧١)

[٥٣](الدكتور عطية سليمان أحمد : د ت، ٩)

[٥٤](سيبويه : ٢٠٠٤، ١/ ٢٨٠)

قرينة حالية يستدرك منها المعنى العرفاني المتكلم ومن ذلك قول العرب: "كِلَيْهما وتَمْرَا" فهذا مثلٌ قد كثر في كلامهم واستعمل وتُرِكَ ذكر الفعل لِمَا كان قبل ذلك من الكلام كأنَّه قال: أعطني كليهما وتمرا[٥٥] فالاستعمال الظاهر قد يخضع لمتطلبات لغوية وغير لغوية تؤدي الى حذف أحد طرفي الاسناد ومنها كثرة الاستعمال[٥٦] فضلا عن الاستدلال كونه يمثل قرينة حالية أخرى تتضافر مع كثرة الاستعمال الذي أوجب الحذف لعلم المخاطب أنَّه محمولٌ على الكثرة.

أخرى يحذف الفعل لكثرة الاستعمال في الكلام ويعوضُ عنه بدلا من اللفظ بالفعل بأداة تكون قرينة لفظية تدل على حذفه كما هو في باب النداء فـ "يا" النداء ـ وهي حرف ـ قد صارت بدلا من اللفظ بالفعل كما يراها سيبويه، فكأنَّه قال: يا أريدُ عبدَاللهِ، فحذف "أريدُ" وصارت "يا" بدلا منها؛ لأنَّك إذا قلت: يا فلانُ، عُلِمَ أنَّك تريدهُ، واستدل سيبويه على ذلك بقول العرب: يا إيَّاك، إنَّما قلت: يا إيَّاك أعني، ولكنهم حذفوا الفعل وصار "يا، وأيا، وأيْ" بدلا من اللفظ بالفعل[٥٧].

أنَّ الفعل قد بقي عاملا في معموله وإنَّما كانت تلك الادوات بدلا من اللفظ لا بدلا من المعنى، والمعنى العرفاني هو تصور ذهني في فكر المتكلم مما يعني أنَّه قد حفظ العمل دون اللفظ مع وجود قرينة تدل على

---

[٥٥](السابق ١/ ٢٨١)

[٥٦] (الدكتور رجاء الحسناوي: ٢٠١٥، ١٩٠)

[٥٧](سيبويه : ٢٠٠٤، ١/٢٩١)

اللفظ المتروك إظهاره. فالاستعمال كان معيارا في حذف الفعل لفظا دون معنىً.

وقد يكون إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره بمعنى أنَّ الاستعمال لهذا الفعل المضمر أصلا هو غير مستعمل إظهاره في التراكيب، ومنها باب ما يُنصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره" وذلك قولك: سقيا ورعيا... وتعسا وتبا وجوعا. فهذه مصادر كلُّها نُصبت على إضمار الفعل غير المستعمل في كلام العرب ومنه قول ابن ميادة :

تَفَاْقَدَ قومي إذ يبيعون مُهجتي بجاريةٍ بَهْرا لهم بعدها بَهْرا

أيْ تبا وقال:

ثم قالوا : تُحبَّها، قُلْتُ بَهْرا عددَ النجمِ والحصى والتُّرابِ

كأنَّه قال : جَهْدا : أيْ جَهْدي ذلك"[٥٨] ، والنصب يكون على تقدير كأنَّك قلت : سقيا ورعاك الله رعيا، واختزل الفعل هاهنا؛ لأنَّهم جعلوه بدلا من اللفظ بالفعل كما جعل " الحذر" بدلا من " احذر"، وأما ذكرهم " لك" بعد سقيا فإنَّما هو ليبيِّنوا المعنى بالدعاء وربما تركوه استغناءً إذا عرف الداعي أنَّه قد عُلم من يعني وربما جاء به على العلم توكيدا[٥٩] ويمكن تمثيل ذلك على النحو الاتي:

---

[٥٨] (السابق : ١/ ٣١١)

[٥٩] (السابق: ١/ ٣١٢ بتصرف)

التصور الذهني ←علم المخاطب ← توكيدا على العلم بالدعاء.

التصور الذهني ← (اختزال الفعل ووجود قرينة "النصب")

علم المخاطب ←(بيان معنى الدعاء ووجود قرينة لفظية "لك")

وهنا نلحظ معيار غير المستعمل قد صور المعنى العرفاني للتركيب الاسنادي لتلك المصادر مع بقاء عمل الفعل المضمر فاختزلوا اللفظ وأبقوا المعنى، وهذا المعنى تجلّى في عرفانية اللغة عند المتكلم فاستدرك التصورات الذهنية على وفق منظومة من العلاقات عبر سلسلة من العلامات التي دلت على تلك المعاني.

وكذلك قد يكون عدم الاستعمال تمثيلا كما كان" براءة الله " تمثيلا لـ"سبحان الله " ولم يستعمل [٦٠]. وقد يكون معيار الاستعمال "أجازه بالقول"، وهذا معنى قول سيبويه باب ما يشبه من الاماكن المختصة بالمكان غير المختص شُبّبت به إذ كانت تقع على الاماكن. وذلك قول العرب: هو منِّي منزلة الشَّغافِ، وهو منِّي منزلة الولد ومنه قول الأحوص:

وإنْ بني حربٍ كما قد عَلِمْتُمُ مناط الثُريا قد تَعَلَّتْ نجومُهَا

فأجري هذا مجرى قولك في المكان الذي نيط به الثُّريا وبالمكان الذي ينزل به الولد. فإنَّما أراد هذا المعنى؛ ولكنه حذف الكلام وليس يجوز هذا في كلِّ شيء، لو قلت: هو مني مَجْلسكَ أو مَرْبط الفرس لم يجزِ فاستعمل من هذا ما استعملتَ العربُ وأجزْ منه ما أجازوه[٦١] إذن إرادة المعنى الذي عبر

---

[٦٠] (السابق: ١/ ٣٥٣، ٣٧٤)

[٦١] (السابق ١/ ٤١٤)

عنه سيبويه "بأنَّه أراد هذا المعنى" إنَّما هو دليلٌ واضحٌ على عدم تعميم القياس إلا مع ما أجازته العرب عبر الاستعمال وإلا يكون مكانا ولذلك جاز قولك: دخلتُ البيت أو ذهبتُ الشام؛ لأنَّها أماكن وإن لم تكن كالمكان، وهذا كلُّه تصور في الذهن يدركه المعنى العرفاني عبر الاستعمال والرؤية الواضحة للاماكن وللاستدلال عليه بقرينة الارادة وهي أنْ يكون مكانا لا رمزا حينئذٍ جاز لك حذف الكلام بمعنى أنَّك تحذف كلاما قد يكون جملة طويلة أو قصيرة وهو مفسرٌ لما بقي من اللفظ إذا جعلت القصد ذلك المكان دون غيره.

المسار الثالث: سعة الكلام

يُعدُّ مصطلح سعة الكلام ظاهرة مميزة في كتاب سيبويه فغالبا ما يُصدرُ أحكاما تتعلق بسعة الكلام، وتمنع مع الكلام الاعتيادي. ولقد برزت هذه الظاهرة أيضا في اهتمامات العرفانيين الذين يعتقدون أنَّها كانت مهيمنة على فكر النحويين. وأطلقوا عليها "التعاقد الذهني ومتصور الذاكرة" والتعاقد الذهني من حيث المبدأ هو وجود نوع من المواضعة والاتفاق بين المتكلم والمخاطب في معنى من المعاني لم يردْ عليه لفظ، وإنَّما قُدَّر لفظه أو حُذف، وهذا له حضور ذهني أو افتراض مسبق على الرغم من غياب اللفظ[٦٢] وهذا الامر مبنيٌّ على سعة الكلام مما جعل التواضع ينسجم بين المتكلم والمخاطب .

---

[٦٢] (الدكتور توفيق قريره : ٢٠٠٧، ١٤٤)

وقد رصد سيبويه هذه الظاهرة في مواطن متعددة ومنها في باب جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعله الى مفعولين في اللفظ لا في المعنى. وذلك قولك: " يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ" وتقول على هذا الحدِّ: سَرَقتُ الليلةَ أهلَ الدارِ، فتجري " الليلة" على الفعل في سعة الكلام .... والمعنى إنَّما هو" في الليلة" غيرَ أنَّهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام[٦٣]، والملاحظ أنَّ المعنى العرفاني يتحدد بتعدي اسم الفاعل "سارق" الى مفعولين في اللفظ لا في المعنى؛ لأنَّ المعنى كما وجهه السيرافي في شرحه هو بمنزلة قولك: ما معطي زيدٍ الدرهم، أضفته الى أحد المفعولين ونصبت الاخر بمعنى " الليلة، أهل الدار" في الاصل هما المفعولين، فالاول جرى على الاضافة أبقيت الثاني على النصب . فهذا شبه في اللفظ، وأما خلافه له في المعنى فإنَّ الليلة كانت ظرفا في الاصل... وكان الاصل: سرقتُ الليلةً من أهلِ الدارِ[٦٤].

فالتعاقد الذهني حاصل بين المتكلم والمخاطب على أصل المفعولين، ولذلك كان في اللفظ لا في المعنى، وما حُدد من معنى هم ضمن مقاصد المتكلم وارتكازه على المعنى العرفاني المرتبط بفكرة الاشتراك بين المتحاورين في معرفة العناصر التركيبية والبيانية للتركيب[٦٥]، وقد جاء في التنزيل قوله عزَّ وجلَّ: {بل مكرُ الليلِ والنهارِ} (سبأ/ ٣٣) فالليلُ والنهار لا يمكران ولكن

---

[٦٣] (سيبويه : ٢٠٠٤، ١٧٥ ـ ١٧٦ بتصرف)

[٦٤] (السيرافي نقلا عن البكاء: ١/ ٢٤٩).

[٦٥] (الدكتور رجاء الحسناوي: ٢٠١٥، ١٤٦)

المكر فيهما. وهذا جرى على مجرى سعة الكلام[٦٦] ويمكن تمثيل ذلك عبر المخطط الاتي:

- المقولة في اللفظ ←———— مفعولين (الليلة وأهل الدار).

- المنجز في المعنى العرفاني ←———— (جر الاول ونصب الثاني).

- سعة الكلام ←———— تضمن المعنى لوقوع الفعل عليه .

وقد تكون سعة الكلام على وجه من الإعراب أقل منه على وجه القياس النحوي عنده، حينئذٍ يجري على السعة ولكنه في القياس أعلى وأجود. وهذا معنى قول سيبويه " وأمَّا قوله: أُدْخلَ فُوهُ الحجرَ، فهذا جرى على سعة الكلام. والجيدُ أدخل فاهُ الحجرُ كما قلت في رأسي القلنسوةَ. والجيدُ أدخلتُ في القلنسوة رأسي، وليس مثل اليوم والليلة؛ لأنَّهما ظرفان. فهو مخالفٌ له في هذا موافق له في السعةِ ومنه قول الشاعر:

ترى النورَ فيها مُدْخِلَ الظلِّ رأسَهُ وسائرهُ بادٍ الى الشمس أجمعُ

فوجه الكلام فيه هذا كراهية الانفصال"[٦٧] والملاحظ هنا جواز حالة الرفع على السعة، وهو أمرٌ أقل منه على القياس؛ لأنَّ المنصوبان ليسا ظرفا مكان، وهذا يعني إنَّ المعنى العرفاني قد حدد في ذهن المتكلم أنْ يتلاءم التصور مع التمثيل ليكون مقبولين على الوجه الاحسن؛ ولذلك جوّز سيبويه وجه الرفع على سعة الكلام، ولكن القياس عنده النصب؛ لأنَّهما ليسا

---

[٦٦] (سيبويه: ٢٠٠٤، ١/ ١٧٦)

[٦٧] (السابق: ١/ ١٨١)

بظرفين. وهذه فاصلة عرفانية في المعاني وهي التميز بين ما يجري على السعة وما يكون جيدا على القاعدة. وأمَّا كراهية الانفصال التي ذكرها سيبويه فهي انفصال المعاني تبعا لتوجيه المتكلم من حيث الرفع والنصب.

ومما ذكر سيبويه على سعة الكلام والاختصار باب ما يكون فيه المصدرُ "حينا" بمعنى أنَّ المصدر يكون بمعنى "حين" الظرفية، وذلك قولك: "متى سير عليه؟ فيقول: مَقدَمَ الحاجُّ، وخُفوقَ النجم، وخلافة فلان، وصلاة العصر، فإنَّما هو زمن مقدم الحاجُ وحين خفوق النجم، ولكنه على سعة الكلام والاختصار"[٦٨]، فقد سوغت سعة الكلام أنْ يختصر في التركيب، ويصور المعاني كاملة؛ لأنَّها صورٌ ذهنية تجلت عند المتكلم في إيصالها للمخاطب فضلا عن وجود قرينة لغوية تشير الى المعنى العرفاني. وقد يطرحُ سؤالا كيف تجتمع السعة والاختصار؟ الجواب هو أنَّ السعة في الاستعمال تكون في المعاني والاختصار يكون بالشكل الملفوظ.

وتقول على قول السائل : كم ضربةً ضُرب به، وليس في هذا اضمار شيء سوى كم، والمفعولُ كم فتقول: ضُرِبَ به ضربتان؛ لأنَّه أراد أنْ يُبيِّن له العدةَ فجرى على سعة الكلام والاختصار[٦٩] فإرادة المتكلم هي ذاتها المعنى العرفاني الذي ترتكز على بيان العدد، وإنْ كانت الضربتان لا تضربان، وإنَّما المعنى: كم ضُرِبَ الذي وقع به الضربَ من ضربةٍ فأجابه على هذا المعنى، ولكنه اتسع واختصر. وكذلك المصادر التي عملت فيها

---

[٦٨] (السابق: ١/ ٢٢٢)

[٦٩] (السابق: ١/ ٢٢٩)

أفعالها إنَّما يسألُ عن هذا المعنى، ولكنه يتسع ويختزل الذي يقع به الفعل اختصارا واتساعا وقد عُلم أنَّ الضربَ لا يُضرب[٧٠]، فالمعنى العرفاني منصبٌ على بيان عدد الضربات وليس نوعيتها؛ لأنَّ الضربً عُلِمَ، والمعنى كلُّه مكنونٌ وفقا لإرادة المتكلم فالكلام مبني على انجاز القول وإنَّ النية وارادة المتكلم تُتَمم المعنى العرفاني؛ لأنَّها قد رصدت النظام الانجازي وفقا للذاكرة النظامية في ذهن المتكلم[٧١] وهذا يعني أنَّ المعنى لاحق للفظ والأصل المفترض في علاقتهما أن يكون هنالك تطابق بينهما فاللفظ يمثل الشكل والمعنى يمثل العمق[٧٢]، ولكن سيبويه قدم المعنى العرفاني ليكون هو من يحدد مسار اللفظ في التراكيب؛ لأنَّه لا عبرة للفظ من دون توجيه للمعاني فإذا كان الشكل يلفت انتباه المخاطب فإنّ المعنى هو من يدد ذلك المسار.

ويمكن أنْ نسمي هذا الامر بـ" حركية المعنى النحوي"؛ لأنَّها متصلة بما يحدث في أبنية اللغة من تشابه أو تغيير فهي كائنة في ما يبنه المتكلم من مقاصد واعتقادات في ذهنه... فيكون التصور الترابطي للمعنى متصل بمحيط المتكلم المادي... الذي يعتمد على فرضية قوامها اشتقاق نسقية ما هو ذهني مجرد من نسقية ما هو مادي محسوس[٧٣].

وربما تكون سعة الكلام معيارا لحكم نحوي لجواز معنى ومن ذلك قول العرب: مِنْ لَدُ شُوْلا فإلى إتْلائها ـ وهو في نعت إبل بمعنى ارتفعت ألبانها

---

[٧٠](السابق ١/ ٣٣٠ بتصرف)

[٧١](الدكتور توفيق قريره : ٢٠٠٧، ١٤٨)

[٧٢](الدكتور عبد السلام السيد حامد : ٢٠١٦، ٢٥٧)

[٧٣](الدكتور منجي العمري: ٢٠١٩، ينظر ٢١، ٣٥)

وجفت ضروعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر وثمانية ـ ونصبت؛ لأنَّه أراد زمانا " الشَوْل" وهو لا يكون زمانا ولا مكانا فيجوز فيه الجر كقولك: مِنْ لدُ أنْ كانت شُوْلا فإلى إتلائها، وقد جرَّهُ قومٌ على سعة الكلام وجعلوه بمنزلة المصدر(٧٤) حين جعلوه على الحين وإنَّما يريد حين كذا وكذا وإنْ لم يكن في قوة المصادر؛ لأنَّه لا يتصرف تصرفها، والمعنى هنا سعة الكلام كانت مسوغا لقومٍ في جرَّهِ، ولعل المتكلم لم ينطق جملا تامة اعتمادا لما يصوره له السياق المقامي في إكمال ما نقص لفظه أو معناه ثم الوقوف على دلالة قصده دون تمام ذلك المعنى، وإنَّما توجيه سيبويه له وفقا الى مجموعة من المؤشرات السياقية التي يتحقق بها ذلك النقص في دلالة القصد نحو الادراك ـ أعني ادراك المتكلم بأحد الحواس ـ فضلا عن تأكيد سيبويه على إشراك المخاطب في إدراك تلك المؤشرات السياقية ومنها سعة الكلام(٧٥) وهذا يشير الى ادراك المعنى العرفاني عند المتكلم في تمام دلالته القصدية وفقا لمعايير عدة تحددها تلك المؤشرات السياقية ومنهت سعة الكلام التي جعلت بعض العرب تجَّر كلمة "الشَوْل" بدلا عن نصبها بمنزلة المصدر، وهذا كلُّه يُدرك بالمعنى العرفاني لا باللفظ .

والمسألة نفسها عندما يصبح الكلام كالمثل الجاري فإنَّه يجوز فيه ما لا يجوز في غيره وذلك على سعة الكلام ومنه قولك: مَنْ أنت كلامُك أو ذكرُك زيد. إنَّما قَلَّ الرفعُ لأنَّ إعمالهم الفعل أحسن من أنْ يكون خبرا لمصدرٍ ليس له، والنصبُ أولى، ويجوز الرفعُ وذلك قليلٌ على سعة الكلام

---

(٧٤)(سيبويه: ٢٠٠٤، ١/ ٢٦٥)

(٧٥)(الدكتور محروس بريك: ٢٠١٠، ١٠٥١)

حتى أنَّهم ليسألون الرجلَ عن غيره فيقولون للمسؤول: من أنت زيدا، كأنَّه يُكلمُ الذي قال: أنا زيدٌ، أيْ أنت عندي بمنزلة الذي قال: أنا زيدٌ، فقيل له: من أنت زيدا كما تقول للرجل: " أَطِرِّى إنَّك ناعلةُ واجمعي"[٧٦] وهاهنا قد تحققت سعة الكلام بناءً على الافتراضيات المسبقة التي أخذها طرفي الكلام ـ المتكلم والمخاطب ـ في الاعتبار في ضوء اللجوء الى المعرفة اللغوية المشتركة مع تحصل السياق المقامي[٧٧] وأدى المعنى العرفاني الى عملية تحديد مقاصد المتكلم مما جرى عليه حكما تارة بالنصب وأخرى بالرفع بناءً على تأويل المعنى العرفاني مع تحديد ذلك المعنى وهو سعة الكلام. ومثلُ ذلك قول الخنساء:

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارٌ

فإنْ شئت رفعت هذا كلُّه فجعلت الآخرَ هو الاول، فجعلها " الاقبال والادبار" على سعة الكلام كقولك: نهارُك صائمٌ وليلكُ قائمٌ، فالأصل فيها النصب؛ لأنَّها في الاستفهام والخبر بمنزلته في الامر والنهي[٧٨]. فالمعنى العرفاني تحقق وفقا لسعة الكلام فجُوّز الرفع على النصب؛ لأنَّه الدلالة القصدية للمتكلم قد راعت سعة الكلام، وإنَّما المراد من النصب والرفع ليس تحديد ذلك العمل للفعل المتروك إظهاره؛ وإنَّما المعنى التداولي الذي توصل

---

[٧٦](سيبويه: ٢٠٠٤، ١/ ٢٩٩)

[٧٧](الدكتور محروس بريك: ٢٠١٠، ١٠٥٤)

[٧٨](سيبويه : ٢٠٠٤، ١/ ٣٣٦)

إليه عبر الافتراض المسبق للمعنى العرفاني عنده كانت سعة الكلام تعني كثرة تداوله بين عناصر العملية اللغوية التواصلية[٧٩].

وكذلك في باب ما يُختارُ فيه الرفع إذا ذكرتَ المصدرَ الذي يكون علاجا، وذلك إذا كان الاخيرُ هو الاولُ نحو قولك: له صوتٌ صوتٌ حسن؛ لأنَّك أردت الوصف، كأنَّك قلت : له صوتُ حسن، وإنَّما ذكرتَ الصوتَ توكيدا ولم تُردْ أنْ تحملهُ على الفعلِ لِمَا كان صفه وكان الاخر هو الاول....، وأمَّا : له صوتٌ صوتُ حمارٍ فقد علمت أنَّ صوتَ حمارٍ ليس الصوت الاولُ، وإنَّما جاز لكَ رفعهُ على سعة الكلام[٨٠] فهاهنا ميز المعنى العرفاني بين مستوين من اعتبارات المعنى المباشر وغير المباشر تبعا لتميز التخاطب أو الاستعمال المباشر ... بموجب علاقة التبعية المتمثلة بمواكبة المعنى للمعنى أو ترتبه عليه[٨١] فالمعنى الاول هو نفسه الثاني " له صوتٌ صوتُ حسن" حينئذٍ وصفه سيبويه بالحسن؛ لأنَّه أراد الوصفَ فقد ميِّز بين الوصف وبين الجملة الثانية " له صوتٌ صوتُ حمارٍ، فالصفة الفيزيائية لصوت الحمار تختلف عن الصفة الفيزيائية لصوت الانسان فكان الصوت ليس صوت حمار؛ وإنَّما تحلى بصفة غير مباشرة بصفة صوت الحمار، وهذا كلُّه من المعاني العرفانية التي اشتركت فيها ادراكات المتكلم والمخاطب .

---

[٧٩](الدكتور سامي الماضي : ٢٠١٧، ٤٦).

[٨٠] (سيبويه ٢٠٠٤، ١/ ٣٦٣ بتصرف)

[٨١] (الدكتور عبد السلام اسماعيلي علوي : ٢٠١٧، ١٣٥)

ومن جواز الرفع على سعة الكلام بابُ ما ينتصبُ من الاسماء والصفات؛ لأنَّها أحوالٌ تقع فيها الامور. وذلك قولك: هذا سُبْرا أطيبُ منه رُطبا. فإنَّ شئت جعلته حينا قد مضى. وإنْ شئت جعلته حينا مستقبلا، وإنَّما قال الناسُ هذا منصوبٌ على إضمار، إذا كان فيما يستقبل، واذا كان فيما مضى... ومن العرب من يقول: أخطبُ ما يكون الاميرُ يومُ الجمعةِ، وأطيبُ ما تكون البداوةُ شهرا ربيع، كأنَّه قال: أخطبُ أيام الامير يومُ الجمعة، وأطيبُ أزمنةِ البداوة شهرا ربيع .وجاز أخطبُ أيامه يومُ الجمعة على سعة الكلام .وكأنَّه قال : أطيبُ الازمنة التي تكون فيها البداوةُ شهرا ربيع، وأخطبُ الايام التي يكون فيها الاميرُ خطيبا يومُ الجمعة [٨٢] والحقيقة أنَّ هذا التحليل الدقيق الذي حلل سيبويه مستوى المعنى ما هو إلا دليل لا يقبل الشك باهتمامه بالمعنى اولا ومن بعده يأتي اهتمامه بالوظيفة النحوية للأسماء أو الصفات لا كما أدعى بعض المستشرقين من أنَّ سيبويه يهتم بسلوك الكلمات أكثر من اهتمامه بدلالاتها وتابعه في ذلك زكريا ء أرسلان في كتابه أبستمولوجيا اللغة النحوية[٨٣].

ومن ذلك ما يكون المعيار في جواز شيءٍ دون غيره، وهذا مفاد قول سيبويه: وأمَّا دونَك فإنَّه لا يرفعُ أبدا، وإنْ قلتَ: هو دونك في الشرف؛ لأنَّ هذا إنَّما هو مثلٌ كما كان هذا مكان ذا في البدل مثلا، ولكنه على السعة وإنَّما الاصلُ في الظروف الموضع المستقر، ولكنه جاز هذا كما تقول : إنَّه لَصَلبُ القناةِ وإنَّه لمن شجرةٍ صالحة ولكنه على السعة، وأمَّا قُصِدَ قصدك

---

[٨٢] (سيبويه: ٢٠٠٤، ١/ ٤٠١- ٤٠٣ بتصرف)

[٨٣](الدكتور زكرياء أرسلان ٢٠١٦، ٢٦٨- ٢٧٠)

فمثلُ نُحِيَ نحوك وأقبل قُبلك يرتفع كما يرتفعان وينتصبُ كما ينتصبان وإنْ شئت قلت هو دونُك إذا جعلت الاول الاخر ولم تجعله رجُلا...[٨٤]. وهذا المعنى العرفاني متعلق بالقصد كونه هو من يحدد عامل الرفع أو النصب وفقا لصلاحية المعنى مع وجود المسوغ وهو سعة الكلام، فيكون التمثيل الذهني انعكاسا للمعنى العرفاني الذي قصده المتكلم، وإنما جاز الحكم النحوي "الرفع"؛ لكونه صار كالمثل في السعة في الكلام.

---

[٨٤](سيبويه : ٢٠٠٤، ١/ ٤٠٩ بتصرف)

نتائج البحث ومقترحاته

١- إنَّ أغلب التوجيهات اللغوية والنحوية في الكتاب كانت قائمة على المعنى العرفاني في تفسير النصوص سواء أكانت على مستوى المفردة أم على مستوى التركيب وفقا لمعايير عدة تمثلت بمقبولية العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب؛ لكونها تمثل قيما اخلاقية واجتماعية، وقد رصد البحث الكثير من تلك التمثيلات الصورية التي تدرك بإحدى الحواس ومنها على سبيل التمثيل سريان الكلام كالمثل في كلام العرب وهو كناية عن الاستعمال .

٢- إنَّ المعنى العرفاني أخذ بالحسبان العلاقة التلازمية بين العقل واللغة أو بين ما في الذهن من تمثلات وما يدرك بالحواس من تصورات لتلك التمثلات، واتسمت جلُّ المعاني عبر تفسير تلك العلاقة وتمثيلاتها صوريا لتكون مقبولة في تحليل مستويات اللغة من حيث الاستعمال ووجه الكلام والقبح والحسن.

٣- إنَّ المعنى العرفاني هو ظاهرة لها حضورٌ واسع في الكتاب كما أزعم أنَّها كانت مفاتيح لبيان تحولات المعنى عبر المنظومة اللغوية في عملية التواصل اللغوي وفقا لمجموعة من المسارات منها تمثيل ولا يتكلم به، وعربيٌّ جيدٌ، وقصد المتكلم ونيته، وسعة الكلام، وجاء على المعنى، والاستقامة في الكلام، وغيرها .

٤- يمكن القول إنَّ ملامح المنهج العرفاني في اللغة كان واضحا عند العرب منذ بواكير التأليف النحوي ومؤكدة بالأدلة، لذلك فأصالته عربية محضة،

وما جاء به الدرس الغربي الحديث على يد عالم اللغة الامريكي راي جاكندوف ومن سار على هديه ومنهم دانيال دينات، وستيفن بنكر، وبوستيوفسكي، وغيرهم الذين أكدوا على البنية الذهنية وأهميتها في النظرية العرفانية قد أدركوه العرب منذ أول مدونة معرفية وصلت إلينا وما كتاب سيبويه إلا دليل على ذلك.

٥- اقترح أن تدرس نظرية المعنى العرفاني عند علماء العربية بشكل موسع وفقا لمنهج اللغة التأريخي وبيان تطورها عبر المراحل الزمنية والمكانية والافادة من مفهوم المدارس التي كان المكان لها تميزا فضلا عن الزمان نحو المدرسة البصرية، والكوفية، والبغدادية، والاندلسية؛ للوقوف على الأسس والاصول وكيفية الاستدلال عند علماء العربية في ورشة علمية تتبناها مؤسسة علمية تعليمية تتمثل بمجموعة عمل جماعي وليس عمل فردي.

ثبت المظان

١ـ أحمد، الأستاذ الدكتور عطية سليمان، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د.ت.

ـ الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية (سورة يوسف نموذجا)، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤.

٢ـ أرسلان، الدكتور زكرياء، أبستمولوجيا اللغة النحوية (بحث في مقاييس العلمية ومرجعيات التأسيس والتأصيل، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦.

٣ـ اسلام، الدكتور عزمي إسلام، بحث ضمن حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة الحادية والثلاثون، الحولية السادسة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥.

٤ـ أسماء، أ لرجائي خديجة، اللسانيات العرفانية بين اكتساب اللغة وتعلمها، بحث منشور في مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد الثالث، عدد خاص، ٢٠١٩.

٥. اكيدر، الدكتور عبد الرحمن، التعليق عند عبد القاهر الجرجاني دراسة في التماسك النصي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الاولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨.

٦ـ البوعمراني، محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩.

٧ـ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الاولى، ١٩٩١.
٨ـ الحسناوي، الدكتور رجاء عجيل، الوظيفية في كتاب سيبويه، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء، الطبعة الاولى، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٥.
٩ـ الزاملي، الدكتور لطيف حاتم، الكلام المستقيم في النظر النحوي عند سيبويه ـ دراسة في المصطلح واستعماله، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد الثامن، العددان ٣، ٤، العراق، ٢٠٠٥.
١٠ـ الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩.
١١. سميسم، الدكتور علي جواد كاظم، التأويل العرفاني عند السيد السبزواري (قدس)، بحث منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ١٣، العراق ٢٠١٢.
١٢ـ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤.
ـ تصنيف منهجي وشرح وتحقيق علمي، الأستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء، منشورات زين الحقوقية والادبية بيروت، المكتبة الادبية المختصة، النجف الاشرف، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٥.
١٣ـ السيد بُريك، الدكتور محروس، التأويل التداولي في كتاب سيبويه، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف (سيبويه إمام العربية)، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، الجزء الثاني، ٢٠١٠.

١٤ـ العمري، الدكتور منجي، حركية المعنى النحوي (مقاربة عرفانية لمقولة الربط)، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩.
١٥ـ علوي، الأستاذ الدكتور عبد السلام اسماعيلي، السيمولسانيات وفلسفة اللغة (بحث في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي)، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ١٤٣٨ هـ، ٢٠١٧.
١٦ـ غربية، الدكتور عبد الجبار بن، مدخل الى النحو العرفاني، مسكيلباني للنشر والتوزيع، كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة، تونس، الطبعة الاولى، ٢٠١٠.
١٧ـ قريره، الدكتور توفيق، العرفاني في الاصطلاح النحوي العربي، منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات منوبة، تونس، ٢٠٠٧.
١٨ـ كارتر، مايكل جي كارتر، نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد ـ دراسة عن منهج سيبويه في النحو ـ، ترجمة عبد المنعم آل ناصر، بحث منشور في مجلة المورد، العدد العشرون، العراق، ١٩٩٢.
١٩ـ الماضي، الأستاذ الدكتور سامي، أثر طرق الحج في التواصل اللغوي دراسة ابيستيمولوجية، دار بغداد للطابعة والنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الاولى، ٢٠١٧.
ــ الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية،٢٠١٢.
٢٠ـ المسدي، الدكتور عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار البيضاء للكتاب، الطبعة الثانية، ليبيا، ١٩٨٩.

كتاب القول في البغال، للجاحظ (ت٢٥٥هـ)
دراسـة نقديّة موازنـة

الأستاذ الدكتور عدنان أمين   المدرس الدكتور أحمد جمعة شوان

كلية الآداب/ جامعة الإمام جعفر الصادق(υ)/ فرع كركوك

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى عقد موازنة بين ثلاثة تحقيقات، قد أجريت على مخطوط يتيم، جاء بعنوان(القول في البغال) لأبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)؛ وذلك لإبراز مزايا ومثالب كلّ محقق. وآثرنا أن نشفع الموازنة بمعارف عن(البغل) عند القدامى والمحدثين؛ مما له صلة بمفردة(البغل) في اللغة العربية وأخواتها الساميات، أو سواها من الفصائل اللغوية؛ للإحاطة بالعمل المحقق تأليفا، وتحقيقا، ودلالة.

المقدمة:

لأمتنا العربية تاريخٌ نهضويٌّ وفكري معمق، فقد أثرى السلف من الروّاد الأوائل ـ هذا التاريخ ـ معظم جوانبه سردًا، ونقلا، وتصنيفًا، وفهرسة، وجردًا، وبكلّ إخلاص وأمانة. وهي أمة امتازت من سائر الأمم والشعوب بشهادة عدوّ متربّصٍ مشحونٍ بالوجد والضغينة قبل أولي الصلة والرحم نسبًا وعقيدة، أو عرقًا ودينًا. وهي أمة عقدية انصهرت فيها شعوب وأمم من أصقاع شتى،

ومن ألسنة وأجناسٍ تعارفت على التقى؛ لتمسي جسدًا واحدًا، وبإرادة موحدة، ليساهم الجمع المؤمن في إيصال صوت هذه النهضة الفكرية المعمّقة إلى بلدان أخرى .

وفي هذه الضميمة العجلى؛ لا نؤثر جرد أمجاد في قوائم تطول ولا تنتهي؛ وإنما نختصر قائلين: إنّ حقيقة هذه الأمة بعلومها ومعارفها، قد هيّأ القدر لها سواعد باشرت في التصنيف لجزء عظيم من المعارف والعلوم، وفي وقت مبكر.

ووسط هذا التباين تتباعد العناصر، ويسري الخليط لإنتاج صفات موروثة من لقاء حيوانين متضادين في الخلقة والسلوك، وينتج عنها صفات جديدة في حيوان يأخذ صفات أبويه، وحديثنا ينحصر في(البغل) الذي صنف فيه الجاحظ، وأجرى عليه ثلاثة محققين، ممن أضطلعوا في دراسة تراث الجاحظ، بكل ما يمتلكون من أدوات التحقيق. آثرنا الحديث عن تأصيل مفردة(البغل) في العربية، وفي أخواتها الساميات، وفي سواها من الفصائل والمجموعات اللغوية. وبحثنا كيفية انتقال دلالات(البغل) إلى شؤون حسية ملموسة، وأخرى غير محسوسة انبثقت عن تلك الصفات التي في(البغل). وبيّنا كيف ساهمت معاجم المستشرقين في إبراز دلالات ومعانٍ تحت هذه المفردة لم تجرِ في أقلام المعجميين العرب، ثم جاء الحديث عن تصنيف الجاحظ لكتاب(القول في البغال)؛ وسبب عزل هذا التصنيف عن موسوعته (الحيوان).

أمّا التحقيق الذي أجريَ على هذا الكتاب؛ فكان عبر موازنة أجريناها على تلك التحقيقات التي ظهرت حتى الآن ـ بحسب علمنا ـ وهي على التوالي تحقيق المستشرق الفرنسي(شار بلا) ثم تحقيق(عبد السلام محمد هارون) ثم تحقيق(الدكتور علي بوملحم).

واخترنا نماذج من تلك التحقيقات، واضعين تلك النماذج نصب عين القارئ الخبير؛ ليحكم على الجودة والتواضع في حدود ما يمتلك من بصيرة في فن التحقيق، ومابين السطور تنجلي الأغبرة، بأفئدة واعية مستبصرة في قراءة المكتوب باستشفاف وروية .

المطلب الأول

البغل تأصيلا، واشتقاقا، ودلالة

أولا- استهلال:

من المفيد أنّ نلمّ بشيء من الحديث الموجز عن(البغل)، قبل دراسة اللفظ على محك التأصيل والاشتقاق والدلالة؛ وذلك تمهيدًا لتناول هذه الشؤون اللغوية التي ـ ربما- أدت إلى إضفاء صفات ومستويات تؤطر بها انبثاق المصطلح في العرف الوضعي أو بشيء مغاير يمنح الألسنة حرية استمداد المصطلح من حركة أو صفة أو كليهما؛ فيكون الأمر على مقربة من الوصول إلى التأثيل أو التأصيل والأمر متروك لعقل يستبصر ويستشف الأشياء من بين الأشياء؛ ليبقى باب الاجتهاد مفتوحًا من دون انحسار، أو حصر في مساحة ضيقة يحتكرها صفوة من الأدّعاء للبزل القناعيس .

نقول: إنّ المرويّ في الأخبار عن البغال: "إنّ أوّلَ من أنتجها قارون"[1] من حيوانين مختلفين "الحمار والفرس[2]"[3] وفي مرويّات أهل الحديث، أنّه: (أُهديت لرسول الله (ρ)) بغلة، فركبها، فقالوا: لو حملنا الحمير على الخيل لكان لنا مثل هذه، فقال رسول(ρ): (إنّما يفعل ذلك الذين لا يعلمون)، قال ابن حبّان[4]: معناه الذين لا يعلمون النهي عنه، وقال الخطّابي: يُشبه أن يكون المعنى في ذلك، والله أعلم، أنّ الحمير إذا حملت على الخيل تعطلت منافع الخيل، وقلّ عددها، وانقطع نماؤها، والخيل يحتاج إليها للركوب والعدو والركض والطلب، وعليها يجاهد العدوّ، وبها تحرز الغنائم ولحمها مأكول، ويسهم للفرس كما يسهم للرجل، وليس للبغل شيء من هذه الفضائل، فأحبّ النبي(ρ) أن ينمو عدد الخيل ويكثر نسلها لما فيها من النفع والصلاح، فإذا كانت الفحول خيلا والأمهات حميرًا فيحتمل أن لا يكون داخلا في النهي إلا أن يتأوّل متأوّل أنّ المراد بالحديث صيانة الخيل عن مزاوجة الحمير وكراهة اختلاط مائها بمائها لئلا يكون منها الحيوان المركّب من نوعين

---

(1) حياة الحيوان الكبرى:١/١٧٩.

(2) عن أبي هريرة(τ) أنّ النبي(ρ): (سمّى الأنثى من الخيل الفرس)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، باب الخيل، رقم الحديث (١٤٦٨٠): ١٢٦٤.

(3) مفردات ألفاظ القران، للراغب الأصفهاني:١٣٦.

(4) نص الحديث عن ابن حبّان: "أُهديت إلى رسول(ρ) بغلةٌ، فأعجبته، فقلنا: يا رسول الله، لو أنزينا الحُمُر على خيلنا فجاءت مثل هذا، فقال: إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون" ثم عقب ابن حبّان: (الذين لايعلمون النهّي عنه) ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، باب الخيل، رقم الحديث (٤٦٨٢): ١٢٦٤، ١٢٦٥.

مختلفين، فإنّ أكثر الحيوانات المركبة من نوعين من الحيوان أخبثُ طبعًا من أصولها التي تتولّد منها، وأشدّ شراسة كالسمع[٥]

والعسبار [٦] ونحوهما)[٧] والبغل: "حيوان عقيم ليس لـه نسلٌ ولانماء"[٨] وعن سبب عقمه، ذكروا: إنّ البغال: " كانت تتناسل، وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ــ، فدعا فقطع الله نسلها"[٩] على عكس الخيول التي يبقى نسلها، وفي نواصيها الخير والبركة إلى يوم القيامة[١٠] ولها أنساب معروفة خلّدها أهل التصانيف في تصانيف مستقلة[١١] ولا أنساب للبغال، حتى إذا " سُئل البغل عن أبيه،

[٥] السمع: ولد الذئب من الضبع، وقيل: ذكر الضبع، ينظر: نظام الغريب في اللغة، عيسى بن ابراهيم: ١٧٩، والمنتخب من غريب كلام العرب: ٥٩، والمصباح المنير، للفيومي: ١٧٥.

[٦] العسبار: ولد الضبع من الذئب، ويقال أيضا: الدَّرْوانُ، والعسبارة ـ بتاء قصيرة ــ، ينظر: نظام الغريب في اللغة: ١٧٩، والمنتخب من غريب كلام العرب: ٥٩.

[٧] حياة الحيوان الكبرى:١/١٨٥

[٨] نفسه:١/١٨٥.

[٩] نفسه:١/١٨٥.

[١٠] "منها خيول منسوبة الآباء والأمهات "، نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها:٢٨.

[١١] "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا نواصيها، وادعوا لها بالبركة"، صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦٤٤): ٤٢٦، وصحيح مسلم، رقم الحديث (٩٨٧): ٢٣٤.

ردّ خالي الحصان"[١٢] ولو نزل الفارس عن فرسه، وامتطى بغلا، لفقد معنى الفروسية، وسميّ بغّالا لا فارسا[١٣] ومولود البغل لن يعيش، وإنّ البغلة إن جاءها مولود، فهو من العجائب والغرائب[١٤] على شاكلة جمع (البغل) على (مبغولاء) إلى جانب (بغال) و(أبغل) و(بغلات) و(أبغال)[١٥].

ثانيا- الاشتقاق:

حين نوجه زمام المفاتشة صوب المعاجم اللغوية، ونستوقف الراحلة عند نصين معجمين يعودان إلى القرن الرابع للهجرة، أولهما يعود إلى الربع الأول من ذلك القرن، والثاني إلى الربع الأخير منه، بغية الموازنة بينهما، واستنطاق كل نصّ على حدة. علما أنّ الأول لعالم بصريّ، وهو ابن دريد (ت٣٢١هـ)، والآخر لعالم كوفيّ، وهو ابن فارس(ت٣٩٥هـ)[١٦] .

قال ابن دريد: " البغل معروف، واختلفوا في اشتقاقه، فقال قوم: من التبغيل، وهو ضربٌ من سير الإبل، قال الراعي يصف حادي الإبل:

---

[١٢] حياة الحيوان الكبرى: ١٧٩/١، ومن طريف ما جاء في كتاب (القول في البغال للجاحظ:٧٥)، "عجبت لقوم إذا قيل لهم: من أبوكم؟ قالوا أمنّا الفرس".

[١٣] ينظر: إصلاح المنطق: ٣٣٨.

[١٤] حياة الحيوان الكبرى: ١٧٩/١.

[١٥] الغريب المنصف: ٦٦٩/١، والمحيط في اللغة: ١٢٩/٢، والصحاح:١٣٤٢/٤، والمصباح المنير: ٣٩.

[١٦] ابن دريد من الطبقة السادسة من اللغويين البصريين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين (الزبيدي): ١٨٣- ١٨٤.، أمّا ابن فارس فهو يقتفي أثار الكوفيين، ينظر: العِقد الثمين في تراجم النحويين، للحافظ الذهبي: ٩٤.

وإذا ترقّصتِ المفاوزُ عارض ربذًا يبغلُ في خلفها تبغيلا "[١٧]

وقال زهير:

"هل تبلغين أدنى دارهم قلص يزجي أوائلها التبغيل والرمكُ"[١٨]

وقال قومٌ: بل التبغيل من الغلظ وصلابة الجسم، ويقال: نكح فلان بني فلان، فبغّلهم، أي هجنّ أولادهم"[١٩].

وعند ابن فارس: " بغل: الباء والغين واللام يدلّ على قوة الجسم؛ من ذلك البغل. قال قومٌ: سمّي بذلك لقوةِ خَلْقِهِ. وقد قالوا: سُمِّي بغلا من التبغيل، وهو ضرب من السير. والذي نذهب إليه أنّ التبغيل مشتق من سير البغل"[٢٠] وهذان النصّان ـ لابن دريد وابن فارس ـ من أقدم النصوص في إبراز صفات الغلاظة والصلابة والقوة في البغل؛ وذلك نقلا عن (قال قوم) من دون تسمية (هؤلاء القوم) ورأى من تأخر عنهما: إنّ تلك الصفات انبثقت عن البغل؛ من خلال: " التركيبة من الفرس والحمار جعل له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل"[٢١] وحين نعاود قراءة نصّ ابن دريد: "سمّي بغلا من التبغيل، وهو ضرب من السير"[٢٢] فهو ميل واضح إلى مذهبه البصري

---

[١٧] شعر الراعي النمير: ٥٠.

[١٨] شعر زهير بن أبي سلمى: ١٦٨.

[١٩] جمهرة اللغة: ٣٦٩/١.

[٢٠] معجم مقاييس اللغة: ٢٧١.

[٢١] حياة الحيوان الكبرى: ١٧٩/١.

[٢٢] جمهرة اللغة: ٣٦٩/١.

في اشتقاق الفعل من المصدر[٢٣] غير أنّ الميل إلى طريقة الكوفيين في اشتقاق المصدر من الفعل[٢٤] واضح في نص ابن فارس " إنّ التبغيل مشتق من سير الإبل"[٢٥] كأنّا بكلّ واحد منهما يسوق راحلته صوب مذهبه اللغوي، غير أننا وجدنا نص ابن دريد أكثر تداولا عند من تأخروا عنه في صناعة المعجم[٢٦] أمّا عن هذا (التبغيل) الذي هو ضرب من سير الإبل أو مشيّهِ فهو: "مشيّ فيه اختلاط بين العنق والهمجلة "[٢٧] أي "يرفق فيه"[٢٨] وهو مشيّ: " في سعة "[٢٩] أو " فيه سعة "[٣٠] .

---

[٢٣] " ذهب الكوفيون إلى أنّ المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، وذهب البصريون إلى أنّ الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٣٥/١ (المسألة:٢٨).

[٢٤] المصدر نفسه: ٢٣٥/١ .

[٢٥] معجم مقاييس اللغة: ٢٧١/١.

[٢٦] مفردات ألفاظ القران: ١٢٦، وتاج العروس، الزبيدي: ٩٦/٢٨.

[٢٧] تهذيب اللغة:١٣٩/٨، وفي صحاح الجواهري:١٣٤٢/٤ (اختلاف) عوض (اختلاط)، وفي اللسان:٤٥٤/١(اختلاف واختلاط)، وفي اللسان ١٥/٩،٣٦/٤٣٢، والعنق: ضرب من سير الدابة والإبل، وهو سيرٌ مُسْبَطِرٌ ـ منبسط ـ والهلمجة: حسن سير الدابة في سرعة وبخترة.

[٢٨] لسان العرب:٤٥٤/١، وتاج العروس: ٩٣/٢٨.

[٢٩] لسان العرب:٤٥٤/١، وتاج العروس: ٩٣/٢٨.

[٣٠] تاج العروس: ٩٧/٢٨.

المطلب الثاني

دلالات المفردة في المعاجم

أولاـ في المعاجم العربية:

لقد أوردت المعاجم العربية معاني تحت مفردة (بغل)، مثل القوة والصلابة، والتهجين، وحمل المتاع في مناظرة واضحة بين صفات وخصائص هذا الحيوان وأخرى انبثقت من رحم هذه الصفات والخصائص. فجاءت المعاجم العربية تلمع إلى الدلالات التي اصطبغت بها في سياقات العرف أو الأمثال، ومن ذلك:

١ــ التهجين: قالوا: "ونكح فيهم فبغّلهم: هجّن أولادهم. وتزوّج فلان فلانة فبغّل أولادها إذا كان فيهم هجنة، وهو من البغل؛ لأنّ البغل يعجز عن شَأوِ الفرس[٣١] "[٣٢] .

٢ ـ الشدّة في السير: وهذا الشأن يتضح في شعر كعب بن زهير:

فيها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ[٣٣]

فهو " تفعيل من البغل كأنه شبه سيرها بسير البغل لشدته"[٣٤] .

---

[٣١] في اللسان: ١٠/٢٢(الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى في ذلك سواء، ولا يقال للأنثى فرسة).

[٣٢] جمهرة اللغة: ٣٦٩/١، والمخصص، ابن سيدة: ٢٧٠/٣،وأساس البلاغة، للزمخشري: ٦٩/١.

[٣٣] شرح ديوان كعب بن زهير: ١٥، وصدر البيت: ولن يبلّغها إلاّ عذافرة .

[٣٤] لسان العرب: ٤٥٤/١.

٣ـ البلادةَ والإعياء في المشي: بقولهم: " وبغّل تبغيلا: بلد وأعيا في المشي، وهو مجاز "[٣٥] ومن العرب من يضم الغين " وبغُل الرجل، ككرُم، بغولةً: تبلّد"[٣٦] أو "بلُد"[٣٧] بعبارة أخرى: " وبغلتُ في المشي: بلَّدت وأعييتُ"[٣٨] .

٤ ــ الطريق الصعب: حين قالوا: "طريق فيه أبوال البغال: أي صعبٌ"[٣٩] .

٥ـ العاقر: في الأمثال: "فلانة اعقرُ من بغلة" [٤٠].

٦ـ النسب الفاسد، وصور الانحطاط واللؤم والخبث والأنذال: بقولهم: " البغلُ نغل: وهو له أهلٌ: أي: ابن زنية"[٤١] و" يضرب لمن لؤُم أصله فخبث

---

[٣٥] تاج العروس:٢٨/٩٦، والمحيط في اللغة، الصاحب بن عباد:٢/١٢٩.

[٣٦] أساس البلاغة: ١/٦٩.

[٣٧] نفسه:١/٦٩.

[٣٨] تاج العروس:٢٨/٩٦، وأساس البلاغة:١/٦٩.

[٣٩] أساس البلاغة:١/٦٩.

[٤٠] مجمع الأمثال، للميداني:٢/٤٤، والمستقصى في الأمثال، للزمخشري: ١/٢٥٠، والدرة الفاخرة، حمزة بن حسين الأصبهاني:١/٢١٨، وفرائد الخرائد في الأمثال، لأبي يعقوب يوسف الخويّي:٩٣.

[٤١] مجمع الأمثال: ١/١٠٦.

فعلـه"[٤٢] كـذلك " هـو مـن الثـور أبغـل، ومـن الحمـار أنغـل"[٤٣] وقيـل: " فـي صفة النذل: وهو بغل"[٤٤] .

٧ـ الجاريـة: وإذا كانت الحسناءُ لاتعدم ذامّا في مضرب الأمثال [٤٥] فـابن نـاهق[٤٦] لايعدم مادحًا يطريـه ويعرّفـه؛ ليزيـل بعض الغبن عن كاهلـه المرهق بصفات السلب المشينة؛ وذلك بشهادة الروايـة عـن أبنـاء الكنانـة ـ مصر ـ حين قالوا: "اشترى فلان **(بغلة)** حسناء، يريدون جارية"[٤٧] .

ثانيا ـ دلالات أُخر في معاجم المستشرقين، وشيء من التأصيل:

إنّ ما نفتقر إليه في المكتبـة المعجمية العربيـة، هو المعجم التاريخي؛ علـى الرغم مما قدمـه علماؤنـا من الروّاد من جهود معجميـة تضـاهي عمل المؤسسات والمجاميع العلمية . وعلى هذا لاعيب من الإقرار بتلك الجهود التي قدمها المستشرقون في تكملة الصناعة المعجمية ـ على اختلاف نيّاتهم ـ

---

[٤٢] نفسه: ١٠٦/١.

[٤٣] تاج العروس ٩٦/٢٨، ومجمع الأمثال: ١٠٦/١.

[٤٤] مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٦.

[٤٥] مجمع الأمثال: ١٥٣/٣، ومعجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة، الدكتور محمد موسى الشريف: ١٦٨.

[٤٦] من كنى البغال: "أبو الحرون، وأبو الأثقال، وأبو الأشجع، وأبو الصقُر، وأبو قضاعة، أبو قوص، وأبو كعب، وأبو مختار، وأبو ملعون، وابن ناهق"، معجم أسماء الأشياء، أحمد بن مصطفى الدمشقي: ٩٠.

[٤٧] أساس البلاغة: ٦٩/١، وتاج العروس: ٩٦/٢٨، وتكملة معجم تاج العروس، وهيب دياب: ٩٠.

وهنا حريّ بالذكر عدم إغفال عمل المستشرق (أوجست فيشر ١٨٦٥ـ ١٩٤٩) الذي يعدُّ رائدا في وضع (المعجم اللغوي التاريخي)، والمؤسف عدم إتمامه هذا العمل؛ وذلك لصدور جزء منه، وهو الخاص بـ (حرف الهمزة)[٤٨] والذي نتلمسه في جهود المستشرقين هو منحى جديد في التعامل مع المفردة العربية؛ وذلك في محاولة بتأثيلها ـ تأصيلها ـ ومعرفة جذورها التاريخية أما ما يخصّ مفردة البغل عند هؤلاء المستشرقين، فإنك تستشف تأصيلا ودلالات ومن هذه الجهود:

١- مفردة (بغل)، قد دخلت العربية عن طريق اللغة السبئية[٤٩].

٢- البقل ـ بالقاف ـ أي: البغل، من أصول حبشية[٥٠].

٣- مفردة (بغل) متداولة في اللغة البربرية[٥١] وعن البربرية انبثقت دلالات:

أ - بغلة: تطلق على "سفينة كبيرة تحمل أكثر من خمسين طنًا"[٥٢].

ب - بغلي: تطلق على "السمنت أو الملاط، وهو خليط من الرمل والكلس"[٥٣].

---

[٤٨] المعجم اللغوي التاريخي، فيشر: القسم الأول من أول حرف الهمزة إلى أبد.

[٤٩] القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، الدكتور خالد إسماعيل:٥٦.

[٥٠] نفسه:٥٦.

[٥١] تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي: ٣٨٧/١.

[٥٢] نفسه:٣٨٧/١

[٥٣] نفسه:٣٨٧/١

جـ- بغلية: تطلق على " حمّالة أومسند صانع الشرائط المحيكة من خيوط حرير وذهب وفضة"[٥٤] أو "منضدة طويلة ضيقة يوضع عليها الفراش وأدواته أثناء النهار"[٥٥] .

ونؤثر إلحاق هذه الدلالات التي جاءت في الجهود المعجمية للمستشرقين بجهد أحد دارسينا المحدثين الذي قام بعمل أسماه (تكملة معجم تاج العروس)؛ وذلك في حديثه عن (البغلة) إذ جاءت المفردة تحمل دلالة "دعامة تبنى في ظهر الحائط تحفظه من الميل أو السقوط"[٥٦] واستشهد ببيتين من غير نسبتهما، وهما:

لك وجهٌ وفيه قطعةُ أنفٍ كجدارٍ قد ادعموه ببغلةْ

هو كالقبرِ في المثالِ ولكنّ جعلوا وجههُ على غيرِ قبلةْ[٥٧].

---

[٥٤] نفسه: ١/٣٨٧

[٥٥] نفسه: ١/٣٨٧

[٥٦] تكملة معجم تاج العروس: ٤٠.

[٥٧] نفسه: ٤٠، ورواية البيتين في ديوان ابن سناء الملك: ٥٩٢، هكذا:

لك وجهٌ وفيه قطعةُ أنفٍ كجدارٍ قد ادعموه بِنَغْلَةْ

هو كالقبرِ في المنازلِ ولكنّ جعلوا نصبهُ على غيرِ قبلةْ

المطلب الثالث

حكاية الجاحظ في تأليف (البغال)

لم يكن الجاحظ (ت٢٥٥هـ) من أوائل الذين صنّفوا كتابًا يحمل عنوان (الحيوان)؛ إذ نقرأ نصًا عند ابن النديم (ت٤٣٨هـ)، وفي مسارد تصانيف أبي عبيدة(ت ٢١٥هـ)، بأنّ لأبي عبيدة كتابًا يحمل عنوان (الحيوان)[٥٨]؛ لكن المؤسف عدم وصول كتاب أبي عبيدة؛ ليتسنى للمطلع معرفة محتواه، أو منهج التأليف قبل الجاحظ .

ومما له صلة بالموضوع، إنّ التصنيف عن كلِّ حيوان في رسالة مستقلة، هو الآخر أسبق عهدًا من تصنيف الجاحظ لكتاب (البغال) في تصنيف مستقل من دون إدراجه في ضمن موسوعته(الحيوان). وسوف تأتي حكاية هذا التأليف.

نقول: إنّ العلماء قبل الجاحظ وضعوا كتبًا أو رسائل مستقلة تناولت الخيل، والإبل، والحشرات، والطير، والوحوش، والشاء...، فتحدثوا عن أسماء هذه الحيوانات، وكناها، وصفاتها، وما يتعلق بكل حيوان على حدة في ضمن تصنيف مستقل[٥٩] غير أنّ كتاب الحيوان للجاحظ، هو "أكبر كتاب أُلّف في اللغة العربية في موضوع الحيوان، وهو في الوقت نفسه أول كتاب في الأدب جامع وضع في العربية أيضا، ألفهُّ الجاحظ قبل سنة ٢٣٣هـ؛ وذلك أنّه أهداه إلى الكاتب الأديب محمد عبد الملك الزيات وزير المعتصم ثم الواثق من

---

[٥٨] ينظر الفهرست، ابن النديم:٥٩.

[٥٩] نفسه:٥٠، ٦٤، ٢٥٧، ٢٧٧.

بعده. وقد نكب الوزير ابن الزيات ومات سنة (٢٣٣هـ)، في أول خلافة المتوكل"[٦٠] وموضوع الكتاب: " هو الكلام عن الحيوان كما يوحي به اسم الكتاب. ولكنّ هذا الموضوع ليس غاية الكتاب، وإنّما هو وسيلة إلى الكلام في الأدب في حقيقة الأمر . ولو رجعنا إلى الكتاب، ونظرنا فيه، وقرأنا طرفًا منه لتبيّن لنا هذا الأمر على حقيقته. والسبب في ذلك هو أنّ الجاحظ أديب لا عالم من علماء الحيوان؛ فلذلك جاء الكتاب غنيًا بأخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم وأقاصيصهم ونوادرهم، وحافلا بالمعارف التاريخية والفلسفية والكلامية والجغرافية والطبية فوق المعلومات الوفيرة في طباع الحيوان . وفي الكتاب مع ذلك أيضًا أقوال مستفيضة في آيات القران الكريم وأحاديث الرسول(ρ)، ومسائل الفقه والدين، وغير ذلك من ثقافة الهند والفرس واليونان وأخبارهم"[٦١] من دون إهمال للناحية اللغوية فهو يتعرض للألفاظ بالشرح والتفسير والاستشهاد. والكتاب بمجمله: " يدلّ على سعة ثقافة الجاحظ، إذ شمل النواحي العلمية والأدبية أولا، واللغوية ثانيا، وأُشبه في احتوائه على أنواع الحيوان التي أفردها اللغويون برسائل مستقلة "[٦٢] واعتمد على روافد خمسة في بناء هذا الكتاب، هي: "القرآن وحديث الرسول(ρ)، ... الشعر العربي، ... كتاب الحيوان لأرسطو، ... الكلام الذي ولّدهُ المعتزلة، ...، الخبرة الشخصية "[٦٣] والغريب ألاّ يتناول الجاحظ في هذه الموسوعة

---

[٦٠] المكتبة العربية، الدكتور عزة حسن: ٢٣٨/١.

[٦١] نفسه: ٢٣٨/١.

[٦٢] الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين: ١٩٧.

[٦٣] الحيوان (تح: هارون) ١٨/١- ٢٤.

المخصصة للحيوان، ألاّ يتناول البغل في باب مستقل أو مقالة تخص هذا الحيوان أسوة بما فعل مع كل حيوان خصّه بحديث مستقل في مبحث أو باب. وهذا لايعني خلو كتاب الحيوان للجاحظ من ذكر البغل تماما؛ وإنّما جاءت المعلومات عن البغل متناثرة في أبواب شتّى في ضمن حديث يشترك أو يفترق فيه الحيوان في هذا الباب مع البغل في صفة من الصفات أي: أورد الجاحظ صفات وخصائص وبعض الشؤون عن البغل مبثوثة مع حيوانات أخرى في أبوا ب متفرقة؛ وهي شؤون تعد من المشتركات أو من المفترقات بين هذا الحيوان والبغل على محك من المقاربة والمقارنة؛ وعلى سبيل المثال: " وكذلك البغل: خرج من بين حيوانين: (بين الرمكة والحمار) "[٦٤]، وحين الحديث عن الأعضاء التناسلية، قال الجاحظ: " إنّ أكبر أيور الحيوان أير الفيل وأصغرها قضيب الضبي .وقضيب البط، لا يذكر مع هذه الإشكال، وليس على قدره مقدار جسمه أعظم أيرًا من البغل"[٦٥] .

وبهذه الطريقة، وفي ضمن هكذا سياقات كان يأتي ذكر البغل في مواضع شتّى من موسوعة الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، أمّا حكاية تأليف الجاحظ لكتاب **(القول في البغل)** في كتاب مستقل أو رسالة مستقلة . فالجاحظ تكفل برواية الحكاية في مقدمة الكتاب، بالقول: " كان وجه التدبر في جملة القول في البغال، أن يكون مضموما إلى جملة القول

---

[٦٤] نفسه (تح: الشيخ) ٢/٢٥٨، ٧/١٤٩٧.

[٦٥] نفسه (تح: الشيخ):١/٢٠٠،١٨٧،١٤٢،٩٩،٩٢،٧٧،٧٤، ٢/٤٠٨،٢٥٨، ٣/٥٢٥،٥٢٢،٥٠٥، ٤/٦٧٩، ٥/٩٧٠،١٠٨٥، ٧/١٤٠٦.

في الحافر كله، فيصير الجميع مصحفًا، كسائر مصاحف (كتاب الحيوان)، والله المقدّر والكافي"[٦٦] ثم أخذ يسرد أسباب منع ضمّ هذا الكتاب إلى كتاب (الحيوان)، فيفصح بوضوح: " منع في ذلك ما حدث من الهم الشاغل وعرض من الزمانة [٦٧] ومن تخاذل الأعضاء وفساد الأخلاط، وما خالط اللسان من سوء النسيان، والعجز عن الإفصاح، ولن تجتمع هذه العلل في إنسان واحد، فيسلم معها العقل سلامة تامة. وإذا اجتمع على الناسخ سوء إفهام المُملَي، مع سوء تفهّم المستملي، كان ترك التكلف لتأليف ذلك الكتاب أسلم لصاحبه من تكلف نظمه على جمع البال، واستفراغ كل القوىّ "[٦٨]، وفي نص الجاحظ بينونة كبرى لقطع سبيل الاجتهاد على كل متأوّل مع صريح النصّ في الإفصاح .

المطلب الرابع

تحقيق كتاب البغال

صدرت خلال أربعة عقود من الزمن ثلاثة تحقيقات لمخطوط (البغال) من تصنيف الجاحظ. كان المستشرق الفرنسي (شارل بلا) هو الذي له الريادة والسبق في إخراج تحقيق الكتاب للمرة الأولى في عام ١٩٥٥م، ثم

---

[٦٦] كتاب القول في البغال(مقدمة بلا):٩ـــ ١٠، ورسائل الجاحظ (مقدمة هارون):١٢٦/٢، وكتاب البغال (مقدمة بوملحم):١٩ ـ٢٠.

[٦٧] الزمانة: العاهة، لسان العرب :٨٧/٦.

[٦٨] كتاب القول في البغال (مقدمة بلا): ٩ ـــ ١٠، ورسائل الجاحظ (مقدمة هارون):١٢٦/٢، وكتاب البغال (مقدمة بو ملحم):١٩ ـ ٢٠.

جاء تحقيق عبد السلام محمد هارون في عام ١٩٦٥م، ثم جاءت ثالثة الأثافي أو الأثاثي على يدي الدكتور علي بوملحم في عام ١٩٩١م.

وقبل عقد الموازنة بين هذه التحقيقات، نودّ إبراز ما جاء من حديث في مقدمة كل تحقيق على حدة وعلى النحو الآتي:

أولًا- تحقيق شارل بلا[٦٩]:

صدر عام ١٩٥٥م أوّل تحقيق لتصنيف بعنوان (القول في البغال) لمصنفّه الجاحظ . حققه المستشرق (شارل بلا)، عن مطبعة الحلبي ـ القاهرة، ثم صدر التحقيق نفسه عن دار الجيل عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ونقرأ في تصدير الكتاب: "هذا الكتاب غنيٌّ بتنوّع موضوعاته، إذ يعرض صاحبه كلّ مالـهُ علاقة بالبغال، وما وضع حولها من أشعار كما يستطرد

---

[٦٩](شارل بلا١٩١٤) من مواليد الجزائر، حصل على شهادات كثيرة منها شهادة لغة البربر من كلية الآداب بجامعة الجزائر (١٩٣٨)، ودكتوراه آداب من جامعة باريس (١٩٤٦ و١٩٥٠)، وعيّن أستاذا في معهد مراكش (١٩٣٤ ـ١٩٣٥)،ومديراً للدراسات الإسلامية في جامعة باريس ـ السربون (١٩٧٢)،وعمل عضواً في مجلة الإسلام والعصر الوسيط الصادرة في دلهي باللغة الإنكليزية (١٩٧٠)، ألقى محاضرات بالعربية في (السنغال، وموريتانيا، والمغرب، وتونس، وليبيا، ولبنان، ولأردن، وسوريا، والعراق، والسعودية، والهند، وباكستان، ...)، وأكثر موضوعاته عن (أدب العرب وحضارتهم) و (آثار خاصة بالجاحظ) و(ونشر النصوص الجاحظية) و(وآثار خاصة بالمسعودي) و(في الآثار الشعرية) و(أسبانية الإسلامية والمغرب، والفصحى، واللهجة العربية، ...) وشارك مع سواه من المستشرقين في نشر الطبعة الجديدة من (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ـ ليدن:١٩٥٧)، المستشرقون، عقيقي:١/٣٥٣ ـ ٣٥٩.

كعادته في كتبه الأخرى، إلى مسائل لغوية وفقهية وأدبية واجتماعية "[٧٠] وهذا الكتاب الذي تصدّر طبعة (بلا) يلمع بوضوح أنّ الجاحظ: " وفي أواخر عمره، عندما كان مصابًا بزمانة جعلته متخاذل الأعضاء عاجزًا عن الإفصاح، كما يشير قوله إلى أنّه رغب في إضافة عملهِ هذا إلى ما عالجهُ في كتاب الحيوان"[٧١] ويعضد الجاحظ هذا الكلام في مقدمته لكتاب البغال:" كان وجه التدبير في جملة القول في البغال أن يكون مضمومًا إلى جملة القولِ في الحافرِ كلّهِ، فيصير الجميع مصحفًا واحدًا، كسائر مصاحف كتاب (الحيوان) وقد منع من ذلك ما حدث من الهمّ الشاغل، وعرض من الزمانة، ومن تخاذل الأعضاء، وفساد الأخلاط، وما خالط اللسان من سوء البيان، والعجز عن الإفصاح"[٧٢]، وبهذا يكون الجاحظ بيّن نقطتين:

الأولى: إنّ زمن تصنيف البغال تأخر عن موسوعته عن الحيوان، وهو في أخريات عمره ـ والله أعلم ـ

الثانية: إنّ المرض قد منعه من عدم التفرغ لهذا التصنيف في حينه، وحال دون ضمّه لكتاب الحيوان .

وقد نوّه تصدير الكتاب إلى أنّ تحقيق (بلا) قد أُجري على نسخة فريدة من المخطوطة المحفوظة " في مكتبة

---

[٧٠] القول في البغال (بلا):٨.

[٧١] نفسه:٩.

[٧٢] نفسه: ٨.

داماد إبراهيم باشا تحت رقم (٩٤٩) و(القول في البغال) يبتدئ على ظهر الورقة ١٩٧، وينتهي على ظهر الورقة (٢٣١)، وقد أشير إلى ذلك في متن الكتاب حيث ذكر الحرف (و) أي (وجه) أو حرف (ظ) أي (ظهر) إلى جانب رقم الورق"[٧٣] .

غير أنّ المؤسف في عملية تحقيق (بلا) غياب فقرة واضحة تكشف لنا عمل (بلا) في التحقيق؛ إذ لا نجد تفاصيل عن المخطوط: حجمه، قياسه، عدد السطور في كل صفحة، تاريخ كتابة المخطوط، نسخته الأصلية، ناسخهُ، المداد الذي كتب به، تعليقات أو حواشٍ ـ وجدت ـ عليه، وشؤون أخرى معروفة عند أهل الدراية والخبرة والمراس في مجال التحقيق . أمّا كيف يمكن الاهتداء إلى قراءة منهج (بلا) في تحقيق كتاب (البغال)، فيمكن أن نستقرئ ذلك من خلال الحواشي التي علّق من خلالها على متن الكتاب في كل صفحاته . وهذا الشأن سوف نتطرق إليه في فقرة الموازنة بين التحقيقات في نهاية هذه الدراسة .

ثانيًا تحقيق عبد السلام هارون:

قام عبد السلام محمد هارون بتصوير مجموعة (داماد) سواء تصوير الصفحة الأولى من هذه المجموعة أم الصفحة الأخيرة؛ وذلك في مقدمة تحقيقه لرسائل الجاحظ، ثم قام بإعداد فهرسة شاملة لمحتويات المجموعة ـ في ضمنها كتاب القول في البغال ـ[٧٤] وحقيق بالذكر بأنّ مجموعة (داماد)

---

[٧٣] نفسه: ٨

[٧٤] رسائل الجاحظ (هارون):١/١٥.

هي (٤٥) رسالة، وفي ضمن مجلدين اثنين، يحوي كل مجلّد جزأين؛ فيكون المجموع الذي أصدره (هارون) أربعة أجزاء. وجاء تسلسل كتاب (القول في البغال) في ضمن التسلسل (١٦)، وفي ضمن الجزء الثاني من المجلّد الأول من المجموعة[٧٥] وذكر هارون: وله أصل واحد هو نسخة مكتبة داماد، وعنوان فيها: كتاب (القول في البغال)، وقد ذكر الدكتور داود الجلبي في (مخطوطات الموصل صفحة ٢٦٤ ـ ٢٦٥) في مجموعة رسائل الجاحظ التي كانت محفوظة في مكتبة أمين بن أيوب الجليلي بالموصل نسخة أخرى من هذا الكتاب عنوانها: (كتاب البغال ومنافعها). ولكنّ المؤسف أنّ تلك المجموعة قد فقدت بعد وفاة صاحبها ولم نهتدِ إلى الآن إلى موضعها[٧٦] ثم عقّب هارون: " وقد نشره عن نسخة داماد للمرة الأولى المستشرق: (شارل بلا)... وعلّق عليه تعليقات مفيدة، ولكنّه وهم كثيرا من الوهم في قراءة نسخة داماد ..."[٧٧] ومعلوم أنّ تحقيق هارون جاء بعد عقد من الزمن عن تحقيق (بلا)، إذ صدر تحقيق (هارون) عام ١٩٦٥م، في الوقت الذي صدر تحقيق(بلا) عام ١٩٥٥م. غير أنّ (هارون) لم يُصدر تحقيقه في كتاب مستقل، وإنما ألحق هذا التحقيق لكتاب البغال بمجموعة (رسائل الجاحظ)، وهي المجموعة التي حققها (هارون) في أربعة أجزاء، وفي ضمن مجلدين. جاء المجلد الأول في (١٧) سبع عشرة رسالة، وفي ضمنها (البغال) يحمل تسلسل (١٦). أمّا المجلد الثاني فجاء في (٢٩) تسع

---

[٧٥] نفسه ٢/١٢٥ ـ ٣٤٣.

[٧٦] نفسه ٢/١٢٥.

[٧٧] نفسه:٢/١٢٥.

وعشرين رسالة، ليكون مجموع (رسائل الجاحظ) بتحقيق هارون في (٤٥) خمس وأربعين رسالة.

قال هارون في تقديم الجزء الخاص بتحقيق كتاب القول في البغال: وهذا هو الكتاب السادس عشر من مجموعة رسائل الجاحظ، وله أصل واحد هو نسخة مكتبة داماد، وعنوانه فيها: كتاب (القول في البغال)، وقد ذكر الدكتور داود الجلبي في (مخطوطات الموصل صفحة ٢٦٤ ـ٢٦٥) في مجموعة رسائل الجاحظ التي كانت محفوظة في مكتبة أمين بن أيوب الجليلي بالموصل نسخة أخرى من هذا الكتاب عنوانها: كتاب (البغال ومنافعها)، ولكنّ المؤسف أنّ تلك المجموعة قد فقدت بعد وفاة صاحبها ولم نهتدِ إلى الآن إلى موضعها .

ولم يذكر هذا الكتاب أحدٌ ممن ترجم للجاحظ، ولا أجرى له ذكرًا فيما سلف من كتبه. ولكن الكتاب ينطق بلاريب أنّه من تأليف الجاحظ، ينطق أسلوبه ومنهجه، وتنطق رجاله وحوادثه بأنّه للجاحظ،لا ريب عندي في ذلك[٧٨] وبهذه العبارة، يكون (هارون) قطع بنسبة الكتاب إلى الجاحظ . ثم يواصل القول: "وقد نشره عن نسخة داماد للمرة الأولى المستشرق (شارل بلا) في مطبعة الحلبي سنة ١٣٧٥هـ وعلق عليه تعليقات مفيدة، ولكنه وهم كثيرًا من الوهم في قراءة نسخة داماد. وقد كتبت في ذلك بعض تصحيحات نشرتها في مجلة معهد المخطوطات العربية (عدد شوال ١٣٧٥هـ) في الجزء الأول من المجلد الثاني، فليرجع إليه. وقد أمكنني أن استدرك في نشرتي هذه

---

[٧٨] نفسه ٢/١٢٥.

أضعاف ما نشرته من قبل في مجلة المعهد ورمزت إلى نشرته بالرمز (ط). ويفهم من مقدمة الجاحظ لهذا الكتاب أنّه ألّفهُ بعد كتاب الحيوان، أي أنّه ألّفهُ وهو مفلوج أيضًا"[٧٩] .

ثالثا ـ تحقيق الدكتور بوملحم:

عن منشورات دار ومكتبة الهلال عام ١٩٩١م، صدرت الطبعة الأولى من كتاب (البغال) للجاحظ، بتقديم وتبويب وشرح الدكتور علي بو ملحم. استهل الدكتور بوم ملحم الكتاب بالقول: "ألّف الجاحظ كتاب (البغال)؛ ليضمّه إلى كتاب الحيوان، بحيث يكون قسمّا منه متمِّما لسائر أقسامه"[٨٠]. واعتمد في قوله على قول الجاحظ في مقدمة (البغال): "كان وجه التدبير في جملة القول في البغال أن يكون مضمومًا إلى جملة القول إلى الحافر كلِّه، فيصير الجميع مصحفًا تامًّا، كسائر مصاحف الحيوان"[٨١] ثم تحدث الدكتور بوملحم عن أسباب عزل الجاحظ هذا التصنيف (البغال) عن موسوعة الحيوان؛ وهي الأسباب التي ذكره الجاحظ، في مقدمتها المرض غير أنّ الدكتور بوملحم وجد أنْ يفي لقول الجاحظ "أن يكون مضمومًا إلى جملة القول إلى الحافر كلّه"[٨٢] فانبرى هذا الإيفاء قائلا" وإذا كان الجاحظ التمس لنفسه عذرًا فتعلّل بالمرض والهمّ الشاغل، فما هي علّة ناشري كتب الجاحظ الكثر في عدم ضمّ (البغال) إلى كتاب (الحيوان). بحيث يكمل واحدها الآخر؟

---

[٧٩] نفسه: ١٢٥/٢.

[٨٠] كتاب البغال (بو ملحم): ٥.

[٨١] نفسه: ١٩.

[٨٢] نفسه: ٥.

إنــي أرغـبُ إلــى الناشـرين فــي ضـمّ (البغـال) إلــى كتــاب (الحيـوان)، أو إلحاقـه بـه تلبيـة لرغبـة المؤلـف ذاتـهِ وخدمـة للعلـم "[٨٣] وهـو كـلام يحمل جانبا من الصواب الذي يعضّده المنطق في إضافة الشـيء إلـى جنسـه، ولكن الطريف هو تحقيق الدكتور بوملحم كتاب (البغال) في تصنيف مستقل كما جاء عن الجاحظ ثم الدعوة إلى ضمّه إلى كتاب الحيوان الذي حققّه أكثر من محقق[٨٤] ثم يجب ألاّ نغفل شيئا على جانب من الأهمية في منهج الجاحظ الذي أسهب في الحديث عن البغال من خلال (١٥) خمسة عشر بابا، وهو أمرٌ لم يفعله مع بقية الحيوانات في كتابه (الحيوان).

ومما قاله الدكتور بوملحم بصورة نقد واضح موجه للمحقق عبد السلام هارون ـ الذي حقق معظم تراث الجاحظ ـ ما يجب معرفته عن (رسائل الجاحظ): بأنّ هذه الرسائل ثلاث مجموعات مستقلة: (مجموعة الرسائل الكلامية) و(مجموعة الرسائل السياسية) و(مجموعة الرسائل الأدبية) ... [٨٥] معقبا: " ولم ندرج فيها كتاب البغال كما فعل عبد السلام هارون؛ لأنّه ليس رسالة سياسية أو كلامية أو أدبية وآثرنا جعله ملحقا بكتاب (الحيوان)؛ لأنّه يشكل في الواقع جزءا لا يتجزأ منه،؛ وبذلك نكون قد أكملنا عمل كل من (بلا) وعبد السلام هارون ووضعنا العمل في نصابه"[٨٦] ثم "إننّا قمنا بعمل

---

[٨٣] نفسه: ٥.

[٨٤] على سبيل المثال (فوزي عطوي، محمد باسل عيون السود، إيمان الشيخ محمد مع غريد الشيخ محمد،..).

[٨٥] كتاب البغال (بوملحم):٦.

[٨٦] نفسه:٦.

آخر هو إعادة النظر بتبويب الكتاب. إنّ العناوين التي وضعت لأبوابه في طبعة عبد السلام هارون غير دقيقة ولا تنطبق جيدا على الأفكار التي تندرج تحتها، فرأينا من الخير إجراء تعديل فيه"[٨٧] وكنّا نودّ من الدكتور بوملحم إبراز ملامح ومزايا وما يرى من مآخذ على تحقيق (بلا) و(هارون) بشكل أكثر رسوخا ووضوحا وما استحسنه عند هذا، ولم يستحسنه عند ذلك ـ وهل أضاف هو الآخر ـ بوملحم شيئا جديدا على تحقيق الكتاب . ثمّ لو ضمّ بوملحم كتاب (البغال) ـ وهو معنيٌ بتراث الجاحظ ـ كسلفيه (بلا) و(هارون)، لأغناه عن توجيه النقد الذي لا يسلم منه هو الآخر. ولا ندري كيف تغافل بو ملحم تلك النقدات التي نالت من تحقيق (بلا) بقلم هارون القائل: " وقد نشره عن نسخة داماد للمرة الأولى المستشرق: (شارل بلا) في مطبعة الحلبي سنة ١٣٧٥هـ وعلق عليه تعليقات مفيدة؛ ولكنّه وهم كثيرا من الوهم في قراءة نسخة داماد. وقد كتبت في ذلك بعض التصحيحات نشرتها في مجلة معهد المخطوطات العربية (عدد شوال ١٣٧٥هـ) في الجزء الأول من المجلد الثاني، فليرجع إليه . وقد أمكنني في نشرتي هذه أضعاف ما نشرته من قبل في مجلة المعهد ورمزت إلى نشرته بالرمز (ط)"[٨٨] وحين الموازنة في الفقرة التالية ـ يمكن للمتلقي الحصيف معرفة نقاط القوة والضعف عند المحققين الثلاثة الذين تم تقديم شيء عن نشرة كل منهم من خلال مقدماتهم.

---

[٨٧] نفسه: ٦.

[٨٨] رسائل الجاحظ (هارون):٢/١٢٥.

المطلب الخامس

الموازنة بين التحقيقات الثلاثة

نؤثر إجراء موازنة بين التحقيقات الثلاثة من خلال فقرات تتناول (المخطوطة) و(نسبة الأبيات) والخلاف (ما بين المتن والحاشية) و(ترجمة الأعلام) و صناعة (الفهارس الفنية) ثم (عناوين الأبواب)؛ وذلك للوقوف على ترجمة كلّ محقق على حدة، وما يحمل عمله من توثيق أو تشويق، والأمر متروك لكلّ قارئ خبير في هذا الشأن، ولكلّ دارس يهمّه أمر التحقيق بأدواته المعروفة في هذا المجال .

أولا ـ المخطوطة:

لم نعثر على خطة أو منهج في نشرة (شار بلا) يوضّح لنا عمله في تحقيق الكتاب؛ على شاكلة تصوير المخطوطة، أو تفاصيل عنها من حيث الحجم وعدد السطور في اللوحة أو الصفحة، ولا المداد الذي كتبت به المخطوطة أو أي مقاس لغلاف أو صفحة، أو ما هو معروف ومألوف في آلية التحقيق. وحريّ بالذكر إنّ الإشارة إلى تاريخ كتابة المخطوطة، ومن كتبها أو قرأها، أو استنسخها؛ فهي من المزايا التي تمنح التحقيق شيئا من المشروعية والمنزلة العلمية. وهنا نودّ شكر جهة التصدير التي استدركت في آخر سطورها، ما ذكرت: "إنّ الكتاب محقق على نسخة مأخوذة من مخطوطة محفوظة في مكتبة داماد إبراهيم باشا رقم ٩٤٩ و(القول في البغال) يبتدئ على ظهر الورقة ١٩٧ وينتهي على ظهر الورقة ٢٣١. وقد

أشير إلى جانب رقم الورقة "[٨٩] وقد أشار (الدكتور بو ملحم) إلى اعتماد (شارل بلا) على هذه النسخة: "وقد نشر كتاب البغال للمرة الأولى سنة١٩٥٥م على يدي المستشرق الفرنسي شارل بلا؛ وذلك في مطبعة الحلبي بالقاهرة . وبعد عشر سنوات نشره عبد السلام هارون ضمن (رسائل الجاحظ) وتولت طبعه مكتبة الخانجي بالقاهرة، واعتمد على نسخة مكتبة داماد (٩٤٩). وأشار الناشران إلى أنّ للكتاب أصلا آخر موجودا في مخطوطات الموصل رقم ٢٦٥"[٩٠] كذلك أكد (هارون) اعتماد (بلا) ـ في تحقيقه ـ على (نسخة داماد للمرة الأولى،...، مطبعة الحلبي سنة١٣٧٥هـ، وعلّق تعليقات مفيدة "[٩١] والسؤال كيف نستقرئ منهج (بلا) في تحقيق المخطوط ؟ والجواب: هو أمرٌ يمكن استنباطه أو ملاحظة جوانب منه من خلال تلك الحواشي التي صاغها أسفل نصوص البغال . وهي حواشٍ زخرت بها نصوص الكتاب من أول صفحة إلى آخر صفحة؛ مما يلمح بوضوح إلى قراءة (بلا) للمخطوط، وتسجيله ملاحظات على فقرات المتن، وإيراد عبارات عن أصل المخطوط ـ ومما اجتمع في تلك الحواشي بقلم (بلا)، وهو يقرأ المخطوط: (والصحيح، مطموس في الأصل، كذلك في الأصل، وردت في الأصل، في الأصل، بياض في الأصل، سقوط في الأصل، ممحو في الأصل، ساقط في الأصل، ساقطة في الأصل، سقط آخر الكلمة، سقطت

---

[٨٩] كتاب القول في البغال (بلا): ٨.

[٩٠] كتاب البغال (بو ملحم):٦.

[٩١] رسائل الجاحظ (هارون):١٢٥/٢.

كلمة في الأصل، سقط من الأصل على ما يظهر، الأصل مشوّش، مشوّش في الأصل"[٩٢] .

وحين نعرِّج على تحقيق (هارون)، نجده يقوم بتصوير الصفحة الأولى من مجموعة(داماد) ثم الصفحة الأخيرة من المجموعة نفسها؛ ثم الحديث عن هذه المجموعة تحت عنوان " مجموعة داماد وهي نسخة الأصل"[٩٣] وهي المجموعات المتناثرة في المكتبات العامة، ومنها مكتبات تركيا التي حوت مقدارا ضخما من أنفس الكتب العربية، فكانت من سعادة (هارون): "وكان مما أسعدني أن أعثر على هذه المجموعة الجليلة القدر التي صوّرها معهد المخطوط بعناية الأخ رشاد عبد المطلب من مكتبة داماد إبراهيم بتركيا ورقمها في مكتبة داماد هو ٩٤٩، وفي معهد المخطوطات في٩٤٣ منصفحة١٨٥" [٩٤] وأضاف: "وليس لهذه النسخة تاريخ، وأن كان المرجّح أنّ خطّها من خطوط القرن السادس، كتبت بالخطّ النسخي المشرّب ببعض قواعد الخط الفارسي، كما يتضح ذلك في رسم بعض صنوف الهاء، وصنوف السين، وصنوف اللام، مع إغفال لبعض النقط، ومع ضبط قليل ذاهب في الندرة وهي في ٢٣٩ورقة، منها ١٩ ورقة مفقودة في أولها

---

[٩٢] ينظر: القول في البغال (بلا) حاشية الصفحات:١١،١٩،
٢٤،٣٠،٣١،٣٤،٣٥،٣٧،٤٠،٤٣،٥٤،٥٩،٦٢،٦٥،٦٨،٧٣،٨٠،٨١،
٨٣،٨٧،٨٩،٩١،٩٣،١٠٠،١٠٣،١٠٤،١٠٦،١٠٨،١١٠،١١٤،١١٦،١١٩،١٢٠،
١٢١ ،١٤٠،١٣٦،١٣١،١٣٠،١٢٥.

[٩٣] رسائل الجاحظ (هارون):١٢٥/٢.

[٩٤] نفسه: ١٢٥/٢ـ١٢٦.

وبالصفحة ٢٢ سطرا، وفي كلّ سطر نحو(١١) كلمة ويبتدئ ترقيم أوراقها بالورقة ٢٠،...،"[٩٥] ثم أشار (هارون) إلى مواد المجموعة وعناوينها، وما تحقق، وما لم يتحقق من هذه المجموعة[٩٦] وحين نختصر القول: فإنّ (هارون) نشر كتاب (البغال) في ضمن (رسائل الجاحظ)، وفي الجزء الأول من هذه الرسائل التي حوت (١٧) سبع عشرة رسالة جاء كتاب (البغال) في التسلسل (١٦). وفي كلّ (رسائل الجاحظ) الصادرة في مجلدين بأربعة أجزاء، كان (هارون) يكتب مقدمة لكلّ رسالة على حدة. ففي مقدمة كتاب (القول في البغال)؛ كتب: "هو الكتاب السادس عشر من مجموعة رسائل الجاحظ، وله أصل واحد هو نسخة مكتبة داماد، وعنوانه فيها كتاب (القول في البغال)، وقد ذكر الدكتور داود الجلبي في مخطوطات الموصل صفحة ٢٦٤ـ٢٦٥ في مجموعة رسائل الجاحظ التي كانت محفوظة في مكتبة أمين ابن أيوب الجلبي بالموصل نسخة أخرى من هذا الكتاب عنوانها:(كتاب البغال ومنافعها). ولكن من المؤسف أن تلك المجموعة قد فقدت بعد وفاة صاحبها ولن نهتدِ إلى الآن إلى موضعها. ولم يذكر هذا الكتاب أحد ممن ترجم للجاحظ، ولا أجرى هو له ذكرا فيما سلف من كتبه، ولكن الكتاب ينطق بلا ريب أنّه من تأليف الجاحظ، ينطق أسلوبه ومنهجه، وتنطق رجاله وحوادثه بأنّه للجاحظ، لا ريب عندي في ذلك.وقد نشره عن نسخة داماد للمرة الأولى للمستشرق (شارل بلا) في مطبعة الحلبي سنة ١٣٧٥هـ وعلّق عليه تعليقات مفيدة؛ ولكنّه وهم كثيرا من الوهم في قراءة نسخة داماد. وقد كتبت

---

[٩٥] نفسه: ٦/١(مقدمة هارون).

[٩٦] نفسه: ٧/١.

في ذلك بعض التصحيحات نشرتها في مجلة معهد المخطوطات العربية (عدد شوال ١٣٧٥هـ) في الجزء الأول من المجلد الثاني، فليرجع إليه. وقد أمكنني في نشرتي هذه أضعاف ما نشرته من قبل في مجلة المعهد ورمزت إلى نشرته بالرمز (ط)"[٩٧] وفيما سلف يتضح مدى وضوح (هارون) في إماطة اللثام عن أداواته في التحقيق وامتلاكه لناصية هذا الفن أمانة وخبرة وممارسة. لقد قرأ المخطوط بتروٍ ومفاتشة، وذكر شؤونا عنه مما يدلّ على قراءة فاحصة يلمسها المتلقي، ولاحاجة إلى تعليقنا. ويعضّد عمل (هارون) في إمساكه بأدوات هذا الفن، وفي قراءته واستشفافه سطور النصّ من خلال عباراته في الحواشي "في الأصل، وفي الأصل، كذا بالأصل، كذا ورد بالأصل، بياض في الأصل، موضعها بياض في الأصل، بعده بياض في الأصل بمقدار سطرين، بياض في الأصل بمقدار كلمات ثلاث، بياض في الأصل بمقدار كلمتين، كذا وردت هذه العبارة، وردت هذه الكلمة في الأصل، لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلاّ ...، لم يظهر من هاتين الكلمتين في الأصل إلاّ...، كلمة منه ساقطة في الأصل، الكلمة غير واضحة في الأصل، كذا وردت الكلمة مع انطماس الكلمة التي قبلها، قراءة الكلمة عويصة، زدنا [ ] كل ما سقط من الأصل، هذه الزيادات من الحيوان"[٩٨]

---

(٩٧) نفسه: ١/٨ ـ ١٣.

(٩٨) نفسه: ١٢٦/٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩ـ١٥٤، ١٤٩، ١٤٧، ١٤٢ـ١٥٨، ١٥٥ـ١٦١، ١٥٩ـ١٦٨، ١٦٢ـ١٧٥، ١٧٠ـ١٧٦، ١٨٠، ١٨٩، ١٨٥، ١٩٩، ١٩٧، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠٣ـ٢٠٩، ٢٠٧، ٢٠٤ـ٢١٧، ٢١٤، ٢١٠ـ٢٢٠، ٢١٨ـ٢٢٥، ٢٢١.

وهذه الحواشي التي صاغها (هارون) وقبله (بلا) في حواشي نصوص كتاب (البغال) تلمح إلى قراءة المخطوط، وتسجيل ملحوظات تحت كل نصّ في كلّ صفحة. غير أنّا لانجد إشارة يتيمة واحدة في كلّ الحواشي التي وضعها (بو ملحم) لهذا الكتاب ـ البغال ـ الذي" قدّم له وبوّبه وشرحه"[٩٩] وهذا يعني أننا أمام مخطوط قد صُحّح، وخال من كلّ خرمٍ، أو طمس أو بياض وعبارة عويصة، وهو أمر مستبعد؛ لأنّ كتاب (البغال) ليس له إلاّ " أصل واحد وهو نسخة مكتبة داماد، وعنوانه (القول في البغال)" [١٠٠] وليس كتاب (البغال)، وهو العنوان المحوّر للمخطوط الذي نشره (بو ملحم)[١٠١] فضلا عن أنّ (بوملحم) لم يكتب حرفا عن المخطوط يبرز تفاصيل تخصّ هذا المخطوط سوى إشارة ـ أشبه بالعابرة ـ إلى أنّ (شار بلا) و(هارون) قاما بتحقيق المخطوط على نسخة داماد إنهما أشارا إلى نسخة الموصل[١٠٢] وهو أمر يثير الريب في عالم التحقيق .

ثانيا نسبة الأبيات:

قام (شارل بلا) بتوثيق كل بيت شعري ورد في كتاب (البغال) من ديوان القائل، أو من مصدر جاء على ذكر البيت، وفي حالة عدم العثور على

---

(٩٩) هذا الذي ظهر على الغلاف (قدمّ له وبوّبه وشرحه) الصادر عن دار ومكتبة الهلال:١٩٩١.

(١٠٠) ينظر: رسائل الجاحظ (هارون) ١٢٥/٢ ـ١٢٦.

(١٠١) ينظر: مقدمة الجاحظ للكتاب عند المحققين الثلاثة، وما جاء في مبحث الموازنة من هذا البحث.

(١٠٢) ينظر: كتاب البغال (بوملحم):٦.

القائل؛ كان ينوه لذلك .إذًا كانت العبارات في الحواشي، كالآتي: " في الديوان، راجع الديوان، ليس في الديوان غير موجود في الديوان، مضى ذكره، تقدم، مضى هذا البيت وما بعده،..."[١٠٣] كما نراه يشير إلى ما ورد من اختلاف في رواية البيت في الديوان ونص الجاحظ في البغال، أو اختلاف رواية الديوان مع مصدر جاء على ذكر البيت [١٠٤] وكذلك كان منهج (هارون) في توثيق ونسبة الأبيات، وزاد على أن البيت الفلاني ورد من غير نسبة في مصدر كذا، أو غير منسوب في تصانيف الجاحظ، فيقوم بتوثيق نسبة البيت أو الأبيات بمصدر أو أكثر [١٠٥] ومن عبارته عن الأبيات: " في الديوان، ديوانه، وانظر الديوان، صوابه من الديوان، كما في شرح الديوان"[١٠٦] أما د (بوملحم) فلم يوثق بيتا واحدا من ديوان الشاعر، أو من مصدر كما لم يورد خلافا واحدا يفصح عن اختلاف المصادر في رواية البيت . ومختصر القول: فالحواشي ـ عند بوملحم ـ خالية تماما من ذكر الدواوين بالأخص، أو المصادر الأخرى بعامة، والأنكى خلو الكتاب من ذكر مصدر واحد اشترك في بناء تحقيق الكتاب عند الدكتور بوملحم فلا ثبت للمصادر والمراجع ألبتة .

---

[١٠٣] ينظر: كتاب القول في البغال (بلا) حاشية الصفحات:١٥،٢٥، ٥٦،٤١،٣٩،٣٧ـ١٣٧،١٢٧،١٢٤،١١١،١٠٩،١٠٣،١٠١،٩٨،٨٩،٦٠.

[١٠٤] نفسه: ١١، ٢٧ ـ ٤٢،٢٨ ـ ٤٥،٤٣ ، ١٠٤،١٠٢،٨٨،٧٨،٥٥ ـ ١٠٧.

[١٠٥] رسائل الجاحظ (هارون): ١٤٩،١٥٨/٢، ١٨٤،١٨٨،٢٠٤،٢١٥.

[١٠٦] نفسه:١٣٧/٢ـ ١٣٨،١٤٣،١٤٨،١٥٠،١٥٢،١٦١،١٦٣،١٦٨.

ثالثاً- النص المخطوط وتعليق الحواشي:

اختلف المحققون في تصويب ما جاء في النصّ ـ المتن ـ في ضوء تصانيف الجاحظ. فجاءت التعليقات في الحاشية تحمل شيئا من اجتهاد مريب بين طرفي هذه المعادلة ـ النص والحاشية ـ ففي باب (ماجاء من نوادر وأشعار في البغال) في ضمن التسلسل (٣٨) عند المحقق (بلا)، نجد النصّ:"وأخبرني أبو الزبرقان ـ كاتب محمد بن حسان ـ قال: وقف الهيثم بن مطهر الفأفأ، على باب الخيزران"[١٠٧] فيعلق (بلا) في الحاشية(٢) على هذا النصّ: " يذكرهُ الجاحظ في الحيوان (١٣٥/٥) والبيان (٨٨/١) غير أنّ الكاتب محمد بن حسان يُكنى أبا الزبير في البيان، وهو خطأ على ما يظهر"[١٠٨] فيأتي النص عند (هارون) الذي سمّى هذا الباب:(نوادر وأخبار في البغال): "وأخبرني أبو الزبير ـ كاتب محمد بن حسان ـ قال: وقف الهيثم بم مطهرّ الفافاء على باب الخيزران"[١٠٩] ثم يعلق (هارون) في الحاشية (٥): "في الأصل: (أبو الزبرقان) ـ أنظر: البيان ٨٨/١ "[١١٠] وهكذا نجد ما صحّ عند (بلا) قد خطّأه (هارون) ـ أما (بوملحم) فقد جاء النص في تحقيقه " وأخبرني أبو الزبير"[١١١] على شاكلة ماجاء عند (هارون) من دون تعليق على النصّ في الحاشية، وبيان كيفية تصويبه للنصّ ... !

---

(١٠٧) كتاب القول في البغال:٣٤٠.

(١٠٨) نفسه:٣٤.

(١٠٩) رسائل الجاحظ:١٤١/٢.

(١١٠) نفسه: ١٤١/٢.

(١١١) كتاب البغال (بوملحم):٣٨.

فمن أين استقى (بوملحم) زادا لراحلته، فاخذ يصوّب من دون عِثار في مسيرة عويصة من دون أي طمسٍ أو خرم!.

رابعًا ترجمة الأعلام:

ترجم (شارل بلا) لمعظم الأعلام الذين جاء ذكرهم في كتاب (القول في البغال)، وعضّد لكلّ من ترجم له بمصدر أو مرجع إلا علما واحدًا في باب (ذكر ركوب الأشراف البغال) وفي ضمن التسلسل (١٥)، وهو (عطاء الملط) فعلّق عليه في الحاشية (٨): "لم نقف له على خبر"[١١٢] غير أنّ (هارون) في هذا الباب الذي سمّاه: (رواة الأخبار) جاء في الحاشية (٧): "كان عطاء الملط شاعرا معاصرا لبشار، وله معه خبر في الأغاني ٥٩/٣ـ٦٠. ولهُ خبر آخر مشهور مع قريب والد الأصمعي في الأغاني ١٠٢/٥، وأشير في مجالس العلماء للزجاجي:٧٢ـ٧٣، والأغاني:١٤/١٥رواية منسوبة إليه .ورد في الخامس من الأغاني برسم (عطا الملك) محرّفًا: وأصل معنى الملط بالكسر، هو الخبيث "[١١٣] نجد كلّ خبر عند (هارون) يعضّده مصدر أو مرجع. أمّا المحقق (بوملحم)، فقد ذكر في الحاشية (٦)، وفي باب (ولع الأشراف بالبغال): "كان عطاء الملط شاعرا معاصرا لبشار، وأصل معنى الملط بالكسر، هو الخبيث "[١١٤] من دون

---

(١١٢) كتاب القول في البغال(بلا):٢٠.

(١١٣) رسائل الجاحظ (هارون):١٣٢/٢.

(١١٤) كتاب البغال (بوملحم):٢٨.

إشارة إلى مصدر أو مرجع استقى منه هذا الخبر، وهو نصّ أشبه بتعليق (هارون) مما يجعل المتلقي في ريب وحيرة، وما هو عن الريب ببعيد.

خامسا الفهارس الفنية:

ألحق (شارل بلا) فهارس فنية بتحقيقه؛ وذلك تسهيلا للمتقلي، وهي فهارس في "أنواع الحيوان، وأعلام الحيوان، والأعلام، والقبائل والأمم والطوائف، والبلدان والمواضع، والأشعار، والأرجاز، واللغة"[١١٥] فضلا عن "المراجع والكتب المذكورة في الحواشي"[١١٦] ثم "المراجع الأجنبية"[١١٧] وانتهى بـ "فهرس المواضيع"[١١٨] وقد بلغ عدد صفحات الكتاب عند (بلا) إلى (١٤٠) مائة وأربعين صفحة .علما أنّ (هارون) صنع فهارس فنية لكلّ (رسائل الجاحظ) وفي ضمنها (البغال) كالآتي: (فهرس القران مرتبًا حسب المواد اللغوية، فهرس الأحاديث، فهرس الأمثال، فهرس الأشعار، فهرس الأرجاز، فهرس اللغة في حقلين: ١ـ الكلمات العربية ٢ـ الكلمات غير العربية، فهرس الأعلام، فهرس القبائل والطوائف ونحوها، فهرس البلدان والمواضع ونحوها، فهرس الكتب"[١١٩] ثم "مراجع الشرح والتحقيق"[١٢٠] وبلغ مجموع النص المحقق ـ الخاص بالبغال ـ زهاء (١٠٠) صفحة في ضمن

---

[١١٥] كتاب القول في البغال (بلا): ١٤٣ـ١٨١.

[١١٦] نفسه: ١٨٢ ـ١٨٥.

[١١٧] نفسه: ١٨٦.

[١١٨] نفسه:١٨٧ ـ١٨٩.

[١١٩] رسائل الجاحظ (هارون):٢/٢٥٥ ـ ٣٤٣.

[١٢٠] نفسه:٢/٣٤٤ـ٣٥٢.

الجزء الثاني من مجموعة (رسائل الجاحظ) من صفحة١٢٥ إلى صفحة ٢٢٦، ورقم رسالة (القول في البغال)هو (١٦).

أمّا نشرة (بوملحم) فجاءت بفهرس واحد ـ لاغير ـ هو "فهرس الأعلام"[١٢١] وثنّاه بـ "فهرس الموضوعات[١٢٢] علما يخلو تحقيق (بوملحم) من ذكر قائمة المصادر والمراجع في آخر التحقيق أو حواشيه ومجموع صفحات الكتاب

فهو (١٢٧) صفحة عند(بوملحم).

سادسًا. من عنوان الكتاب إلى عناوين الأبواب:

كتاب(القول في البغال)، هو العنوان في تحقيق (بلا) و(هارون)، وهو كتاب (البغال) في تحقيق (بوملحم). والذي يقرأ مقدمة الجاحظ للكتاب: "كان وجه التدبير في جملة القول في البغال، ..."[١٢٣] يعضد ماجاء عند (بلا) و(هارون) عنوانا للكتاب. وقد يأتي ماوضعه الجاحظ من عنوانات في كتابه (الحيوان) دليلا آخر على صحة ما نذهب إليه في صحة العنوان للكتاب . إذ استخدم الجاحظ عبارة (القول) أو (قيل) أو (أقوال) في أكثر مواضع كتابه الحيوان، وعلى سبيل المثال: "القول في الغرائز وبيان سبب شره الخصي، لقول في كلمة خنذيذ، أقوال في منع الخيل وإباحته، أقوال في وسم الحيوان،

---

[١٢١] كتاب البغال: ١٢٩ ـ١٣٤.

[١٢٢] نفسه:١٣٥.

[١٢٣] كتاب القول في البغال (بلا):٩، ورسائل الجاحظ (هارون):١٢٦/٢، وكتاب البغال (بو ملحم):١٩.

القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقصها أو إيلامها، أقوال في النتاج المركب، ما قيل في السبع من الأمثال، ما قالوا في أنس الكلب وإلفه، ماقيل في الجري، ما قيل من الشعر في الجعل، ما قيل في الظربان،... "[١٢٤]
نقول: إذا كان نص الجاحظ في مقدمته، وما جاء من عنوانات في كتاب الحيوان يعضّد أن يكون العنوان (القول في البغال)؛ فهذا يعني أنّه لا يجوز إقحام ما ليس من العنوان في العنوان، أو طرح عبارة منه من غير سبب،، ولاسيما التراث أمانة، وعلى الدارس محققا كان أو غير محقق؛ هو الحفاظ على هذه الوديعة بكل تفاصيلها ودقائقها؛ من دون أن نغفل نسخة داماد التي اطلع عليها المحققون الثلاثة، وقدمت العنوان، وصرحت به (القول في البغال) والكتاب عبارة عن أبواب من غير عناوين؛ وهو ما دفع كلّ محقّق إلى الاجتهاد في صناعة أو وضع العنوانات. فقد جاء (شار بلا) ـ وهو أول من حقق الكتاب ـ فاخذ يضع لكلّ باب عنوانا رئيسيا ثم يتبعه بعناوين فرعية تتدرج تحت الرئيسية في ضوء ما يعالجه الباب أو الفقرات التي تندرج تحت ذلك الباب.

وعلى سبيل المثال سمِّي الباب الأول (باب ركوب الأشراف البغال) صفحة ١١ـ٢٦، ثم تفرعت تحت هذا الباب عناوين (خصال البغلة صفحة ١٢ـ ١٥) و(بغلة الرسول وبغال الخلفاء والسلف صفحة ١٥ـ ١٨) (وحمل الهدايا على البغال صفحة ٢٣ ـ٢٤)، ومن كان يركب البغال من مشاهير الناس؟ صفحة ٢٤ـ ٢٦) ... وهكذا سائر الأبواب إلا في بابي (باب ماجاء

---

(١٢٤) الحيـــــوان: ١/ ٦٥،٩٤،١١١،١٣٣،١٥٩،١٦٠،١٦٢،١٧٥،١٨١،٢٢٨،٢٣٤ ، ٢٣٦،٢٤٧،٣٨٠، ...

في الكوادن صفحة ١٩٠ ـ ١٩٤) (باب ذكر نساء الأشراف البغال صفحة ١٩٥ـ ١٩٨) أكتفي بذكر عنوان رئيس للباب من دون عنوانات فرعية. وبلغ عدد الأبواب (١٤) أربعة عشر بابًا عند (بلا) أمّا (هارون) ـ المحقق الثاني للكتاب ـ فقد استغنى ـ كليا ـ عن كلمة (باب)، وهو تصرفّ غريب لما موجود في أصل المخطوط. إذ به يقوم بتقسيم ما جاء عند (بلا) في الباب الأول إلى خمسة عناوين، فجعل لمجموعة من السطور عنوانًا خاصا بها وهذه العناوين: (عناية الأشراف بالبغال صفحة ١٢٧ـ ١٣٢) و (رواة الأخبار صفحة ١٣٢ـ١٣٣) و(الحاجة إلى البغال صفحة ١٣٣ـ١٣٤) و (حاجة البغال للهدايا صفحة ١٣٤ـ ١٣٥) و(إيثار البغال في الركوب صفحة ١٣٥ـ ١٣٧) ومجموع ما وضعه (هارون) من عنوانات بلغ (٦٣) ثلاثة وستين عنوانا . وحين جاء المحقق الثالث (بوملحم)؛ أخذ ينتقد هذه العناوين التي وضعها (هارون) بقوله: "إنّ العناوين التي وضعت لأبوابه في طبعة عبد السلام هارون غير دقيقة، ولا تنطبق جيدا على الأفكار التي تندرج تحتها، فرأينا من الخير إجراء تعديل عليها"[١٢٥] فأخذ (بوملحم) بتقليص الأبواب إلى (١١) أحد عشر بابًا وصاغ لكلّ باب عنوانًا استقاه من شؤون وردت في ذلك الباب . فجاء الباب الأول بعنوان: (ولع الأشراف بالبغال صفحة ٢١ـ ٣٢)، وهكذا استمّر في وضع عنوان لكل باب من دون تفاصيل أخرى [١٢٦] ونظن في انتقاء هذه النماذج قدرٌ من الكفاية لإماطة اللثام في بيان أسلوب كل محقق على حدة؛ وإبراز المزايا والعيوب على محك الموازنة

---

[١٢٥] كتاب البغال (بوملحم):٦.

[١٢٦] نفسه:١٣٥.

لكلّ محقق . ولكلٍّ وجهتهُ في التقميش والتهميش، وقالوا: "إذا كتبت فقمّش، وإذا حدثت ففتش" [١٢٧] .

الخاتمة:

تبين لنا بعد استقراء كتاب(القول في البغال) للجاحظ، أن للتحقيق قواعده؛ وأن أيّ إخلال بهذه القواعد يعدّ جناية بحق التراث. من خلال الموازنة التي أجريناها، وجدنا كيف استدل المحقق على نسبة المخطوط اليتيم للجاحظ من خلال أسلوب الكتاب فيما أهمل الآخر هذا الاستدلال. ثم إن المحققين الثلاثة لهم ولع خاص بتراث الجاحظ إلا أن لكل واحد طريقة في التحقيق. وإن كنا نرى في (هارون) الأقرب الى تحقيق قواعد هذا الفن؛ وهذا لا يسيء للآخرين. لكلّ رأي قد يصيب أو يخيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلّم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

---

[١٢٧] مصطلح التاريخ، أسد رستم:٣.

المصادر:

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبّان الخرساني (ت٣٥٤هـ)، ترتيب الإمام الأمير علاء علي بن بلبان الفاسي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: الشيخ خليل بن مأمون شيما، دار المعرفة ـ بيروت ط٢/٢٠٠٢م.

٢. أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت:٢٠١٠م.

٣. إصلاح المنطق، لابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف ـ مصر، ط٢/:١٩٧٠.

٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢/١٩٨٢م.

٥. البغال ـ كتاب ـ لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، قدم له وبوّبه وشرحه: الدكتور علي بو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٩٩١م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مجموعة محققين، ط/ وزارة الإعلام، الكويت.

٧. تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة وتعليق: الدكتور محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون العراق:١٩٧٨م.

٨. تكملة معجم تاج العروس، وهيب دياب، دمشق:١٩٩٦م.

٩. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، مصر:١٩٦٤م.

١٠. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وتقديم: الدكتور رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين ــ بيروت، ط١/١٩٨٧م.

١١. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري (ت٨٠٨هـ)، المكتبة العصرية ـ بيروت:٢٠١٠م.

١٢. الحيوان، للجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: إيمان الشيخ محمد، بيروت:٢٠١٢م.

١٣. الحيوان، للجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت: ١٩٩٦م.

١٤. الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث، محمد آل ياسين، مكتبة الحياة ـ بيروت، ط١/١٩٨٠م.

١٥. الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت٣٥١هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المعرف ــ مصر/ ١٩٧٢م.

١٦. ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد عبد الحق، منشورات دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد:١٩٥٨م.

١٧. رسائل الجاحظ أبي عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سيناـ القاهرة: ٢٠١٧م.

١٨. شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد السكري، شرح وتحقيق: أنطوان القوّال، دار الفكر العربي ـ بيروت، ط١/٢٠٠٣م.
١٩. شعر الراعي النميري، دراسة وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، هلال ناجي، المجمع العلمي العراقي ـ العراق: ١٩٨٠.
٢٠. شعر زهير بن أبي سلمى، برواية الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت،: ١٩٨٠.
٢١. الصّحاح ــ تاج اللغة وصحاح العربية ــ لأبي نصر الفارابي (ت٣٩٨هـ)، بحواشي ابن بري (ت٥٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط٤/٢٠٠٥م.
٢٢. صحيح البخاري، بترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن الهيثم ـ القاهرة، ط٥/٢٠٠٤م.
٢٣. صحيح مسلم، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة: ٢٠٠١م.
٢٤. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر، ط٢/١٩٧٣م.
٢٥. العِقد الثمين في تراجم النحويين، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، القاهرة: ٢٠٠٤م.
٢٦. العين ـ كتاب ـ للخيل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد: ١٩٨٠م.
٢٧. فرائد الخرائد في الأمثال، لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويّي (ت٥٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين، دار النفائس ــ الأردن، العبدلي،ط١٨/٢٠٠٠م.

٢٨. الفهرس، لابن النديم (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد، طهران: ١٩٧١.
٢٩. القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور خالد إسماعيل علي، بيروت، ط١/٢٠٠٩.
٣٠. القول في البغال ـ كتاب ـ للجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: شار بلا، دار الجيل ـ بيروت،ط١/١٩٩٥م.
٣١. لسان العرب، لابن منظور(ت٧١١هـ)، باعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث ــ بيروت، ط٣/١٩٨٦م.
٣٢. مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني (ت ٥١٨هـ)، مصر: ١٣٥٢هـ.
٣٣. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/٢٠١٠م.
٣٤. المخصص، لابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط١/٢٠٠٥م.
٣٥. المستقصى في الأمثال، للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، بيروت، ط٢/١٩٧٧م.
٣٦. المصباح المنير، للفيومي (ت٧٧٠هـ)، دار الحديث ــ القاهرة: ٢٠٠٣م.
٣٧. مصطلح التاريخ، الدكتور أسد رستم، بيروت، ط٣/١٩٥٥م.
٣٨. معجم أسماء الأشياء، للبابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي (ت١٩٠هـ)، دراسة تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، القاهرة: ١٩٩٧ م.

٣٩. المعجم اللغوي التاريخي، الأستاذ فيشر، القاهرة، ط١ /١٩٦٧م.
٤٠. معجم المصطلحات والتراكيب المتداولة، الدكتور محمد موسى الشريف، السعودية ـ جدة، ط١/٢٠٠٠م.
٤١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت:١٩٧٩م.
٤٢. المكتبة العربية، دراسة لأمهات الكتب في الثقافة، الدكتور عزة حسن، دمشق: ١٩٧٠م.
٤٣. المنتخب من غريب كلام العرب، كراع النمل (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، القاهرة: ٢٠٠٥م.
٤٤. نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، لابن الكلبي (ت٢٠٦هـ) برواية الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، المجمع العلمي العراقي:١٩٨٥م.
٤٥. نظام الغريب في اللغة ـ كتاب ـ عيسى بن ابراهيم الربعي (ت٤٨٠هـ)، موسسة الكتب الثقافية، ط٢/١٩٨٧م.

ضرب الدنانير على عهد السلطان ملك شاه السلجوقي
في مدينتي أَصفهان وهمذان
(٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م)
- دراسة تاريخية تحليلية -

الأستاذ المساعد الدكتور

حسين ابراهيم محمد الجبراني

جامعة دهوك/ كلية التربية / عقرة /

قسم التاريخ

الأستاذ المساعد الدكتور

حاتم فهد هنو الطائي

جامعة الموصل/ كلية الآداب/

قسم التاريخ

الملخص:

كان الدينار السلجوقي واحدا من المعادن التي تعامل بها السلاجقة في معاملاتهم اليومية إلى جانب المعادن الأُخرى من الفضة والنحاس، ولكن الغالب كان من الذهب، إذ سكّ السلاطين السلاجقة الدينار الذهب منذ توليهم الحكم وسجلوا أَسماءهم وأَلقابهم عليها إلى جانب أَلقاب الخلفاء العباسيين واهتموا بها وعدّوها الشارة الثانية بعد الخطبة لسيادة الدولة السلجوقية، فضربوا الكثير منها في مختلف مدن الأَقاليم التي سيطروا عليها وبأوزان وأَقطار مختلفة، فضلا عن ضرب بعضها بمناسبات مختلفة، وقد بيّنت تلك الدنانير توجهات السلاجقة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية من خلال ما كُتِبَ عليها من كتابات ورموز وأَحرف وكلمات ونقوش كما عُدت وسيلةً إعلامية مهمة تستخدمها الدولة في الداخل والخارج لنشر سلطتها على بعض أَقاليم العالم الإسلامي.

تناول بحثنا الموسوم بـ((ضرب الدنانير على عهد السلطان ملكشاه السلجوقي في مدينتي أَصفهان وهمذان(٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م)- دراسة تاريخية تحليلية-))، دراسته هذه الأَنواع من الدنانير السلجوقية من حيث ما نُقِشَ عليها من كتابات وعبارات وتحليلها وربط ما كُتِبَ عليها من كتابات بالأحداث التاريخية لسنوات سكته.

وقد قُسِّم البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة تناولنا في التمهيد أَصل السلاجقة وقيام دولتهم، أَمَّا المبحث الأَوَّل فقد تطرَّق إِلى الدنانير التي سُكّت في همذان على عهد السلطان ملكشاه، وخُصِّص المبحث الثاني للدنانير التي سُكّت في أَصفهان على عهد السلطان ملكشاه كما جاءت الخاتمة لتبين أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

المقدمة :

حظيت المسكوكات باهتمام كبير من الحكام والسلاطين السلاجقة؛ لأنَّها من شارات المُلك والسلطان التي حرص كل حاكم على اتخاذها عند تولية السلطة، فضلا عن أنها وسيلة اعلامية مهمة لما تتمتع به من سعة في الانتشار وسرعة التداول، فهي لا تخلو منها يد ولا تغيب عن رؤى عين، ولهذا صدر السلاجقة نقودهم من المعادن الثلاثة؛ الذهب والفضة والنحاس، وامتازت بتعدُّد طرازات نقوشها وتغيُّر كتاباتها من سلطان إلى آخر، وتسجيل العبارات، التي ضمَّت دومًا اسم الحاكم السلجوقي إلى جانب اسم الخليفة العباسي، حتى بعد سقوط بغداد علي أيدي المغول عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وزوال الخلافة العباسيَّة.

ونظرا لأهمية دراسة المسكوكات بعامة والمسكوكات السلجوقية بخاصة، فكان لابد من دراسة ((ضرب الدنانير على عهد السلطان ملكشاه السلجوقي في مدينتي أَصفهان وهمذان (٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) - دراسة تاريخية تحليلية-))؛ وذلك لاستكمال حلقات الدراسات عن النقود السلجوقية، وإِلقاء الضوء عليها، للخروج بنتائج تساعد على زيادة المعرفة عن نقود تلك الحقبة .

وتأتي أهمية هذا البحث بوصفهِ من البحوث غير المسبوقة في هذا المجال، ولاسيَّما أَنَّه للمرة الأَولى يلقي الضوء على نقود إِحدى سلاطين دول شرق العالم الإِسلامي (الدولة السلجوقية) في فترة حكم آخر سلاطين السلاجقة الأَوائل الكبار السلطان **ملكشاه بن الب أَرسلان (٤٦٥-٤٨٥هـ /**

١٠٧٢-١٠٩٢م)، إذ تُعدّ فترة حكمه من أَهم فترات حكم السلجوقي سياسيًا وحضاريًا، كما يوضح البحث بإيجاز أنواع النقود التي ضربت في اثنين من أَكبر دور ضرب السكة في المشرق الإسلامي على العهد السلطان ملكشاه في مدينتي همذان وأَصفهان، وأَهم التطورات التي طرأت عليها، وطرازات هذه النقود مع كتاباتها وتفسيراتها، كاشفا عن الخلفيات السياسية والدينية والاقتصادية المواكبة لتلك الحقبة التي سكت فيها.

إنَّ دراسة الدينار السلجوقي على عهد السلطان ملكشاه يحتاج إلى منهج يعين الباحث على الخوض في غمار هكذا موضوع، وقد نهج هذا البحث منهج البحث التاريخي(التحليلي) القائم على تحليل عناصر الموضوع والكشف عن الأسباب والنتائج؛ وذلك بالاعتماد على رؤية شمولية ذات توجه حضاري، ومنهج تكاملي تسعى منه إلى معاينة سائر المفردات التي يمكن معالجتها للوصول قدر المستطاعَ إلى الحقيقة العلمية دون اتخاذ مواقف مسبقة منها، ودون الانحياز إلى طرف على حساب الآخر.

وقد قُسِّم هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أَمَّا التمهيد فقد خُصِّص لمعرفة أَصل السلاجقة وأَماكن انتشارهم، ومن ثم ظهورهم على مسرح الأَحداث التاريخية في المشرق الإسلامي ووصلهم إلى دفة الحكم فيه عبر تقديم نبذة تاريخية مختصرة عن نشأة الدولة السلجوقية، في حين عرض المبحث الأَوَّل دراسة وتحليل دنانير السلطان ملكشاه السلجوقي التي سُكّت في دار السك في مدينة همدان، وتناول المبحث الثاني دراسة وتحليل دنانير السلطان ملكشاه السلجوقي التي ضربت في مدينة أَصفهان

حاضرة الدولة السلجوقية في هذه الحقبة, في حين كرّس الخاتمة إلى بيان أَهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد: قيام الدولة السلجوقية((٤٢٩-٥٥٢ هـ/ ١٠٣٧-١١٥٧م)):

ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق التركية التي تمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أُخرى مجموعة قبائل التركية المعروفة بالغز[١] الذين كانوا يقيمون في صحاري خوارزم[٢] والسواحل الشرقية لبحر الخرز، وأودية

---

(١) الغز: جنس من الترك، والغز هو اللفظ العربي الذي يطلقه العرب على قبائل البدو والترك الذين كانوا في الصحراء الواسعة والسهوب التي تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخرز، وان كلمة الغز أو الطوقوز اي(تسعه بالتركية) مأخوذة من عدد قبائلهم المتفرقة، وقيل هم إثنان وعشرون بطنا، وكان هذا الاسم يطلق على الغالبية من الاتراك، فالسلاجقة كانوا إحدى هذه القبائل، وقد أُطلق عليهم أَيضا اسم التركمان. للمزيد، ينظر، الكاشغري، محمود بن الحسين بن محمد (ت:٤٩٩هـ/١١٠٥م): ديوان لغات الترك، دار الخلافة العلية- مطبعة عامرة،(القسطنطينية،١٣٣٣هـ)،٥٦/١؛ الراوندي: محمد بن علي بن سليمان (ت:٥٩٩ هـ/١٢٠٢م): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمه: إبراهيم أمين الشواربي (وآخرون)، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ٢٦٨- ٢٧٢؛ إقبال عباس: تاريخ ايران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥ – ٨٢٠هـ / ١٣٤٣ – ١٩٢٥م)، ترجمة من الفارسية إلى العربية: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والتوزيع والنشر(القاهرة:١٩٨٩م)،١٩٢.

(٢) خوارزم: ليس اسما للمدينة، إنَّما هو اسم لناحية كبيرة عظيمة وقصبتها الجرجانية أهلها يسمونها كركانج وهي على نهر جيحون. وقيل هو إقليم فسيح تحيط به المفازة الكبرى ويحده من جهة الشمال والغرب بلاد الغز، ومن جهة الجنوب والغرب خراسان

نهري سيحون[3] وجيحون[4]، وقد بدأ السلاجقة بالظهور في أواخر العهد الساماني[5] حينما رحل قائدهم سلجوق بن

وبلاد ما وراء النهر. للمزيد، ينظر: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر (بيروت: ١٩٨٦م)، ٢ /٣٩٥-٣٩٨.

[3] نهر سيحون (سيرداريا): من أكبر الأنهار المعروفة في بلاد ما وراء النهر . للمزيد، ينظر، المقدسي: المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٦م)، البدء والتأريخ (المنسوب لأبي زيد البلخي) اعتنى بنشره وترجمته: كلمان هوار (باريس: ١٩٠٣م)، ٤/٥٩-٦٠ ؛ ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة (بيروت: ١٩٧٩م)، ٤١٩ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٨٥م)، ٥٢٠.

[4] جيحون: من أكبر أنهار آسيا الوسطى وجيحون التسمية العربية لهذا النهر، الذي كان قديما يعرف باسم أكسوس (oxus) وعرف حديثا باسم أموداريا. للمزيد، ينظر، سهراب: ابن سرافيون (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تصحيح: هانس فون فريك، مطبعة أودلوف هولز (فيينا: ١٩٢٩م)، ١٤٥-١٤٦ .

[5] السامانيين: ينتسب السامانيون إلى جدهم الأعلى سامان بن خداه بن حسمان بن طغاث، ولذلك يسمون بالسامانيين، الذين استطاعوا من تأسيس الإمارة السامانية (٢٦١- ٣٨٩هـ/ ٨٧٤- ٩٩٩م) في بلاد ما وراء النهر، واتخذوا مدينة بُخارى حاضرة لهم وتمكنوا ان يمدوا نفوذهم إلى جميع خراسان وطبرستان وسجستان، وانهارت الإمارة السامانية على يد الاتراك بقيادة ملك الترك ايلك خان ابو نصر احمد بن علي شمس الدولة (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م). للمزيد، ينظر، النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، تأريخ بخارى، عربه عن الفارسية

دقاق[٦] إلى مدينة جند[٧] إذ اعتنقوا الإسلام وخاضوا الكثير من الحروب لنشر الإسلام بين القبائل المجاورة ، وفي إحدى المعارك قتل زعيمهم سلجوق، الذي كان له أربعةٌ من الأوّلاد، وهم كل من إسرائيل وميكائيل ويونس وموسى، الذين ارتحلوا مع قبائل السلاجقة إلى بُخارى عاصمة السامانيين، وأخذ عددهم يزداد حتى صاروا قوة يخشى جانبها[٨] .

وقدم له وحققه وعلّق عليه: أمين بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط٣ (القاهرة: ١٩٦٥م)، ٩٠؛ الجوزجاني، أبوعمرو منهاج الدين منهاج السراج عثمان بن محمد(توفي في القرن ٧هـ/١٣م): طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة (القاهرة،٢٠١٣)، ١/ ٣٣٦؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٤م)، ٢٠٠/٢٥ .

[٦] سلجوق بن دقاق: هو مقدم السلاجقة ينتسب إلى قبيلة قنق الغزية، تسنّم قيادة السلاجقة بعد وفاق والده دقاق، واستطاع ان يجمع شمل القبائل التركية من سكان المناطق المحيطة به، ووحدهم تحت قيادته، ثم قادهم إلى منطقة جند وجعلها قاعدة لحكمه. للمزيد: ينظر، ابن الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت: ١٩٨٧م)، ٨ / ٢٣٦-٢٣٧ .

[٧] جند: مدينة من بلاد ما وراء النهر قريبة من خوارزم، وهي في حدود الترك على طرف نهر سيحون، واهلها مسلمون. للمزيد، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٤٣/٢ .

[٨] الراوندي: راحة الصدور، ٨٦ – ٨٨ ؛ حسنين عبد المنعم محمد: سلاجقة ايران والعراق، مكتبة النهضة، ط٢ (القاهرة: ١٩٧٠م)، ١٦ – ١٧ ؛ الفقي عصام الدين

بدأ السلاجقة في الظهور على المسرح السياسي في المشرق الإسلامي عند انتقالهم إلى خراسان[٩]، إذ اصطدموا مع السلطان الغزنوي مسعود بن محمود (٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) الذي حاول الحدّ من زحف قبائل السلاجقة، لكنه هُزِمَ في سنة(٤٢٦ه/١٠٣٤م) ، وقد دارت سلسلة من المعارك بين السلاجقة والسلطان مسعود ابن محمود كان النصر فيها حليفا للسلاجقة ، وانتهى الصراع بينهما باستيلاء السلاجقة على خراسان ودخول طغرلبك[١٠] مدينة نيسابور[١١]

عبد الرزاق: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي (القاهرة: ١٩٨٧م)، ١٥٢ – ١٥٣ .

[٩] خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشمل على امهات من البلاد مثل نيسابور وهراة ومرو، وقد فتحت اكثر من مرة عنوة وصلحا، للمزيد: ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ / ٣٥٠ – ٣٥٤ .

[١٠] طغرلبك: هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، اول سلاطين الدولة السلجوقية ولد سنة (٣٨٥ه / ٩٩٥م)، توفي سنة (٤٥٥ه / ١٠٦٣م) . للمزيد: ينظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧ه / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت: ١٩٩٢م)، ٦ / ٨٤.

[١١] نيسابور: مدينة تقع في الشمال الشرقي من إقليم خراسان وتَعدّ من كبريات مدنها، أَمَّا اسم هذه المدينة فقد سُمِّيت بنيسابور نسبة إلى الملك الساساني سابور الثاني ابن هرمز(ذو الاكتاف) (٣٠٩– ٣٧٩م)، الذي جدد بناءها في القرن الرابع الميلادي، وأَمَّا مؤسسها فكان سابور الأَوَّل بن اردشير بايكان (٢٤١– ٢٧٢م)، وكان الفرس يطلقون عليها (نيشابور) فعربت فقيل (نيسابور). للمزيد، ينظر، اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ابن وهب(ت ٢٩٢ه/٩٥١م): البلدان، وضع حواشيه: محمد

ومن ثم مدينة مرو[١٢] في سنة (٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م)؛ ليعلن قيام دولة السلاجقة[١٣] .

وقد أدَّى السلاجقة دورا مؤثرا في التاريخ الإسلامي ولاسيما بعد سيطرتهم على بغداد حاضرة الخلافة العباسية في سنة (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) وامتدّ نفوذهم ليشمل بلاد الشام وآسيا الصغرى في عهد السلاجقة الاوائل إلا أن أمرهم بدأ بالضعف بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)

أمين الضناوي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٢م)، ١٢٧- ١٤٤؛ الأصطخري: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت ٣٤١هـ/ ٩٥٢م)، المسالك والممالك، تقديم: محمد جابر عبد العال الحسيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة: ٢٠٠٤م)، ١٤٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٣٨٢؛ ارثر كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، ١٩٩٨م)، ٢٠٩.

(١٢) مرو: وهي من أشهر مدن خراسان، وسمّاها الفرس بـ (مرو الشاهجان) أي روح السلطان وسميت بذلك لجلالتها عندهم، ويخترق المدينة نهران كبيران هما (الرزيق والماجان)، وتقع مرو على طريق الحرير القادم من نيسابور وسرخس والمؤدي إلى بُخارى وسمرقند وإلى بلاد الترك. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص ١١٢-١١٣؛ رضا فرنود: اطلس تاريخ ايران أز ظهور اسلام تا دوران سلجوقي، تهران نشرتي، جاب٢،(تهران، ١٣٩٠ش)، ص ٨٥.

(١٣) البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)، تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية (بيروت: ١٩٨٢م)، ٦٩٥ ؛ الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، اخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمد اقبال (بيروت: ١٩٨٤م)، ١١، ١٢ .

حينما اشتد الصراع على السلطة بين أَبناء ملكشاه وهم بركياروق (٤٨٥-٤٩٨هـ/ ١٠٩٢-١١٠٤م) ومحمد (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م) وما قامت بينهما من حروب اضعفت الدولة، وانقسم السلاجقة إِلى فروع متعددة مثل: سلاجقة العراق، وسلاجقة خراسان، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة الشام، وسلاجقة الروم آخر فرع للسلاجقة(١٤).

ويُعدُّ السلطان ملكشاه بن الب أَرسلان من أقوى سلاطين السلاجقة ولُقِبَ بالعادل فهو جلال الدين والدولة أبو الفتح حسن ملكشاه بن الب أَرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، ولد سنة (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) وتولّى الحكم بعد وفاة والده الب أَرسلان (٤٥٥ – ٤٦٥ هـ/ ١٠٦٣ – ١٠٧٢م) بعد أن أوصى له بالحكم في سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)(١٥)، ويرجع الفضل باعتلاء ملكشاه عرش السلاجقة إِلى الوزير

---

(١٤) حسنين: عبد النعيم محمد، سلاجقة ايران والعراق، ٣٤ – ٣٧ ؛ سليمان: احمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الاسر الحاكمة، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٠م)، ٣١٤/١ – ٣١٥ .

(١٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ٨ / ٣٩٤ ؛ الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١(بيروت: ١٩٩٤م)، ٣١/١٧ ؛ ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت: ١٩٩٠م)، ١٢ / ١٠٦ .

نظام الملك[١٦]، الذي ساعده في تدبير شؤونه وتسيير دفة الحكم، واتخذ ملكشاه مرو مقاما له، ثم غيّر رأيه فجعل نيسابور عاصمةً له، لكنه عدل عنها فاختار أَصفهان[١٧] عاصمةً؛ لتميزها بحصونها المنيعة وطيب هوائها وعذوبة مائها[١٨].

وبعد أن تخلص ملكشاه من خطر عمه (قاروت) صاحب كرمان[١٩] الذي خرج عن طاعته سنة(ت:٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) توجه من أَصفهان إلى بغداد فدخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٢)، ثم مرض مرضا شديدا ادى إلى وفاته في شهر شوال من سنة

---

(١٦) نظام الملك الطوسي: أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس، الملّقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي ولد في سنة (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)، وقد اغتيل سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، للمزيد: ينظر، ابن الجوزي: المنتظم، ١٦/ ٣٠٢ .

(١٧) أَصفهان: من أشهر مدن اقليم الجبال تقع في الطرف الجنوبي الشرقي منه. للمزيد: ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥ / ٤١٠ .

(١٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ١٠٦؛ حسنين: عبد النعيم محمد، سلاجقة ايران والعراق، ٣٦، ٨١ .

(١٩) كِرْمَانُ: وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع تشبّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان،٤/٤٥٤

(٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)[٢٠] ، وتسبب موت السلطان في انحلال قوة وعظمة الدولة السلجوقية وتمزق وحدتها، وذلك بالنزاع الشديد بين أُمراء السلاجقة والمتمثل بصراع أبناء ملكشاه وهم بركياروق (٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م) وأخيه من أَبيه محمود(ت: ٤٩٨هـ/١١٠٤م) ووالدته تركان خاتون[٢١]، واستمر الصراع بين أَفراد البيت السلجوقي حتى سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)عند مقتل السلطان معز الدين أَحمد سنجر بن ملكشاه (٥١١-٥٥٢هـ/ ١١١٧-١١٥٧) آخر سلاطين الدولة السلجوقية، ومن بعده، تفككت الدولة السلجوقية إلى ولايات منفصلة[٢٢].

المبحث الأَوَّل: دنانير السلطان ملكشاه السلجوقي التي سكت في مدينة همدان:

فمن الدنانير التي ضُربت في دور سكّ المشرق الإسلامي ، دنانير دار سك همذان على عهد السلطان ملكشاه، فكانت دنانير ذهبية ومكونة من أَربعة طرازات، **الطراز الأَوَّل** سك في سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) ونقشت عليه النصوص والكتابات الاتية[٢٣]:

---

(٢٠) الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت: د. ت)، ٢/٣٥٠ ؛ إقبال عباس: تاريخ ايران، ٢١٦ .

(٢١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٨ / ١٦٢ – ١٦٤ .

(٢٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤١.

(٢٣) مؤسسة النقد العربي السعودي، محفوظ بالرقم: ١٨٠٢٢. وللمزيد: ينظر لوحة رقم(١).

الوجه



الظهر



الوجه

المركز: معز

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

القائم بأمر الله

الهامش الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بهمذان سنة خمس وستين وأربعمئة.

الهامش الخارجي: (لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله)

الظهر

المركز: معز

محمد رسول الله

السلطان المعظم

ركن الإسلام

أبو الفتح ملك

الدين

الهامش: (محمد رسول الله أرسله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

وأَشارت كتابات مركز الوجه في السطر الأَوَّل إلى اسم (معز) وهو لقب للسلطان ملكشاه (معز الدين) الذي تلّقب به عند توليه السلطنة، وهو بمعنى مقويَ الدين ومُسلَمهُ من الذل، فضلا عن كونه من أسماء الله الحسنى، كما عّد لفظ معز بأنه لقب خاص لأول خلفاء الدولة الفاطمية بمصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) الذي لقب به (المعز لدين الله) كما نعت به أيبك التركماني أَوَّل من ولي مصر من المماليك، وقد أُضيف إلى اللفظ بعض الكلمات لتكوين أَلقاب مركبة مثل (معز الدين)[٢٤] .

كما وثُبَت في المسكوكة بعد لقب المعز شهادة التوحيد كاملة (لا اله إلا الله وحده لا شريك له)، ثم جاء لقب الخليفة العباسي القائم بأمر الله(٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) وتضمنت كتابات الهامش الداخلي البسملة ومدينة الضرب(همذان) وتاريخ السك هو سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) وهي السنة التي تولى فيها السلطان ملكشاه عرش السلطنة السلجوقية[٢٥]، أَمَّا الهامش الخارجي لمركز الوجه فنقش به الاقتباس القرآني من سورة الروم (الآية ٤ ، وجزء من الآية ٥) ونصها((لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ)).

وأَمَّا مركز الظهر فقد سجل فيه كلمة (معز) التي أُشير لها سابقا، وجاء بعدها كتابة الرسالة المحمدية ونصها (محمد رسول الله)، يليها أَلقاب ملكشاه وهي السلطان المعظم، ركن الإسلام، أَبو الفتح ملك الدين، وهي أَلقاب

---

[٢٤] الباشا: حسن، الأَلقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٧٨م)، ٤٧٦ – ٤٧٧ .

[٢٥] الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية، ٥٦-٥٨.

اتخذها ملكشاه لنفسه في بداية توليه الحكم[٢٦]، وجاء في هامش الظهر الاقتباس القرآني فهو جزء من الآية(٣٣) من سورة التوبة أو الآية (٩) من سورة الصف((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)) .

أَمَّا **الطراز الثاني** من دنانير همذان المضروب سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) فبلغ وزنه (٥,٥٥غم)، ونقش عليه بعض الكتابات والنصوص التي اختلفت عن الدينار السابق، وعلى النحو الاتي[٢٧]:

الوجه		**الظهر**	
المركز:	عدل	المركز:	لله
لا إله إلا		محمد رسول الله	
الله وحده		السلطان المعظم	
لا شريك له		معز الدين	
القائم بأمر الله		ركن الإسلام	
شمس الدين			

[٢٦] الباشا: حسن، الألقاب الإسلامية ، ٢٣٨، ٣٠٥، ٣٢٥ ؛ الحسيني: محمد باقر، دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية، مجلة سومر، مجلد ٢٨/ ١٦٦،١٦٠،١٥٩، ١٧٠ .

[٢٧] مجموعة المتحف البريطاني: محفوظ بالرقم، ١٩٦٦ – ٩ – ٢ – ١٣ .

الهامش الداخلي : بسم الله ضرب هذا الدينار بهمذان سنة سبع وستين واربع مائة . الهامش الخارجي : (لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)	الهامش : (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

يمتاز هذا الطراز من سائر الطرازات الأُخرى للسلطان ملكشاه بورود كلمة (عدل) على كتابات مركز الوجه، وهذه الكلمة من الكلمات ذات المدلول الاقتصادي والسياسي، وان تسجيلها على نقود ملكشاه يشير إلى ما تمتعت به تلك النقود من جودة في العيار ووفاء الوزن، كما أنها بمثابة إجازة من دار السك لتداول النقود وعّدها نقودا شرعية، فذلك يشجع الناس على تداولها ويساعد في رواجها، كما تأتي في معنى آخر وهو عدل السلطان في حكمه، وقد ظهرت على مسكوكات السلاجقة بكثرة حتى كادت أن تكون شعارا لها[٢٨] .

واختلف هذا الطراز عن الطراز السابق بتاريخ السك فقد سك هذا الطراز في سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) وسجل عليه لقب شمس الدين في مركز الوجه، ولم يظهر على الطراز السابق ، وهذا اللقب هو لقب جعفر بن محمد

---

[٢٨] رمضان: عاطف منصور محمد، الكتابات غير القرآنية على السكة في شرق العالم الإسلامي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاثار (جامعة القاهرة: ١٩٩٨م)، ١٢٢ – ١٢٤.

نصر، أحد ولاة همذان منذ عهد السلطان الب أَرسلان[٢٩]، وظهر اختلافا أيضا عن الطراز السابق بتسجيل لقب معزالدين في مركز الظهر بعد الرسالة المحمدية، كما امتاز هذا الطراز بتسجيل كلمة (لله) أعلى كتابات مركز الظهر وهي لفظ الجلالة ، وتشابه سائر الكتابات التي وردت عليه مع ما ورد على الدينار الأَوّل[٣٠].

ومن الملاحظ على دينار سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م)، أنه جاء معلوم الوزن ، إذ بلغ وزنه (٥,٥٥غم) وهو غير الوزن الشرعي للدنانير الإسلامية إذ كان الوزن الشرعي للدينار الإسلامي يساوي (٤,٢٥غم)[٣١] .

فربما كان هذا الدينار من دنانير الصلة التي تسك في المناسبات الدينية والسياسية التي اعتاد على سكها الملوك والسلاطين، أو ربما كانت دنانير السلاجقة عالية الوزن، فقد يختلف وزنها من سلطان إلى آخر أو من دار سك إلى أُخرى، بحسب طبيعة دار السك أو الاوامر التي يصدرها السلاطين لتحديد أوزان تلك النقود، وهذا يتعلق بالحالة الاقتصادية للبلد مع توافر

---

[٢٩] الكرملي: انستاس ماري، النقود العربية وعلم النميات، المطبعة المصرية، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ١٣١ .

[٣٠] للمزيد: ينظر، مجموعة المتحف البريطاني: محفوظ بالرقم، ١٩٦٦ – ٩ – ٢ – ١٣ ؛ مؤسسة النقد العربي السعودي: متحف العملات (الرياض: ١٩٩٦م)، محفوظ بالرقم: ١٨٠٢٢

[٣١] أبو الحسن: علي بن يوسف الحكيم (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد: ١٩٦٠م)،٨١ .

الكميات الكبيرة من الذهب ولا ننسى حالة استقرار أوضاع الدولة سياسيا فكلما كان الوضع السياسي مستقرا سوف ينعكس إيجابيا على جميع مرافق الحياة الاقتصادية ومن بينها سك النقود.

وقد اختلفت قيمة الدينار بالنسبة للدرهم في العصر السلجوقي بين حين وآخر ومن بلد إلى بلد آخر، فتارة يساوي عشرة دراهم وتارة يساوي ثلاثة عشر درهم وتارة أُخرى يساوي خمسة عشر درهما، وهذا تقريبا سعر صرف الدينار بالدراهم وعلى مرِّ العصور ولاسيما في العصر العباسي فالتفاوت في سعر الصرف ارتبط بالحالة السياسية والاقتصادية للدولة وذلك ينعكس إيجابيا على سعر الصرف(٣٢) .

أَمَّا **الطراز الثالث** من دنانير همذان الذي ضرب في سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، فبلغ وزنه (٣,٢٦) غم، كما يُعدُّ أول دينار سُكّ في همذان باسم الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٤-١٠٩٤م) إلى جانب اسم السلطان ملكشاه(٣٣)، وقد تشابه مع الطرازين السابقين مع بعض الاختلاف في نصوص كتاباته، ووجه اختلافه هو تسجيل كلمتي (بن محمد) اسفل كتابات مركز الظهر، إذ لم تظهر على الطرازات الأُخرى، كما اختلف بالوزن أيضا إذ بلغ وزنه (٣,٢٦) غم، عن الطراز السابق من دنانير

(٣٢) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢ (القاهرة: ١٩٨٤م)، ٤ / ٤١٨ .

(٣٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ٨ / ٤٠٧ .

السلطان مالتيلكشاه الذي سك سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) ، الذي بلغ وزنه(٥,٥٥غم) [٣٤] .

وهنا يلحظ الفرق الكثير في الوزن بين الطرازين، يبدو هذا يعود إلى المشرفين على دار السكة التي أَصدرت تلك النقود التي كانت مختلفة الاوزان بين سنة وأُخرى، أو بحسب ما يراه السلطان أو الخليفة من عيار لنقوده، كذلك ربما قد حصل على هذه القطعة من الدنانير تغيير في وزنها بسبب التلاعب فيها من خلال قصها أو قرضها مما أدى إلى فقدانها بعض من وزنها الشرعي.

---

[٣٤] مجموعة المتحف البريطاني: محفوظ بالرقم ١٩٧٣ – ٢٥ – ١٨ .

وجاء **الطراز الرابع** من دنانير همذان في سنة (٤٧٢هـ / ١٠٧٩م) بالنصوص والكتابات الاتية[٣٥] :

الوجه	الظهر
الوجه	**الظهر**
المركز: سلطان	المركز: لله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
المقتدي بأمر الله	الأمير الأجل
السلطان المعظم	شمس المعالي
ابو الفتح ملكشاه	جفري تكين
الهامش الداخلي : بسم الله ضرب هذا الدينار بهمذان سنة اثنتين	

[35]Sothebys: Ancicnt Islamic English and Foreign coins London , w1A 2AA , May, 1987.P.65.No. 917 .(٢). وللمزيد: ينظر لوحة رقم

وسبعين واربعمائة.

الهامش الخارجي: (لله الأمرُ من قبلُ ومـن بعـد ويومئـذٍ يفـرحُ المؤمنـون بنصرِ الله)

الهـامش: (محمـد رسـول الله ارسـله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

انفرد هذا الطراز عن غيره بتسجيل شهادة التوحيد غير كاملة على مركز الوجه (لا الـه إلا الله) ، وانفـرد ايضـا بتسـجيل لقـب الأميـر الأجـل، شمس المعالي، جفري تكين فـي مركـز الظهـر، ويعنـي هذا اللقب الاميـر الاجل ولي العهد أو من سيخلف السلطان ملكشاه بالحكم(٣٦) .

المبحـث الثـاني: دنـانير السـلطان ملكشـاه السـلجوقي التـي ضُـربت في مدينة أَصفهان:

وامتـازت دار سـك أَصـفهان بسـكِّ الـدنانير الذهبيـة باسـم السـلطان ملكشـاه، فـالمتوافرة منهـا **ثمـاني طـرازات** سـكت بسـنوات مختلفـة وبنصـوص ونقوش مختلفـة أيضـا **فـالطراز الأَوَّل** ضـرب فـي سـنة (٤٦٦هـ / ١٠٧٣م) وبلـغ وزنـه (٥,٣٤ غـم) ، وقطـره (٢٧ ملـم) وجـاءت نصـوص كتاباتـه علـى النحو الآتي(٣٧):

(٣٦) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ٦٨ .

(37)Khodzhaniyzor , T, Kataloge monete gosudarstra velkikhsel , dzhukor ,(Ashkhabad,1979) , vol1 , P.63 , no.228 . للمزيد ينظر لوحة رقم (٤)

الوجه



الظهر



الوجه

المركز: عدل

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

المقتدي بأمر الله

الهامش الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بأَصفهان سنة ست وستين وأربعمئة.

الظهر

المركز: أبو الفتح

محمد رسول الله

السلطان المعظم

شاهنشاه

{ركن} الإسلام

الهامش : (محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

الهامش الخارجي : (لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)

يتشابه هذا الدينار في كتاباته مع الطراز العام لدنانير السلطان ملكشاه مع الأَخذ بالحسبان اختلاف في سنة السك ومكانه (أَصفهان)، فضلا عن تسجيل عبارة (أبو الفتح) في مركز الظهر التي لم تظهر على الطرازات الأُخرى في السطر الأَوَّل من مركز الظهر، وهاتان الكلمتان هما كنية السلطان ملكشاه(٣٨) .

أمَّا **الطراز الثاني** فقد سك في سنة (٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) وجاء بالشكل الآتي:

الوجه الظهر



(٣٨) للمزيد: ينظر لوحة رقم (٤).

واختلف هذا الدينار عن الطراز الأَوَّل بتسجيل كلمة الفتح أَعلى كتابات مركز الوجه بدل كلمة (عدل) التي ورد على الطراز الأَوَّل، وكلمة فتح تشير إلى صاحبها وما حققه من نجاح وانتصار على أَعدائه والاستيلاء على ما بأيديهم من البلاد[٣٩]، كما اختلف عن الطراز السابق بنقش زخرفة القوس والسهم أَعلى كتابات مركز الظهر بدلا من كنية السلطان ملكشاه، واختلف أيضا في الوزن فقد بلغ وزنه (١,٩٦ غم) وقطره ٢٨ ملم[٤٠]. ولعلَّه يشير إلى سوء الأَوضاع الاقتصادية للبلاد في هذه السنة ممَّا أثر بدوره على جودة العيار والوزن للدنانير السلجوقية، فالفرق واضح بين وزن الطراز الأَوَّل وهذا الطراز الذي بلغ وزنه (٥،٣٤ غم)، أو قد يكون هذا الدينار قد سك في إحدى المناسبات التأريخية أو الدينية .

وحصلت بعض التغيرات على **الطراز الثالث** من دنانير ملكشاه في أَصفهان الذي سك سنة (٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) الذي بلغ وزنه (٤,١٢غم) وقطره (٢٥ ملم) ، فلم تسجل عليه كلمة فتح واستبدلت بكلمة (عدل) كما رفعت زخرفة القوس والسهم من هذا الطراز وسجلت بدلا عنها لقب السلطان ملكشاه[٤١]، وامتاز هذا الطراز بنقش عبارة: توكلت على الله أَسفل كتابات مركز الوجه وتشير هذه العبارة إلى أن صاحبها يفوض أمره إلى الله ويتوكل عليه في كافة أمره فهو نعم المولى ونعم النصير[٤٢]، كذلك امتاز هذا الطراز

---

[٣٩] رمضان:عاطف منصور محمد: الكتابات غير القرآنية على السكة، ٢٩٤ .

[٤٠] محفوظ في متحف الفن الإسلامي بقطر بالرقم ٤٤٧٠ ؛ للمزيد ينظر لوحة رقم (٥)

[٤١] محفوظ في جمعية النميات الامريكية بنيويورك بالرقم: ١٩٢٢,٢١١,١١٧.

[٤٢] رمضان: عاطف منصور محمد: الكتابات غير القرآنية على السكة، ٢٢٣ .

بتسجيل الاقتباس القرآني (نصرٌ من الله) على جانبي كتابات مركز الوجه وهو جزء من الآية (١٣) من سورة الصف، وهي تبشر المؤمنين بأن الله سيجعل لهم النصر على أَعدائهم[٤٣]، كما انفرد هذا الطراز بتسجيل لقب (معز الدين والدنيا) بدلا من لقب ركن الإسلام ضمن كتابات مركز الظهر[٤٤].

وأَمَّا التغيير الحاصل في وزن هذا الدينار عمَّا سبقه فقد ارتفع إلى ما يقارب الوزن الشرعي للدنانير الإسلامية (٤,٢٥ غم)، فهذا دليل على أَنَّ الطراز السابق ضرب في أوضاع غير اعتيادية لذلك كان وزنه منخفض إلى اقل من غرامين، وانفرد هذا الطراز بتسجيل لقب شاهنشاه الأُمراء في مركز الظهر بدلا من شاهنشاه على الطرازات السابقة، وهذا اللقب ظهر للمرة الأولى على هذا الدينار[٤٥] .

وجاء **الطراز الرابع** الذي سك في سنة (٤٧٧هـ / ١٠٨٤م) من الدنانير مشابها للطراز الأَوَّل من دنانير ملكشاه في أَصفهان ولم يختلف معه سوى بالوزن إذ بلغ وزن هذا الدينار (٢,٩١ غم) وقطره (٢٦ ملم)[٤٦] .

---

[٤٣] يوسف، فرج الله، احمد: الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية (دراسة مقارنة)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الانسانية (الرياض: ٢٠٠٣م)، ١٢٢ .

[٤٤] للمزيد: ينظر، الدينار المحفوظ في جمعية النميات الامريكية بنيويورك بالرقم: ١٩٢٢,٢١١,١١٧ .

[٤٥] للمزيد: ينظر، لوحة رقم (٥) ؛ وينظر، تفاصيل دينار سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) الذي ضرب في أَصفهان

[٤٦] محفوظ في متحف الفن الإسلامي بقطر بالرقم: ٦٠٨٢ .

أَمَّا **الطراز الخامس** ضرب بسنة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) من دنانير أَصفهان وجاء بالشكل الآتي :

الوجه الظهر



جاء هذا الدينار مشابها للطراز الأَوَّل أَيضا، وفيه اختلاف يسير في تسجيل لقب ملك الإسلام على جانبي مركز الوجه بدلا من أَسفل كتاباته، كما اختلف في وزنه أيضا إذ بلغ وزنه ٣,٤٤ غم وقطره ٢٧ملم[٤٧] .

وانفرد **الطراز السادس** من دنانير السلطان ملكشاه في أَصفهان الذي سك في سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) بميزة لن نشهدها على جميع نقود السلاجقة ، ولاسيما نقود السلطان ملكشاه التي سبقت هذا الطراز فقد بلغ

---

[٤٧] محفوظ في جمعية النميات الامريكية بنيويورك بالرقم: ١٩٢٢,٢١١,١١٨؛ للمزيد ينظر لوحة رقم (٦)

وزنه (٤,٦١ غم) وقطره (٢١ ملم) وجاءت نصوص كتاباته على النحو الآتي[٤٨]:

الوجه

المركز: لا إله إلا الله

محمد رسول الله

المقتدي بأمر الله

السلطان المعظم

ركن ال الدنيا

إسلام

معز الدين

ملك شاه

الظهر

المركز: الله لا اله الا هو الحي القيوم

لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات

وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا

بإذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم

ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء العظيم

وسع كرسيه السماوات والارض ولا

يؤده حفظهما

وهو

---

[٤٨] محفوظ في متحف الفن الإسلامي بقطر بالرقم: ٤٣٥٤ .

الهامش الداخلي: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بأَصفهان سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة .

الهامش الخارجي : (لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)

الهامش : هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

تكونت كتابات مركز الوجه لهذا الدينار من شهادة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، يليها لقب الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله، ثم أَلقاب السلطان ملكشاه: (السلطان المعظّم، وركن الإسلام، ومعز الدين، وملكشاه)، أَمَّا الميزة التي امتاز بها هذا الدينار، ولم تشهدها الطرازات السابقة فسجلت في الهامش الداخلي البسملة الكاملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذا من غير المعتاد على أَغلب النقود السلجوقية بخاصة والنقود الإسلامية بعامة؛ لأنَّ كل ما نشر من دنانير السلاجقة لم تسجل عليها البسملة كاملة وإنَّها جاءت بصيغة بسم الله فقط من دون التكملة، أَمَّا مركز الظهر فقد دوِّن فيه آية الكرسي (الاية٢٥٥ من سورة البقرة)، وهذه الآية هي من الآيات التي لجأ بعض الحكام لتسجيلها على النقود وذلك للتبرك بها وجلب الخير ودرء الشر، إذ ورد في تفسيرها أن الله انزلها وجعل ثوابها لقارئها عاجلا أو آجلا وقد ظهرت على النقود التذكارية للسلاجقة، كما استخدمها الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦ – ٥٧٥هـ / ١١٧٠ – ١١٧٩م) على دينار له

مؤرخ بسنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩م)، وقد يكون تسجيل تلك الآية بمثابة دعوة بان يدفع الله عنه ببركة هذه الآية المرض الذي أَصابه[٤٩].

وتميز **الطراز السادس** بميزة أُخرى هي تسجيل أَجزاء من الآيتين (٢٢،٢٣) من سورة الحشر في هامش الظهر ((هو الله الذي لا اله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر))، ويشير تفسير هذا الاقتباس إلى أَن الله (I) هو رب الوجود ولا اله غيره وأنَّه عالم الغيب والشهادة أي جميع الكائنات المشاهدة والغائبة ، وهو المالك للكون وما فيه والمتصرف فيه بلا شريك، وهو الذي ينصر من يشاء من عباده ويمكن له في الأَرض[٥٠]، ويبدو أَنَّ السلطان ملكشاه سجل هذا الاقتباس بعد نجاحة في السيطرة على بلاد ما وراء النهر في سنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)[٥١] .

وأَمَّا **الطرازان السابع والثامن** من دنانير السلطان ملكشاه اللذان سُكّا في دار سك أَصفهان فقد تشابها مع الطراز الأَوَّل الذي سُكَّ في الدار نفسها، بما سجل عليها من كتابات في مركز الوجه والظهر والهوامش مع الاختلاف في سنة السك والوزن، **فالطراز السابع** ضرب في سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)

---

[٤٩] رمضان: عاطف منصور محمد : النقود الإسلامية المحفوظة في المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة: ٢٠٠٧م)، ٤٢٨ .

[٥٠] يوسف: فرج الله احمد، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية ، ٢٥٩.

[٥١] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ٨ / ٤٥٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣ / ٨ .

وبلغ وزنه (٤٠٢٨ غم ، وقطره ٢١ ملم)[٥٢]. في حين أن **الطراز الثامن** ضرب في سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) أيضا واختلف عن **الطراز السابع** بوجود زخرفة تحيط بها ثلاث دوائر في أعلى كتابات مركز الوجه، وهذه الزخرفة لم تنقش على الطراز الذي سبقه، كما جاء غير معلوم الوزن والقطر[٥٣] .

ولهذا فإنَّ النقود السلجوقية التي سُكّت في دار سكِّ أَصفهان على عهد السلطان ملكشاه السلجوقي لم يحصل عليها أي تغيير جوهري في شكل القالب ونصوص الكتابات باستثناء تسجيل بعض الأَلقاب والكلمات التي ظهرت على بعضها ورفعت من بعضها الآخر، لكن التغيير الذي حصل على **الطراز السادس** كان تغييرا جذريا، ولم يظهر على النقود التي سُكّت من قبل، فربما كانت تلك التغيرات على ذلك الطراز لمناسبة أو حدث في تلك السنة حتى جاء بتلك الصيغة.

---

[٥٢] محفوظ في جمعية النميات الامريكية بنيويورك بالرقم: ١٩٧٢,٢٨٨,٨٨ ؛ للمزيد: ينظر لوحة رقم (٦).

[٥٣] مؤسسة النقد العربي السعودي، متحف العملات (الرياض: ١٩٩٦م)، ١١٠ .

الخاتمة: (النتائج):

لقد خرج البحث بجملة من النتائج نذكرها فيما يأتي:

١- من هذه الدنانير نستطيع التعرف على الكثير من الأَحداث التاريخية التي يكون فيها مجال للشك، إذ أَفصحت دنانير دار سك همذان عن معلومات جديدة في ميدان السكة الإسلامية للتعبير عن الأَحداث التاريخية المتمثلة بظهور لقب جديد للسلطان ملكشاه التي لم تذكره المصادر التاريخية، إلا وهو لقب (ملك الدين)، إذ لم يرد هذا اللقب على نقود ملكشاه بدور الضرب الأُخرى ولا على نقود غيره من السلاطين السلاجقة.

٢- وعلى الرغم من قلة ما توصل إليه البحث من نقود لدار سك همدان، إلَّا أَنَّ ذلك الطراز رسم صورة معبرة عمّا تزخر به تلك النقود من كتابات وزخارف، وامتاز ذلك من الطرازات الأُخرى من دور السك أَصفهان بوجود بعض الفوارق بينها، مثل رسم النجوم والنقاط المطموسة أَعلى كتابات ذلك الطراز، كذلك الفرق واضح بتسجيل بعض الأَلقاب التي لم تظهر على الطرازات الأُخرى .

٣- اتضح من إصدارات دار سك أَصفهان أن نقود السلطان ملكشاه قد امتازت بوحدة نقوشها وما كُتِبَ عليها مع الاختلاف البسيط عن بعضها، إذ رفعت بعض الكلمات مثل(عدل) و(أبو الفتح)على بعض النماذج وسجلت على نماذج أُخر، كذلك ينطبق الأَمر على تسجيل أَلقاب السلطان فمنها ورد عليها لقب أو لقبين وأُخرى سجلت جميع أَلقابه .

٤- التعرف على مدى الاضطراب النقدي والاقتصادي الذي عانت منه نقود السلاجقة ولاسيَّما الدنانير الذهبية من خلال ابتعاد نقودهم عن الأَوزان المتعارفة عليها، إِذ جاءت بعض الدنانير هذه المرحلة أَقل من الوزن الطبيعي، وأَمَّا بعضها الآخر فقد تجاوزت أَوزانها الطبيعية ممَّا يدلّ على ذلك الاضطراب الاقتصادي، وتعزيز ما توره المصادر التاريخية عن ذلك الاضطراب إِذ إن الاختلاف في الوزن يتبع حالة البلاد الاقتصادية الذي أثر بدوره على إِصدارات دار السك من الدنانير الذهبية .

٥- ظهور نماذج جديدة من الدنانير السلجوقية، فضلا عن ظهور أَلقاب جديدة اتخذها السلطان ملكشاه إِذ تبين من دنانير دار سك أَصفهان التي ضربت باسم السلطان ملكشاه أنَّ السلطان اتخذ لقبا جديدا على نقوده وهو لقب (شاهنشاه الأُمراء) على دينار سنة (٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) وهذا لم يظهر على النقود التي سبقت هذا الطراز ولا على النقود اللاحقة.

٦- تبيَّن من نقود السلطان ملكشاه التي ضُربت في بعض مدن المشرق الإِسلامي أَنَّها كانت من الدنانير والدراهم والفلوس النحاسية، لكن الفئة الغالبة منها هي الدنانير؛ لأَنَّ السلاجقة وعلى الرغم من أَنَّهم اتبعوا نظام النقود المزدوجة إِلَّا أَنَّهم مالوا إِلى التعامل بالدنانير الذهبية، كما أَنَّ تلك النقود أَفصحت عن مدى اتساع رقعة الأَراضي التي سيطر عليها السلطان ملكشاه التي شملت إِقليمي خراسان وبلاد ما وراء النهر.

عوامل اليقظة الفكرية الأوربية وأثرها
في البناء الفكري الاجتماعي الجديد

هادي محمد نجم الساعدي

المجمع العلمي العراقي

الملخص :

عني علماء الاجتماع بالتاريخ بوصفه أهم المعطيات الفكرية للعلوم الانسانية، الذي من خلاله يكون الاستقراء للمستقبل ووضع اللبنات الأساسية لحل مشاكل المجتمع المتجددة وبما إن التاريخ يعيد نفسه بشكل أو بآخر، فان من أهم مواده هي الحركات الفكرية والاجتماعية، وأسباب يقظتها وخمولها، وما تتضمنه من مصلحين ومفكرين لهم دور في حركة التاريخ.

المقدمة :

لقد أدت اليقظة الفكرية في القرون الوسطى الى انتقالات كبيرة في الحياة الاجتماعية، وقد أثرت بشكل كبير بما يحيطها من ثقافات بعد تأثرها بالثقافة الاسلامية بشكل كبير وواضح، وقد أفادَ مفكروها من قراءة التاريخ وإعادة مناهجه بشكل منتج، ومما ساعد في تقدم هذه اليقظة حركات ثقافية كحركة إحياء العلوم التي نفضت الغبار عن التراث الروماني واليوناني والإسلامي، وتمثلت بانتشار تقاليد وقيم جديدة عن طريق الفن والمسرح والتأليف والثورات أو مواجهة الدين المتمثل بالبابا، فتجاوزت بذلك عقدة الانطواء والمقدّس،

وكان لجهود الاندفاع الشبابي والجرأة في الطرح والبحوث والتساؤلات التي كانت تعد من المحرّمات، كما كان للثورة على الثقافات التقليدية واستبداد السلطة القيام بالإصلاحات والتجديد، التي كان من أهمها مواجهة رجال الكنيسة واستبداد الاقطاع ودكتاتورية السلطة، فقامت الكثير من الثورات لانتزاع حقوق الأفراد من براثم هذه القوى التي كانت تتمثل بالسيطرة المستبدة على الروح والجسد والاقتصاد، وظهرت الكثير من النظريات التي حققت نجاحات وانتشار أو فشلا وضمورا نتيجة مقاومتها أو ضعف طرحها، وكان من أهم رجالات تلك الحقبة، آدم سمث، وجون لوك، وجان جاك روسو، فكان من أهم نتاجاتها العقد الاجتماعي الذي بدأ على يدي جون لوك وتوج بكتاب العقد الاجتماعي لروسو.

لقد تأثرت اليقظة الفكرية الاوربية التي أرست قواعد العصر الحديث بعوامل يمكن إجمالها بالآتي:[١]

١ - الثقافة العربية الإسلامية بتياراتها الفكرية والفلسفية والعلمية والتطبيقية في مجالي التكنولوجيا والسلع المصنعة التي عملت على إنهاض الفكر الأوربي وخلّصته من مصيدة القرون الوسطى . للتدليل على فاعلية الفكر العربي الاسلامي في إيقاظ اوربا من سباتها في القرون الوسطى تزامن العديد من قمم الفكر العربي الاسلامي لمفكرين كان لهم السبق في نفض الغبار عن الفكر الاوربي وتحفيزه، وعلى الأخص في مراحل البدايات الصعبة التي شرع الفكر الاوربي يصارع فيها من اجل تحريره وفي هذه الأثناء

---

[١] راجع يونك، لويس، العرب وأوربا (مترجم) مراجعة شربل لبنان مجلة الفكر العربي.

كان العالم الأوربي في فجر نهضة جديدة استمرت الى يومنا هذا وماتزال. فابن خلدون كان معاصرا للمؤرخ الفرنسي فروسيه وللشاعر الايطالي بترارك وقد ولد بعد موت دانتي بإحدى عشرة سنة. وكان بين وفاة ابن خلدون واستنباط الطباعة ما يقرب من ربع قرن من الزمان. غير أن العالم الاوربي آنذاك كان قد قطع علاقاته بالعالم الاسلامي قطعا يكاد يكون تاما بعد ما أخذ عن العرب شيئا كثيرا من العلوم والصناعات .وسبب ذلك يعود الى ان النهضة الأوربية جعلت المفكرين والفلاسفة يرجعون الى الاصول اليونانية واللاتينية ويستغنون عن وساطة العرب. فضلا عمّا كان للحروب الصليبية الطولية من أثر في خلق الجفاء الفكري بين العالمين. وقد لعب هذا الظرف التاريخي دورا كبيرا في ابقاء ما كتبه ابن خلدون مجهولا لدى الأوربيين حتى بداية عهد الدراسات الاستشراقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يوم عاد علم الاجتماع فتأسس ثانيةً بمعزل عن مقدمة ابن خلدون[٢]

٢ -حركة إحياء العلوم (Renaissance). تعني حركة إحياء العلوم شيئا قد انتفت حياته ثم قام ثانيةً. وجرى تعميم مثل هذا التعبير عن الحركة التي وصلت بين القرون الوسطى في اوربا وبين العصر الحديث. اي بين عصور ميتة مظلمة وعصرٍ مشرق ذهبي معجز مثل الفجر الجديد للحضارة الاوربية الراهنة. لقد اهتم اليونان والرومان والعرب بالانسان ووسطه الطبيعي ومشكلات مجتمعه.

---

[٢] الحلو، عبده، ابن خلدون، مؤسس علم الاجتماع، ص١٤.

وهي اهتمامات حاول فكر القرون الوسطى الاوربي طمسها الى حدٍّ شطب حياة الانسان الدنيا بحجة إعداده واستعداده للحياة الاخرى. لذا فإنّ احياء العلوم يعني نفض الغبار عن التراث العلمي اليوناني الروماني العربي وأعاده الاهتمام بالانسان وحياته ومشكلاته. لقد تعددت الإسهامات في مثل هذه الاحياء التي مثل الفن أحد بداياتها.

٣ -فمثلا فيما رسمه ميكائيل انجلو في سقف كنيسة سستين (Sistine) مصورا قصة الخليقة التي يظهر الانسان فيها عاريا دون أن يخجل من فعلته هذه، مادا ذراعا قوية غير مقيدة نحو الحياة والضياء (٣).

حجزت القرون الوسطى الفكر فيها ومن مظان متعددة. إذ يمكن ان تطلب مثل هذه المعرفة على الأرض أو السماوات، بل حتى من خلال اعماق الروح الانسانية دفع هذا التوجه، في الرحلة الى الاعماق، بالعصر واهله الى الابتعاد عن السطح في الحياة والفكر والبحث عن متاعب العمق وصولا الى فهم افضل للمجاهيل، مع كسر للقيود المكانية باستكشاف مجالات ومساحات جغرافية جديدة كانت من المحرمات والمرفوضات نظرا لتقاطعها واهلها مع المعتقدات الضيقة للقرون المظلمة الأوربية والتي ظلت فاعلة لمدة الف سنة. لقد تجاوز العصر عقدة الانطواء على الذات والالتزام بحدود تقليدية وهمية للعالم. وبذلك شرع في السفر الى القارات الأخرى مما عمّق روح المغامرة والاطلاع ومن ثم المقارنة الأمر الذي دفع الى اعادة النظر في الكثير من صيغ الحياة

---

(٣) Chamliss, p.314

والمفاهيم البالية التي أغلقت الدائرة على القرون الوسطى واهلها. إذ أحسّ الأوربيون بأن هناك قارات أخرى في العالم غير قاراتهم بعيدا عن روما وباباواتها تتمثل في آسيا وامريكا والعالم الجديد وبذلك تنامت في مثل هذا العصر المتحرر صيغ حياتية جديدة منها:

١ -الاندفاع الشبابي وهي طاقة كانت تقيّد او تعوّق عن طريق زجها في معاناة زهدية ووضع تقشفي.

٢ -الجرأة في الكشف والبحث والتساؤل التي كانت تعدّ من المحرّمات حيث الأجوبة الجاهزة والمغلقة والمحدودة التي اعتمدت طيلة السبات الفكري في القرون الوسطى.

٣ -التطلع والتعرف والفضول في الاطلاع والفهم التي كانت من الممنوعات الا في أضيق الحدود.

٤ -الاعتداد بالنفس وتأكيد الذات وهي إحدى الخصائص التي حاربها فكر القرون الوسطى لترويض الذات ومن ثم إحكام السيطرة عليها.

٥ -الثورة على التقليدية والسلطة على الرغم من أن ثمن هذا كان يعني التعذيب والموت، إلا أن العصر قد بدأ بالفعل منازلة القدر ولابد لهذه المنازلة من تضحية احد نتائجها الانعتاق. وقد حفزت مثل هذه الصيغ الحياتية الجديدة على أن يزن ويقسي ويجرب ويتعمق بعيدا؛ للكشف عن حقيقة الاشياء في محاولة لبناء ذاتٍ جديدة تحمل مثل هذه الخصائص وتشكل البديل الافضل للذات المسحوقة المترددة المستسلمة المتوهمة التي سادت بصفتها نمطا لشخصية القرون الاوربية الوسطى.

٤ حركة الاصلاح (Reformation): على الرغم من ان حركتي الإحياء والاصلاح هما حركتان منفصلتان فإنهما في الواقع تمثلان ناتجا مشتركا للتطلع الانساني الجديد الذي شرع الانسان فيه للخلاص من العصر الوسيط وقيوده. والواقع فإنّ حركة إحياء علوم اليونان والرومان والعرب قد بلورت وعيا سياسيا جديدا مثل تحديا للسلطة التقليدية التي احتكرت المعرفة، موظفة إيّاها لتكريس تسلطها سياسيا. أما حركة الإصلاح فقد اتجهت الى المفاهيم التي ابتكرتها نفس هذه السلطة التقليدية التي وصل بها الأمر الى حدّ عدّها ذات مقدسة، يترتب ليس على كسرها، وإنما حتى التفكير بمناقشتها الوصم بالزيغ والانحراف؛ بل والكفر؛ وبذلك ولد الاتجاه المدني (Secular) تاريخيا، فإن حركة إحياء العلوم كانت أسبق من حركة التحول نحو الاتجاه المدني.

ومع انتشار ماردة الزنادقة السياسيين والدينيين تركزت كراهية الشعب، بل والنبلاء على كبار رجال الكنيسة هؤلاء وجيشهم العرمرم من الرهبان الذي كان يتزايد باستمرار، إذ كانوا يقفون عائقا في وجه الأمراء؛ لكونهم خاضعين للامبراطور. وكانت حياة اللذة والترف التي يحياها الأساقفة ورؤساء الاديرة وجيشهم من الرهبان تثير حسد النبلاء وغضب الشعب الذي كان عليه ان يتحمل نفقتها. وكلما ازداد غضب الشعب ازداد التناقض بين عظات رجال الدين وافعالهم (٤) .

---

(٤) انجلز، فردريك، حرب الفلاحين في المانيا (مترجم)، ص48 – ٤٩.

وبهذه الطريقة كانت تنساب كميات كبيرة من الاموال سنويا من المانيا الى روما . وأدى القهر المتزايد الناتج عن ذلك الى ازدياد الكراهية لرجال الكنيسة وأثار العواطف القومية وخاصةً لدى النبلاء الذين كانوا أشد الطبقات قوميةً يومئذٍ."

وعلى صعيد مدن القرون الوسطى فقد كانت هي الأخرى لا تمثل ثقلا في التنظيم الاجتماعي حيث توزع هذا التنظيم على قطبين الأول يتمثل بالنظام الكنسي الذي جمع بين السلطتين الدينية والزمنية وبين ريف مثل قاعدة اقتصادية تابعة للكنيسة الى حد الغاء المدينة ودورها السياسي والاقتصادي. الا ان التغيرات التي طرأت على تقسيم العمل في مجتمعات القرون الوسطى الاوربية وظهور حروف اخرى ذات جذر مدني أثر في مجمل التنظيم الاجتماعي ومهد لملامح جديدة في البناء الطبقي لتلك المجتمعات". ومع نمو التجارة والحرف انقسم سكان مدن القرون الوسطى الى ثلاثة مجتمعات، فكان يرأس مجتمع المدينة من يسمون بـ (الاشراف) وكان هؤلاء أغنى عائلات المدينة وكانوا هم وحدهم الذين يكونون مجلس المدينة ويحتلون كافة وظائفها. ومن هنا لم يكن هؤلاء من المتحكمين في دخل المدينة فحسب وانما كانوا هم الذين ينفقونه ايضا. أما كيف كان من السهل للفئة الصغيرة نسبيا ان تستولي على اكبر نصيب من دخل المدن، مستندة الى امتيازاتها والعلاقات العائلية والمصالح المشتركة فأمر يمكن فهمه، عندما يتذكر الانسان حوادث الاحتيال الكثير واغتصاب ممتلكات الآخرين التي كشفت عنها ثورة 1848 في كثير من ادارات المدن. "ولكن ما هو دور الفئات الوسطى التي حركها ظهور الحرف الجديدة التي اتخذت من المدن

وأسواقها النامية وسيلة لتأكيد ذاتها وتحقيقها أرباحها وبناء مكانتها الطبقية .." لقد انقسمت المعارضة للأشراف في المدن الى قسمين اتخذا موقفين متميزين تماما من حرب الفلاحين، فكانت هناك معارضة التجار واصحاب الحرف – أسلاف الليبراليين المعاصرين – وتتألف من أغنياء ومتوسطي التجار واصحاب الحرف، بل وفريقا من صغارهم يتفاوت وفقا للظروف المحلية، وكانت مطالبهم لا تتعدى الحدود الدستورية المعروفة .وفيما عدا ذلك وقفت معارضة التجار وأصحاب الحرف بحماس ضد رجال الكنيسة الذين كانت ابهتهم الفارغة وأخلاقياتهم المهلهلة تثير الازدراء المرير وكانت تطالب باتخاذ اجراءات لوقف هذه الحياة الفاضحة لهؤلاء السادة والغاء المحاكم الخاصة برجال الكنيسة وعدم إعفائهم من الضريبة كما كانت تطالب خاصةً بتخفيض عدد الرهبان[٥]

لقد صبّت ثورة الفلاحين في المانيا (1525– 1524) بما انتزعته من حقوق وبما نبهت اليه من مظالم في التيار الإصلاحي الذي تحوّل الى اتجاه قوي تحرك بفعل قضايا محددة كان لابد من إثارة الجدل حولها .في مقدمتها إعادة ترتيب المجتمع الانساني وتقسيم جديد للقوة والمنافع والمراتب الاجتماعية. وهي البذور الاولى التي غذّت المراحل الجنينية للنظرية الفلسفية التي مهدت لظهور علم الاجتماع . الا ان مثل هذه التغذية المباشرة والمؤثرة في المراحل الفكرية المبكرة للفكر الاجتماعي لم تكن لتصبح حقيقة دون تأثرها بعقلية مازال تأثيرها حاضرا في الكثير من الأفكار والإجراءات التي تشكل جانبا مهما في الحياة الراهنة "انه نيكولو ميكافيللي

---

[٥] انجلز، فردريك، حرب الفلاحين في المانيا (مترجم)، ص٥٢

(1469– 1532م) الذي مثل إحدى القوى السياسية الفاعلة التي جعلت من الحركتين (احياء العلوم والإصلاح) تيارا يتجاوز الإصلاح نفسه الى التغيير. لقد ولد ميكافيللي في ايطاليا نفسها حيث القاعدة التي انطلق الاصلاح منها. [٦] لقد كانت العلاقة بين ميكافيللي قوية الى الحد الذي عاش عصره فيه حيث صوّر احداثه بدقة في كتابه (الأمير) (1519) وتمتد جذور كتاب ميكافيللي (الأمير) في تاريخ الفترة التي عاش فيها . إذ إنه لم يكن من الناحية الاولى كاتبا او صاحب نظريات بل كان مشتركا فعليا في الحياة السياسية المضطربة وغير المستقرة التي مرت بها مدينة فلورنسا . ولم يتوفر لنا الا القليل عن دراسة ميكافيللي الشباب في صباه ولكن في وسعنا ان نفترض انه تثقف ثقافةً مأثورة كغيره من ابناء عصره .فعثر على مثله العليا في تاريخ الرومان وقرأ الترجمات اللاتينية لمختلف الكتب الاغريقية القديمة[٧] لقد مثّل ميكافيللي نمطا جديدة لنخبة افرزتها حركة احياء العلوم بعيدا عن الكنيسة ومعرفتها الدينية . فقد استوعب الكثير من الكتب الرومانية والترجمات اللاتينية للكتب اليونانية. في عودة ذكية للماضي الفكري الذي حالت ثقافة القرون الوسطى بينه وبين الانتفاع به.

وبذلك تضافرت مفرزات ثورة الفلاحين في المانيا وكتابات ميكافيللي، لك تعلن نهاية عصر قديم وبداية آخر جديد . إذ في الوقت الذي زعزعت فيه ثورة الفلاحين الالمانية التراتب الطبقي القليدي في مجتمع القرون الوسطى، محوّلة الاذهان الى إمكان تغيّر المجتمع ونبذ قدسية استمراره وركوده، وان

---

[٦] Foster, M. p.271

[٧] ميكافيللي، الأمير، تعريب خيري حماد، ص11

مثل هذا التغير يمكن ان تتولاه كتل (Masses) تحتل مراكز متدنية في السلم الاجتماعي، فإن الدولة تتصرف على وفق صيغ تحركها مصالحها الذاتية، مما يوجب عليها ان تستوعب شروط اللعبة (Rules of the Game) وبذلك فصل ميكافيللي وعلى نحو قاطع بين الكنيسة والدولة . بمعنى انه وضع الأسس لعلم السياسة الحديث في الوقت الذي حكرت فيه ثورة الفلاحين في المانيا نزعة الاهتمام بالمجتمع وبالنظام الاجتماعي بالذات . وبذلك نمت البذور الاولى التي انتجت الفكر الفلسفي الحديث الذي شكل قاعدة الانطلاق للفكر الاجتماعي ثم لعلم الاجتماعي.

المبحث الأول

التعاقد الاجتماعي عند توماس هوبز (١٥٨٨- ١٦٧٩)

وجد توماس هوبز نفسه في خضم حركتي إعادة بناء الدولة القومية (الحركة السياسية) وإعادة بناء الصرح الفكري (الحركة العلمية)

الافتراضات الرئيسية لأفكار هوبز

كما ان معرفة هوبز العلمية كانت محدودة ومقتصرة على مجالي الفيزياء والعلوم التطبيقية، على الرغم من انه عدّ الهندسة العلم الصحيح والكامل؛ لذا فقد حاول ان يصل بالعلم السياسي الى نفس المستوى من الكمال. وجاءت الصورة الاولى لفلسفته في كتاب (مبادئ القانون الطبيعي والسياسي) الذي دونه سنة 1640 م وقسمه الى ثلاثة أقسام، الأول في الطبيعة الإنسانية او المبادئ الاساسية للسياسة. والثاني في الهيأة الاجتماعية والثالث في

المواطن. وبعد عشر سنوات من نشر كتابه(ليفثان) أو (في المجتمع الكنسي والمدني مادة وصورة وسلطة) .

وفي عام نشر كتابه في الانسان (1658) الذي كرس القسم الأكبر منه للبصريات لتوضيح حاسة البصر والباقي بيان موجز في اللغة من الوجهة النفسية وفي الانفعالات فتمّ بهذا الكتاب مذهبه [٨] والواقع ان حركة إحياء العلوم (Rensaissance) العطاء المعرفي للقرن السابع عشر فتحا افقا فكريا جديدا في اوربا في التساؤل والشك والتتبع التجربة والتفكير بأنماط جديدة من العلاقات في السياسة والاجتماع . كان من نتائجها المؤثرة كتابات هوبز وبالذات كتابه لوياثان الذي حاول فيه ان يجابه اكثر المعضلات عمقا وتعقيدا في ذلك العصر وهي المشكلات السياسية؛ لذا فإنّ الكتاب يمكن عدّة أحد اهم الكتب في النظرية السياسية. فقد أكد هوبز نفسه وفي هذا الكتاب بالذات ان مقاله في السلطة المدنية والدينية دفع الى كتابتها ما يشيع في هذا العصر من اضطراب. أما صفحة عنوان هذا الكتاب فتحمل صورة تمثل منظرا طبيعيا لفضاء ريفي يعلوه مشهد في وسطه شخص متوج ضخم الجثة يبرز نصفه الأعلى بذراعين ممتدين .تمسك يده اليمنى بسيفٍ عظيم في حين تمسك اليسرى بصولجان الأسقف (Crosier) أما جسم هذا الشخص فإنه مكوّن من حشد مندفع من صغار البشر، ظهورهم الى القارئ اما عيونهم فإنها مسمّرة على الشخص ذي الوجه الجامد، وقد كتب تحت الصورة لوياثان مادةً وصورة وسلطة المجتمع الكنسي والمدني [٩]. ويضم

---

(٨) يوسف، الدكتور كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٥٠-٥١

(٩) Boele, G. p.322.

لوياثان هوبز أربعة أقسام اطلق على الأول منها اسم، عن الانسان، يشمل ستة عشر فصلا تعكس السمة الفكرية لكتابات القرن السابع عشر التي تغلبت عليها صفة الكشف عن معرفة الانسان وتركيبه النفسي. في الوقت الذي ركزت فيه الفصول من الثالث عشر وحتى الخامس عشر في هذا القسم بالذات على قوانين الطبيعة والجذور الخاصة بالتعاقد الاجتماعي. اما القسم الثاني من الكتاب فإنه يوضح الركيزة الأساسية لفكر هوبز السياسي عنوانه، الرابطة او الحكومة (الاتحادية) وهو نمط للنظام السياسي الذي جاء به كرمويل واستمر خلال حكم ابنه (1649 –1660م) في حين أعطى هوبز للقسم الثالث – بعد الإطاحة با لملكية في انكلترا عنوان السلطة الدينية، وحيث تضم الفصول من الثاني والثلاثين وحتى نهاية القسم آراء هوبز الدينية، وفي القسم الرابع والأخير من الكتاب الذي أسماه هوبز مملكة الظلام شرح فيه الكتاب المقدس والمعتقدات المتصلة بالارواح الشريرة مع هجوم على الكنيسة الكاثوليكية، منهيا لكتاب بملخص قصير وخاتمة[١٠] .

لقد حاول هوبز في اللوياثان(السلطة المطلقة) ان يوظف المساواة الهندسية او العدالة التي كانت أحد الهواجس الفكرية لنخبة القرن السابع عشر في المجال الساسي، حيث اختزل حل المعضلة السياسية لعصره كالآتي: الوصول الى قدرٍ من المهارة لتحقيق الرفاه العام باتباع بعض القواعد المستخدمة في الرياضيات والهندسة ليس كتلك المطبقة في لعبة التنس، وإنما عمليا تلك التي تتناول الاشكال الآتية :إن فقراء الناس ليس

(١٠) I bid, p.323

لديهم ما يروحون به عن انفسهم في الوقت الذي يفتقر الذين لديهم ما يروحون به عن انفسهم الى التطلع والدافع نحو ذلك.

وبذلك لم يترك هوبز مجالا للصدف أو الاحتمالات وإنما جمع في فكره بين المادية في الافتراضات والميكانيكية في التعامل .فهناك حالة طبيعية قاسية تجاوزها الانسان عن طريق التعاقد الذي نتج عنه تنظيم هذه الدولة، وهو المجتمع، إذ إن أصلهما واحد وهو التعاقد نفسه.

الا ان مثل هذا التعاقد يبقى ناقصا إذا لم يكن هناك حاكم .هذا الحاكم وبصرف النظر عن نظام حكمه، ملكيا كان او برلمانيا او ممثلا للأغلبية، فإنه يجب ان يكون رأس هذا النظام قويا متسلطا جامعا للسلطة بكاملها لا يتعرض للمسؤولية والحساب؛ لأنه ليس طرفا في التعاقد وانما هو الضامن لهذا التعاقد والمسؤول عن استمرار فاعليته .وهناك جانبٌ من تفكير هوبز الاجتماعي جدير بالاهتمام هو تأكيده على أهمية الضبط الاجتماعي من خلال الالتزام بواجبات المواطنة إذ يؤكد" إن الانسان وبفعل قبوله بالنظام الاجتماعي .فإنه يتقبل ضمنا التعاقد الاجتماعي [١١] .

جون لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤) ومعطيالته الفكرية

إنّ الكثير من الأفكار التي تعيش معنا في قرننا العشرين تعود بجذورها الى القرن السابع عشر، ذلك القرن الذي شهد انتعاش مثل هذه الأفكار . الواقع ان التوجه العلمي لم يكن قد قبل في ذلك العصر، الا ان الكثير من

---

(١١) Elwood, C.A, A history of Social philosophy, p.124

أفراد النخبة العلمية قد فرضوا حضورهم على القرن. كان منهم باكون وغاليلو وديكارت وهارفي وكلر وباسكال ولوك وسبينوزا ولايبنتز، الذين تمكنوا من المساعدة في إعلاء اهمية التوجه العلمي الذي بقي يحتفظ بولاء لهم حتى الوقت الحاضر(١٢) وبذلك يعد القرن السابع عشر الميلادي الحد الفاصل بين عهدٍ لم يكن للعلم فيه مكانة وبين عصرٍ كان للعلم فيه مكانة وتميّز، توّج بما توصل اليه إسحاق نيوتن من فتح علمي في مؤلفه مبادئ الرياضيات الذي نشره سنة 1687 والذي عدّ تتويجا للقرن بكامله.

ولم يقتصر هذا العصر على الارتفاع بالمعرفة العلمية الى مستويات متميزة فحسب، وإنما حفل بحلول لكثير من المشكلات، منها السياسية والدينية والاقتصادية والفكرية .وكان نصيب بريطانيا كبيرا من هذه الحلول . فقد أخذت الصيغة البرلمانية في الاستقرار في الوقت الذي حدّ من سلطة الملك . كما سادت روح من التسامح الديني حيث اقرت حرية الرأي والعبادة وبالتالي التسليم بقدرٍ من الحقوق الانسانية مما يمكن عدّ هذا القرن الحاضنة للعديد من الأفكار الليبرالية التي تعدّ بريطانيا موطنها.

وفي القرن نفسه (السابع عشر) تم الجمع بين الإقرار بأهمية العلم والإقرار بحرية الانسان، وتحديد سلطة الملك وسطوته الملكية مع اعتراف بالحرية الدينية. وفي ذلك وجد جون لوك" وهو أهم كبار ممثلي النزعة التجريدية الانكليزية، جاء بعد هوبز وبيكون وكان أعمق منهما في توضيح المذهب الحي والدفاع عنه، فاستحق ان يدعى زعيمه في العصر

---

(١٢) Chambliss, p.342.

الحديث [١٣] وفي الوقت الذي اكدت فيه المدرسة الافلاطونية ان التجربة لا توفر المعرفة الحقة الا انها اهتمت بالعلم ورفعته فوق الحس، وان الاخلاق انما ترتبط بالواقع وليس بالمثال .وقد عارض لوك هذا الاتجاه ولاسيما انه اوكسفوردي التوجه اشبه الى ارسطو طاليس "دخل اوكسفورد وقضى بها ست سنوات يتابع الدراسات المؤدية الى الكهنوت، ولكنه لم يتذوق الفلسفة المدرسية ولم يهتم بالفلسفة الا حين قرأ ديكارت وجاندي، وبدا له ان الجهة الاخلاقية من الدين أجدر بالعناية من الوجهة الاعتقادية، فاتجه الى الطب دون ان يتقدم للدكتوراه [١٤] ولم يكن مثقف القرن السابع عشر في بريطانيا بمعزل عن الحياة العامة "وكان جون لوك مثاليا حاول ان يستبدل حق الملكية المقدّس بملكية الحق المقدّسة. وهو أحد الشخصيات المهمة على مسرح التاريخ الذي شهد الانتقال من الملكية المستبدة الى الديمقراطية .فقد كان رسول الثورة البريطانية التي شبّت في سنة 1688 م بل نبي الثورة الامريكية في سنة 1776 م" [١٥]

لقد انضم لوك الى حزب الأحرار (Whigs) الذي مثل الفئات التجارية وأصحاب رأس المال من ذوي الطبقة الوسطى النامية .في حين كان الحزب الذي يعضد الملك هو حزب المحافظين (Tories) الذي يحتل الوقع الاول للمسؤولية مما أثار عليه حفيظة حزب الاحرار الذي طمح الى ممارسة دورٍ

---

[١٣] كرم، يوسف، ص116

[١٤] كرم، يوسف، ص137

[١٥] هنري توماس، ت . قدري أمين، م. زكي نجيب محمود، أعلام الانس وكيف نفهمها، ص2

أكثر فاعلية في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في بريطانيا في تلك الفترة، مما يتفق وتطلعات جون لوك الذي كان ميالا الى ان يتحول من صعيد النخبة المفكرة الى صعيد النخبة المدبرة، وان يمارس دورا أكثر فاعلية في حياة بلاده السياسية . على الرغم من ابتعاد لوك عن السياسة وحصر جهده الفكري في مجال التدريس في أوكسفورد" فقد كانت العيون تحيط به من كل جانب ثم حدث ان بلغ اسماع الملك ان لوك قد الف كتيبا يدعو فيه الى الثورة ضد الطغيان فأخذ الجواسيس يلعبون دور طلبة يدرسون عليه الفلسفة ثم يحاولون جره الى الدخول في مجالات تنم عن عدم ولائه للملك."

المعطيات الفكرية عند جون لوك

لقد كان القرن الذي ينتمي اليه لوك مرحلة اهتمام بالإنسان وقدراته وما يرتبط بها من حرية وصلاح؛ لذا فقد كرّس أهمية التأكيد على العقل الانساني في تكوينه وتوظيفه وتنميته. "ويتكون العقل كما قال لوك من جانبين : الأول البحث في اي الأشياء نعرفها، والثاني هو البحث في أي الأشياء نعتقدها . أما الجانب الأول فيتناول ما نعرفه معرفة اليقين، واما الثاني فيتناول ما نعرفه على سبيل الاحتمال .وما دامت الاحتمالات ليست حقائق يقينية فعلينا ان لانفرض معتقداتنا على الآخرين.

فأقرب الوقفات الى القول هي وقفة الانسان من الانسان على اساس من البر وسعة الصدر المتبادلين وليس هناك من داعٍ يمنع الانسان من المحافظة على السلام والقيام بالخدمات الانسانية العامة ومقتضيات الصداقة، مهما تعددت الآراء .فلا تحاربوا من اجل اختلافكم في نظم الحكم او في العقيدة، بل حاولا ان تقنعوا اخوانكم بمنطق العقل ثم اعطوهم الفرصة

ليقيموا بأنفسهم البرهان على صدق افكارهم، فمن الخير الا نعامل الآخرين على انهم معاندون منحرفون، اذا لم يقلعوا عن آرائهم ويعتنقوا آرائنا، وخاصة اذا كان من المرجح جدا إننا لا نقل عنهم عنادا في عدم الأخذ ببعض آرائهم . وليس هناك فرد واحد، مادامت الطبيعة الانسانية غير معصومة من الخطأ، له الحق في ان ينصب من نفسه معيار الحق الاوحد [١٦]

ويظل يؤكد لوك في أفكاره احترام الرأي المقابل والمعاند انعكاسا لما مرّ في حياته من تبدلات، وعلى الصعيد السياسي بالذات مما أوصله الى قناعة هي ان الدخول في حوار مع الآراء على الرغم من تباينها تعني في المحصلة تقاربا هو أكثر واقعية من الانسجام الذي يأتي عن طريق رفض الأفكار المخالفة والعمل على تجاوزها لخلق انسجام مفتعل . مثل هذا التوجه الفكري لدى لوك وحبه للتوفيق والاهتمام بالرأي، والمعاند بالذات، دفعه الى إعلاء شعار أهمية التسامح". وقصارى القول انه يجب علينا ان نهدف الى التسامح الذي نتعاون به .فإنه عن طريق التفاهم المتبادل والاحترام المتبادل لوجهات النظر، عن هذا الطريق وحده نأمل ان نقترب من الحقيقة . وقد قال لوك انه بدلا من ان نقارع بالحجج، فلنتعلم كيف نتعاون على اقامة الحجة معا."

إنّ جون لوك في تقديمه لآرائه هذه انما كان يتحرك على وفق حركة منهجية كانت قاعدة انطلاقتها الاخلاق، حيث يتم بناء سلوك الفرد. تليها مرحلة ثانية خاصة بالسياسة، ويريد بها لوك العلاقة بين الافراد، ثم ينطلق من هذا المستوى المحدد بتوظيف المبادئ الاخلاقية على صعيد عالمي؛ وذلك لتنظيم العلاقة بين الأمم.

---

[١٦] توماس، هنري، المصدر نفسه ص٢ .

أما فكرة الحكومة المدنية (Civil State) التي تأتي نتيجة تعاقد اجتماعي (Social Contract) ذات جذر قديم .فقد ظهرت في كثيرٍ من كتابات المفكرين العرب واليونان والرومان .وفي القرون الوسطى التي سبقت لوك حيث نجدها في أفكار جان جاك روسو وغيره من المنظرين السياسيين . اما بالنسبة لجون لوك فقد مثلت بدايات يمكن ان تفهم على النحو الآتي إنما تطور عادة وبواسطة التعاقد الاجتماعي من مرحلة الوضع الطبيعي. إلا أنه اختلف في النظرة الى هذا التعاقد قياسا بأغلب مفكري القرنين السابع عشر والثامن عشر، إذ). اسند نسقه السياسي على اساس من القانون الطبيعي أمكن التعرف عليه في ضوء العقل[١٧] وعلى ذلك فإن حقوق الفرد يجب أن تحميها الدولة لا أن تقيدها. كما انه ليس للحاكم سلطة مقدسة، كلا ولا لديه مبرر خلقي يسوغ له ان يجعل من نفسه حارسا على أخيه .فالناس سواسية أمام الله ويجب ان ينظر اليهم هكذا في ظل القوانين السياسية للحكومة . فالطريق الامنة الوحيدة أمام الناس إذن هي ان يتحدوا فيما بينهم ويشكلوا حكومات تقوم على موافقة الأغلبية تؤدي مثل تلك الحكومات وظائفها خدمة للشعب وتكاليفها يتحملها الشعب. اما الضرائب فلا تجمع الا بموافقة الأغلبية . وقد أعلن لوك ان هذا النوع من الحكومة القائمة على إرادة أغلبية الشعب يجب ان يسمح بحرية الكلام والفكر والانتخاب والشعائر الدينية. ولكي يحال دون هذه الحكومة الديمقراطية من ان تسرف في استبدادها بالرأي ينبغي ان يحدّ من سلطاتها نظامٌ لمراجعة أعمالها وتوازن سلطاتها . لهذا يجب ان تقسم الحكومة الى ثلاث سلطات، التشريعية والتنفيذية والقضائية،

---

(١٧) Chambliss, R. p.354

على ان تكون السلطة التشريعية هي السلطة العليا في الدولة بين هذه الفروع الثلاثة[١٨] .

آراء جان جاك روسو وأهميتها للفكر الاجتماعي

مثل جان جاك روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨) في حياته قلق عصره وانعكست عليه مشكلات هذا العصر وعقبات مجتمعاته . لقد افتقر روسو الى وضوح الانتماء، فقد ارتبط بجنيف عن طريق الأصل الى انه تكامل في فرنسا فكرا وتأثيرا .كما انه تنقل بين اكثر من نحلة دينية من خلالها مرّ بأكثر من تجربة كان دافعها هو الوصول الى الحقيقة عن طريق التعامل الحسي المباشر مع مثل هذه الاتجاهات التي هي الاخرى بدأت بالتراجع منذ أن سادت حركة الاصلاح، مما سمح للفرد بالحركة والاختيار .." أخذ روسو ينتقل في صباه على غير هدى من مدينة الى مدينة أخرى بحثا وراء نفسه المظللة حتى بلغ ابواب دير في مدية تورين حيث عرض على القائمين بالأمر هناك رغبته في تغيير مذهبه الى الكاثوليكية كما اعترف، لم يكن ما ألقى به في احضان الكنيسة جوعا روحيا وإنما جوعا ماديا فكانت) فعلتي الورعة في حقيقتها فعلةً من قاطع طريق .(ومن الكاثوليكية عاد مرة اخرى الى البروتستانتية ثم لم يلبث أن هجر جميع المذاهب المعترف بها ليحيا وحيدا مع ضميره ومع الله [١٩].

---

[١٨] توماس، هنري، مصدر سابق، ص24

[١٩] توماس، هنري، مصدر سابق، ص2.

المصادر

١ -عبده الحلو، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، بيت الحكمة، بيروت، ١٩٦٩.

٢ -فردريك انجلز، حرب الفلاحين في المانيا، ترجمة محمد أبو خضور، دار دمشق للطباعة والنشر، ١٩٦٩ .

٣ -لويس يونك، العرب وأوربا، مراجعة شريل لبنان، مجلة الفكر العربي، العدد ٣١، بيروت ١٩٨٣ .

٤ -نيكولي ميكافيلي، الأمير، تعريب خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، ٢٠٢٠.

٥ -هنري توماس، ت. قدري أمين، م. زكي نجيب محمود، أعلام الفلاسفة وكيف نفهمهم، دار النهضة العربية، مصر ١٩٦٤ .

٦ -يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢ .

European Intellectual Awakening Factors and Their Impact on the New Social Intellectual Structure

Hadi Mohammad Najm
Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

Social scientists have been interested in history as the most important intellectual data of the humanitarian sciences, through which the induction of the future is made and the basics for solving the renewed problems of society are put. Since history repeats itself in one way or another, one of its most important materials is intellectual and social movements, the reasons of their awakening and inactivity, and the reformers and thinkers it contains, who have a role in the movement of history.

Minting Dinars During the Reign of Sultan Malikshah of the Seljuk in Isfahan and Hamadan Cities (465-485 AH/1072-1092 AD)

An Analytical Historical Study

Assis. Prof. Dr. Hussein Ibrahim Muhammad
College of Education -Aqrah / University of Duhok

Assis. Prof. Dr. Hatim Fahad Hano
College of Arts / University of Mosul

Abstract:

The Seljuk dinar was one of the coins that the Seljuks dealt with in their daily dealings alongside other coins of silver and copper, but the majority was gold. As the Seljuk sultans minted the gold dinar since they came to power and registered their names and surnames on them alongside the titles of the Abbasid caliphs and cared about them and their enemy is the second emblem after the sermon for the sovereignty of the Seljuk state. They minted many of them in different cities of the region that they controlled, with different weights and diameters, as well as minted some of them on different occasions. These dinars indicated the political, religious, social and economic orientation of the Seljuk through what was written on them of writings, symbols,

letters, words and inscriptions and they were considered as an important media used by the state at home and abroad to spread its authority over some regions of the Islamic world.

The research examined these types of Seljuk dinars in terms of what was written on them, writings and phrases, and analyzed and linked their writings to the historical events.

It was divided into an introduction, a preface, two sections and a conclusion. The researchers discussed in the preface the origins of the Seljuks and the establishment of the state. As for the first section, it dealt with the dinars that were minted in Hamadan during the reign of Sultan Malikshah. The research ended with the most important results it came up with.

The Book of (The Sayings in Al-Begal) by Al-Jahedh (d. 255 AH) – Formation, Authentication and Significance

Dr. Ahmed Juma'a Shwan
Dr. Adnan Amin
College of Arts / University of Imam Ja'afar Al-Sadiq / Kirkuk Branch

Abstract:

This study aims to conclude a balance among three investigators which has been conducted on the manuscript entitled (The Saying in Al-Begal) by Abu Othman Al-Jahedh to reveal the advantages and disadvantages for each investigator. Also this study is enriched by information about the word (begal) from the ancient and modern linguists in Arabic and other Semitic languages to comprehend it in formation, authentication and significance.

The Effect of The Secular Meaning on Grammatical Thinking of Sibawayh

Prof. Sami Al-Mady
College of Arts / University of Al-Mustansiriyah

Abstract:

Most Arabic studies seek to clarify the meaning of grammatical structures that are a means in the process of linguistic communication between the speaker and the recipient through that rhetorical process represented by the text message between the two sides of the speech, and for this reason the curricula of the students competed to reveal its content through various means and curricula, including Arfanian method which seeks to study the language through a set of cognitive relationships as well as being a linguistic term whose appearance has been linked to a group of linguists who have been interested in what is known as the correlative relationship between language and mind, and the focus also between that relationship and its surrounding external things.

The research on the meaning and its shadows was clear in Arabic studies since the early synthesis of syntax, and this was evident to Sibawayh, as he was the pioneer of grammatical thinking in the language after

his teacher, Khalil Bin Ahmed Al-Farahidi, and what he left in his book was the best evidence of what the researcher claimed, as he handled most of the linguistic levels, if not all, through various means and mechanisms, the most important of which was speaking about eloquent Arabs, as he disclosed in many positions about this, including: (I heard those who trusted his Arabic, and Alkalil told me, and I heard an expression, and Al-Akhfash, and others) of the terms which indicates that he took the language from the mouths of the eloquent. These terms are only the basics in creating the knowledge platform like Sibawayh's mentality, which led others to describe those who read his book as (did you ride the sea), and in light of this he built his cognitive blog, as he established a new vision for the grammatical way of thinking regardless of what was said from the external influences, whether they were related to Aristotelian logic or philosophy, or otherwise ... and the inspector of his production finds it has gone according to a cognitive relationship that combines language and its surroundings as well as the linguistic taste in the process of linguistic communication taken from the relationship of language to thought based on the integrity of the meaning, and it can be said that he used rhetorical criteria that were to determine the speaker on his paths of custom, especially in the shadows of Arfanian meaning, which is one of the foundations - as the researcher claims - and this is what

distinguishes his inexhaustible cognitive achievement from research to the present day.

Perhaps the research in the field of grammatical meaning is the same that reveals these structural relationships between our mental activity and our linguistic use, and that this matter determines the direction of the meaning and its shadows in the understanding of the text, and ultimately it determines the process of linguistic communication, because the grammatical meaning depends on the amplitude of the imagination of the speaker in addition to the recipient, as it shows a lot of mental perception of the speech, it is the essence of Arfanian meaning, which is a common link in the process of linguistic communication between the speaker and the recipient, and since the meaning and imagination adhere to mental perception, it is necessary to visualize that perception in time and place, and this completes the relevance of communication, so time, space and method are the cognitive references that determine the nature of our understanding of that composition or the perceived object. Therefore, the epistemological meaning finds that saying, understanding, imagination and incarnation are essential bases of the awareness of meaning. Hence, the researcher finds a great link between cognitive perceptions and mock representations in grammatical thinking at Sibawayh, represented in a set of paths - as the researcher claims - including good Arabic, representation and did not speak with it, and used in

their speech, and ugliness in the meaning, and the amplitude of the speech, and others. ...). These paths also have criteria, including will, intention, intention in the meaning, context of the situation, etc. ... The researcher has pursued in the research an analytical approach based on three topics and a preliminary introduction as well as the conclusion and the references.

Scientific Trends in The Book of (Nahj Al-Balaghah) By Imam Ali "Alyhalsalam" A Systematic Study

Prof. Dr. Fatima Zabar
Center of Arabic Scientific Heritage Revival / University of Baghdad

Abstract:

Imam Ali "Alyhalsalam" has worked on identifying some of the basic features of sciences in a systematic method based upon the analytical method base of that phenomenon, to unify the aims that stand on the scientific structure base of that information in the light of the apparent that were found on, and reinforced it by what served it with what is available and on top of it Al-Qura'an Al-Kareem and Al-Hadith Al-Nabawi Al-Shareef to promote such information in order to be clarified and delivered to the target which is the righteousness of the state of nation.

The Introduction of Membership in The Technical Artistic Experiment of The Poem - An Applied Research to (The Large Unit) Concept-

Prof. Dr. Ali Kadhim Asad
College of Education for Islamic Sciences / University of Baghdad

Abstract:

This research studies the authenticity provided in the text of Mutanabbi, excluding him from the tradition prevailing, it appears his text of one unit not as two units: introduction and main purpose, but his entire poem's main purpose as one unit and there is no subjective or objective, but both as one thing.

“ Alsawrafya ” and ” Alsawnahya or Alsawtarya” - Arabic Alternatives in the Dictionary of Contemporary Arabic Language – Study and Application

Prof. Dr. Sadek A. Abu Soliman

Abstract:

This research aims to study the terms indicating the phenomenon of sound changes that affect a word without changing its semantic or functional meaning. This phenomenon has drawn the attention of Arab linguists throughout the ages in the fields of phonology, morphology, recitation, intonation and readings. It also aims to take into consideration the foreign linguistic term "Morphophonemics", which denotes this phenomenon, its synonyms and Arabic translations, and to invite the linguists to use the term" Alsawrafya" as an Arabic equivalent to the foreign term and its synonyms.

Although the ancient Arabic linguistic thought did not refer to the Morphophonemics using a particular term characterizing its methodology in the study of the structure of words, it has studied its contents in morphology. In addition, it has studied what was thought to be a contemporary foreign achievement. According to the researcher's approach in scrutinizing

and distinguishing between similarities and not confusing their indications, he believed in the importance of creating two new linguistic terms and spreading one or both of them in the contemporary Arabic linguistic field to use one of them to indicate the sound change resulting from two or more successive words in one structure without affecting the meaning. These two new terms are: “Alsawtarya “ that refers to sound changes in a structure for those who chose the term "Syntax" and “Alsawnahya” that refers to “grammatical sounds“ for those who chose the term Grammar.

The Wager of Fragmented Identity
A reading in The Secret Report of King Faisal I in 1932 About The Iraqi Situation in View of The Theory of Genetic Structuralism

Prof. Ismail Noori Mseer
Dean of Faculty of Arts and Sciences / Ahlia University/ Bahrain

Abstract:

Reading was directed towards studying the report of King Faisal I, which he put on the issues going through the Kingdom of Iraq in the light of the succession of crisis and the critical situation it was experiencing. Thus, the king directed, through the limited circulation report, the intended category: the political elite and the governors close to the narrow circle of government. King Faisal I put a series of frank views that reach the direct shock. He preferred to use the method of disclosure and professing, and he practiced the effectiveness of free association by providing his views and perceptions on the style of governance and required management. The King, in the report, concerned the ministers and men of confidence. The goal was to tackle the biggest obstacle: the fragmentation of national identity, where sectarian and

ethnic differences had swelled and became a major obstacle to any progress the country can make.

In order to find a scientific analysis of this report, the study aimed to apply the methodology of Genetic Structuralism according to the ideas developed by Lucien Goldmann, because of its scientific flexibility that contributes to the detection of many of the subtleties of the text. The aim was to invest the concept of Comprehension, in order to see the social significance of the text to reach the level of Explication where the endeavor to distinguish the existing relationships between social, historical, political and economic structures, and the mutual influence between them in terms of reality. And tried to reveal the circumstances of Collective Awareness, through the observation of semantic structure, which was a fragmentation of identity where the conditions of conflict between the components of sectarian and ethnic. A structure that only knew the generation of more substructures, which were an obstacle to the structure of the state and the way of looking towards the future.

One of The Problems of The Arabic Manuscript: Conflict in The Title and Ascription

Prof. Dr. Zuhair Ghazi Zahid
Al-Najaf Al-Ashraf

Abstract:

One of the problems that came out of the Arabic manuscript, which lived its history between fear of the manuscript itself and fear for it, that reached to us after facing events of ages and burning, the names of missing books, left parts or some parts of the books and dropped title sheet or intentionally dropped title sheet, moreover, some of the manuscripts had an imaginary author's name due to intentional reasons or the fear for it. However, the topic goes on with many examples of that. One of the problems suffered by the investigator is the dispute over the title and the ownership of some manuscripts, due to suffering and problems of Arabic heritage manuscript occurring between fear of manuscripts and fear for them as mentioned.

There were books where the authors' names were disputed and others where the name and ascription of the book were disputed.

The researcher talked about his experience and the experience of the investigator Hilal Naji (may Allah have mercy on him) in some of their joint work, the researcher addressed the problems of the conflict in the title and ascription relying on a unique copy or multiple copies. The wrong reading led the investigator to this problem and illusion.

JOURNAL OF THE
ACADEMY OF SCIENCES
Quarterly Journal – Established on 1369H-1950

Email: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription: In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100) Dollars



JOURNAL
OF THE
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

Vol4. 67

No. 4

1442H - 2021